

www.alrased.net

سلسة إلكترونية شهرية متخصصة بشؤون الفرق من منظور أهل السنة

الراصد ١٦٦ رجب١٤٣٨هـ

أيها العرب لا تفوتوا فرصة القضاء على الإرهاب الإيراني



المحتويات

فاتحة القول

فرق ومذاهب

سطور من الذاكرة

دراســــات

كتاب الشهر

قالوا

جولة الصحافة





رسالة دورية تصدر بداية كل شهر عربي

تتوفر من خلال الاشتراك فقط

قيمة الاشتراك لسنة (٣٠) دولار أمريكي

العدد (١٦٦)

رجب- ١٤٣٨ هـ

www.alrased.net

info@arased.net

أيها العرب
لا تفوتوا فرصة القضاء على الإرهاب الإيراني

لم يصل إرهاب نظام ملالي طهران طيلة العقود الأربعة الماضية هذا المستوى من العدوان، ولا هذا المستوى من الانكشاف والفضيحة وسقوط أكاذيبه التي كان يخدع بها الكثير من النخبة والعامة من الحكومات والشعوب، وهذا المستوى من التوحّد الرسمي والشعبي على رفض ومكافحة الإرهاب الإيراني، ولذلك فإن الفرصة سانحة اليوم لوضع حدٍّ لهذا العدوان والإرهاب الإيراني المتواصل طيلة تاريخ نظام العمائم الطائفية في طهران.

وهذا الإرهاب الإيراني يتمثل في الجرائم التالية:

١- ممارسة الديكتاتورية على الشعب الإيراني بمختلف أطيافه وحملات الإبادة والتهجير للمعارضين الإيرانيين من مختلف العرقيات والقوميات والمذاهب والأفكار، فلم يسلم من إرهاب هذا النظام رجال الدين الشيعة الذين لم يقبلوا بدكتاتورية الولي الفقيه، فتمّ سجنهم وإقصاؤهم مثل آية الله شريعتمداري وآية الله حسين منتظري.

ولم يسلم من إرهاب الملالي شركاؤهم في الثورة على الشاه من مختلف الأطياف والتوجهات بدءًا بالرئيس أبو الحسن بني صدر، وصولا لحركة مجاهدي خلق.

ولم يسلم من إرهاب وعدوان الملالي الشيعة العرب في الأحواز أو السنة الفرس في محافظة فارس ومحافظة هرمزجان ومحافظة أبو شهر، وغيرهم من القوميات والعرقيات والطوائف.

ولم يسلم من إرهاب وعدوان الملالي حتى أنصار النظام ممن قد يخالفون بعض الشخصيات النافذة فيه، فقد رأينا الوحشية البالغة التي قام بها نظام الملالي لخصومه من الداخل بحملات الاغتيال ومن ثم القمع الوحشي لأنصار ما يدعى بالمعتدلين والثورة الخضراء من أتباع رفسنجاني ومير موسوي ومحمد خاتمي.

٢- مواصلة سياسات نظام الشاه العدوانية والتوسعية، سواء تجاه الشعوب والدول المحتلة التي تطالب بحريتها كعرب الأحواز والبلوش والأكراد، أو باستمرار احتلال الجزر الإماراتية الثلاث واستفزاز الإمارات بتحركات عسكرية فيها، أو عبر المطالبة المستمرة باحتلال البحرين خصوصا، والخليج عموما.

٣- العمل الدؤوب على تطويع الشيعة في العالم ليكونوا تبعا لنظام الملالي وأداة بيده ضد دولهم ومجتمعاتهم المسلمة خصوصا، في محاكاة وتقليد للسياسة اليهودية باعتبار اليهودية قومية وليست ديناً!

٤- النصّ في الدستور على نية التوسع والتدخل في شؤون الآخرين باسم حماية المستضعفين، وفعلا لم يتوقف الملالي عن تصدير الثورة لدول الجوار والعالم عبر عمليات إرهابية شملت: دعم الانقلابات، واغتيال الزعماء والقادة، وخطف الطائرات، والقيام بالتفجيرات والاغتيالات في مختلف القارات.

٥- إنشاء خلايا إرهابية نائمة ومليشيات مسلحة في الدول الأخرى.

٦- شنّ الحروب على الشعوب المجاورة كما في العراق وسوريا واليمن، ومعاونة الأمريكان على احتلال أفغانستان والعراق.

٧- إيوائهم ودعمهم للتنظيمات الإرهابية كقادة تنظيم القاعدة وتنظيم داعش وحزب العمال الكردستاني والمليشيات الشيعية لنشر الفوضى والإرهاب في المنطقة لصالح الأجندة الإيرانية.

٨- تهديد الملاحة الدولية في حرب الخليج الأولى، وحاليا بمحاولة السيطرة على باب المندب عبر ميلشيات الحوثيين أو الحرس الثوري الإيراني.

٩- رعاية ودعم كبير لتجارة المخدرات عبر العالم.

هذه الخطوط العريضة للإرهاب الإيراني الذي يرعاه نظام الملالي في طهران ضد العالم العربي والإسلامي، والعالم أجمع.

وقد أصبح معلوما للجميع - حكومات وشعوب- أن كثيرا من الجرائم الإرهابية التي جرت في هذه العقود

هي من تنفيذ نظام الملالي، مباشرة أو عبر وكلائه وحلفائه أو عبر دعمه لتنظيمات إرهابية أخرى، ولذلك صدرت أحكام قضائية في دول مختلفة ضد النظام الإيراني بإدانته بجرائم إرهابية من آخرها وأهمها إدانة الملالي بالمسؤولية عن تفجيرات ١١ سبتمبر في نيويورك

وقد كان للثورة السورية الدور الأبرز في فضح طائفية وإرهاب نظام الملالي وحزب الله والميلشيات الشيعية من مختلف دول العالم ونزع ورقة التوت عنهم لكثير من المناصرين والمخدوعين بهم، وفي العراق كانت سياسة وإرهاب وطائفية الأحزاب الشيعية وميلشياتها هي السبب في وضوح الرؤية لمدى تبعيتها لإيران وهيمنتها على قراراتها.

واليوم وقد أصبح عدوان وإرهاب نظام ملالي إيران ووكلائها في كل الدول معلوما ومجرّما، فلا بد من اتحاد الكلمة والموقف على التصدي لهذا الإرهاب وإيقافه وإنقاذ الضحايا في الداخل والخارج من جرائمه، وذلك عبر خطوات قوية واضحة ومعلنة، تشمل:

١- إدانة عربية جماعية للإرهاب الإيراني، ووضع حد لوكلائه في الدول العربية.

٢- استصدار قرار أممي بإدانة ومعاقبة الإرهاب الإيراني.

٣- وقف التلاعب الإيراني بورقة فلسطين عبر عمل جاد ومثمر لنصرة القضية الفلسطينية.

٤- فضح الدعم الإيراني لإرهاب القاعدة وداعش وإبطال دعاوى إيران بكونها تكافح الإرهاب.

٥- المطالبة بالتوقف عن أنشطتهم الإرهابية ودعم المليشيات الإرهابية وادّعاء تمثيل شيعة العالم.

٦- اشتراط مواقف إيرانية معلنة، اعتذارية وتعويضية عن جرائمها الإرهابية.

٧- اشتراط تعديل الدستور الإيراني الذي يشجع على الإرهاب، وحلّ مؤسسة الحرس الثوري.

٨- تعديل تركيبة النظام الإيراني السياسية بحيث يكسر احتكار الملالي للسلطة.

إذا اجتمع العرب والمسلمون على هذه المطالب فبالتأكيد ستكون نهاية هذا الإرهاب وشيكة، لأن ما ساعد ملالي قم على التطاول في عدوانهم وإرهابهم هو تفرّق كلمة العرب والمسلمين تجاه إيران ومشروعها الإرهابي، إذ تمكن ملالي إيران فيما مضى من خلال رفع شعارات المقاومة والممانعة من شق صف العرب والمسلمين لمعسكرين متناحرين، وسهّل لهم هذا الشرخ المزيد من كسب الولاءات الشيعية والسنية والعلمانية خلفهم عبر استراتيجيات إعلامية واقتصادية وسياسية حوّلت هؤلاء المناصرين ليصبحوا أدوات بيد الملالي تفاوتت بين تحول بعضهم لميليشيات طائفية وظيفية بالكامل لصالح الملالي كحال حزب الله وكثير من الميليشيات الشيعية وحتى بعض المتشيعين، وبين من هو لوبي إيراني في الوسط العربي والإسلامي والسني، وبين من يبحث عن العظمة الإيرانية نكاية ببعض الحلفاء أو للضغط عليهم!

واليوم سيحاول الملالي من العودة لشق الصف باستمالة بعض الأنظمة العربية التي في فلكهم كالعراق وسوريا ولبنان وربما الجزائر وعُمان أيضا، كما أنهم سيحاولون عبر حلفائهم المخلصين اليوم من التيار اليساري للتشغيب على دعوات محاربة الإرهاب الإيراني بأن ذلك اصطفاف مع الإمبريالية الأمريكية! بينما قدوم الشيعة لحكم العراق على الدبابة الأمريكية واستجداد الشيعة وبشار بالأمريكان وصفقة خامنئي وأوباما وغيرها فهذه كلها لا غضاضة فيها عندهم!!

ومن جهة أخرى ستعمل إيران على إعادة استمالة حركات المقاومة الفلسطينية كحركتي الجهاد وحماس لتعويم سمعتها وغسل خيانتها، وللأسف يبدو أن هناك تقبلا منهما أو من بعض القيادات فيهما للقيام بهذا الدور المخزي والقيام بوظيفة محامي الشيطان، وعلى نفس المنوال ستسعى عمائم قم لتوريط بعض القيادات الإسلامية المستقلة وقادة بعض الجماعات الإسلامية، فهل ينتبه هؤلاء لحقيقة الجريمة التي يرتكبونها بحق دينهم وأنفسهم وأهليهم؟ أم سيكررون خطاياهم الممتدة عبر هذه العقود الطويلة ويكونون من أسباب هزيمة المسلمين وتمزقهم؟

وطبعا ستلجأ عمائم إيران لحث القاعدة وداعش للقيام بالعديد من الجرائم والعمليات الإرهابية هنا وهناك لإشعال الكثير من الحرائق ونشر سحابة من الدخان تخفي جرائم وإرهاب إيران وتبرز جرائم هؤلاء والتي ستتحرك لتضخيمها الماكنة الإعلامية الضخمة التي سمّنتها إيران عبر السنين بالتومانات والدولارات وصبايا المتعة ولفائف الحشيش!

يا عرب ويا مسلمون: الفرصة اليوم سانحة للقضاء على الإرهاب الإيراني لكن يلزم التحرك الجماعي والمشترك لمقاومة هذا الإرهاب على المستوى الرسمي والمستوى الشعبي، ويلزم تعاون الجميع في ذلك وعبر كافة المجالات السياسية والإعلامية والدينية والاقتصادية، كما يجب فضح وعزل عملاء وأعوان إيران بكل وضوح وشفافية.

كما يلزم الالتفات للداخل الإيراني الذي يحتاج إلى عون جيرانه للتعبير عن نفسه والحفاظ على مستقبله عبر دعمه ليهتك ستر الإرهاب والإجرام المصبوب عليه ومساعدته للحصول على حقوقه المسلوبة وخيراته المنهوبة.

فهل ننتهز الفرصة وننجز هذه المهمة، التي تشكل أحد مبررات اليهود في استمرار احتلالهم لفلسطين، وأعوان الغرب والشرق في عرقلة النهوض والتنمية للشعوب والدول في المنطقة، كما أنها تبث الفرقة والنزاع والشقاق بين أبناء الشعب الواحد.

أقطاب العلمانية (٢)
طارق منينة

تباشر الراصد على حلقات نشر الطبعة الجديدة من كتاب الأستاذ الباحث طارق منينة "أقطاب العلمانية"، وهو الكتاب الذي سد ثغرة كبيرة في المكتبة العربية قديماً، وتحوي هذه الطبعة مزيدا من الإضافات والفوائد.

الفصل الأول
الإسلام وحضارته والعلمانية ومدى مشروعيتها

قام المجتمع الإسلامي على مشروعية إسلامية ومقومات ربّانية، وقامت حضارة المسلمين على ثوابت الإسلام ومبادئ القرآن، وعلى هدي السنة النبوية التي أرساها وأحياها رسول الله ﷺ.

انطلق المسلمون يقيمون مجتمعاتهم، التي نشأت أصلاً تحت ظلال القرآن وقيَمه، ويبنون حضارتهم التي كوّن أساساتها الوحيُ، ويطوّرونها داخل هذه الأطر المجيدة، انطلقوا غير مخالِفين ولا معارضين ولا معترضين على الشريعة الإلهية القرآنية والقائمة على العدل والتوازن، والهادفة إلى تحقيق سعادة الإنسان في الدّارين، فلم يتبعوا سنن اليونان الأسطورية الوثنية في النظر للكون، ولا تبنوا فلسفاتهم الخرافية، بل قاموا بإصلاح ما ورد من أخطاء في تلك النظريات اليونانية، وما ارتبط بها من خرافات عن الكون ونشأته والمرأة والكواكب.

فكانوا إذا مدّوا أبصارهم إلى السماء -وكان القرآن قد وجّههم إلى دراسة الكون وتعقّل آياته وتسخيرها- ، وأيديهم إلى باطن الأرض وكنوزها وخُضرها وطعامها ومائها، ومشوا في مناكبها، يرسمون الخريطة ويدرسون الجغرافيا، ويكتبون عن تاريخ الشعوب والفِرق والأعراق والأفكار، وينظرون ويلاحظون ويقارنون ويكتشفون ويُنجزون، ويبحثون ويقيسون ويجرّبون ويخترعون مناهج العلم والنظر، ويصنعون ويبدعون ويبتكرون ويطبّبون ويعالجون، وكانوا يمشون على هدي الدعوة الربانية للنظر والتدبر والتفكر.

وكانت تعاليم القرآن وإشاراته إلهامًا على سلوك هذا السبيل لإقامة العمران البشري على جناحي المعرفة الحقّة: معرفة إله هذا الكون البديع، ومعرفة طريقة الحياة على الأرض بما يحفظ للإنسان حياته وأمنه، ويمنحه السكينة والاطمئنان فيما هو يثوِّر الأرض ويطوِّر الحياة عليها!

وكانت فتوحاتهم هائلة في عالم الأرواح وتزكية النفوس، وعالم الأبدان وصحة الأجساد، أي في علوم الدنيا والدين معًا.

لقد حوى القرآن منهجاً كاملاً للحياة، يشمل جزئيات الحياة جميعها، بما فيها العلم، ولقد وضع كل جزئية في مكانها الصحيح، وهذا الأمر بالذات هو أهم ما قدّمته الحركة العلمية الإسلامية التي لم يكن نشاطها في ظل الوحي الإلهي مضاداً ولا معاكساً لبقية احتياجات الفطرة وبقية الحاجات النفسية والحيوية[1].

ولقد تطور المسلمون انطلاقاً من هذا «الوحي الرباني»

---

(١) انظر: واقعنا المعاصر، للأستاذ محمد قطب، ص ٨٤. في دراسة البيروني عن الهند وما فيها من عادات ومعتقدات، بدأها بقوله:» إنما صدق قول القائل «ليس الخبر كالمعاينة» لأن العيان هو إدراك عين الناظر عين المنظور إليه في زمان وجوده وفي مكان حصوله»، انظر: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، للبيروني، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٨٣م، ص ١٣.

الذي حثهم على النظر في الكون، وأوجب عليهم تدبر آيات الله والتعرف عليها، في عبودية تامة من الإنسان الخليفة والمكرَّم تكريما إلهيا: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: الآية ١٦٤].

وهو سبحانه هنا، لا يتكلم عن عالم السحر والخرافة كما زعم العلماني الجزائري- الفرنسي، محمد أركون في بحوثه[١]، ثم يدعو القلب للتعامل معه!، وإنما يدعو قوماً عقلاء إلى تدبر الآيات، آيات السماوات والأرض ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾!!!

ولنترك هذا الكلام الفارغ لأركون - ومثله كثير لتلاميذه ومَن سبقه إليه، لنتركه قليلاً ولنسِر في طريقنا مهملين –مؤقتاً- تلك النظرة الاستشراقية، والعلمانية العبثية، لماهية العقل في الإسلام، وستره وحجبه، وتشويهه، وتغطية إنجازاته وفضله على الغرب، فما كلّم القرآن الناس بالآيات الكونية والعلاقات السببية، وما وجّه إلى النظر إلى المدارات الكونية والسنن الطبيعية والأسباب السماوية والأرضية والأفلاك إلاّ لحث العقل على عملية تفكير عميقة وطويلة الأمد ودائمة.

«إن هذه الحضارة تجاوزت في تموجاتها الكبيرة مساحة الأرض إلى السماء، ولحظات الفناء إلى عالم الخلود... فلقد مضى النشاط الحضاري ينقّب في الأرض.. يكشف عن السنن والنواميس والطاقات المذخورة.. يتابع حاجات الإنسان وأشواقه.. يتفحص دوافعه وغرائزه»[٢].

فما كان واقعاً محسوسا، تاريخيا ووقائعياً، وعلميا وإبداعياً في تاريخ حضارتنا، طويلة المدة، يؤكد كلامنا، ويثبت أن كلام القرآن أنتج علماً واسعاً وحضارة زاهرة محسوسة ومُشارا إليها في التاريخ.

لقد أودع الله «الفطرة البشرية»: طاقة المعرفة ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة الآية: ٣١]، فلم تكن «المعرفة» بكل أبعادها غريبة عن هذه الفطرة ولا غير متلائمة مع طبيعتها، وطبيعة هذا الكون، وإنما الفطرة الإنسانية تشكل جزءاً من هذا الكون، مهيأة للتعرف عليه مستعدة للاحتكاك به، وتطوير ما وصلت إليه منه على هدي السنن الربانية إن أرادت الأمان والسلام معه، وابتغت الرحمة والسكينة والرشاد.

فلم يكن العلم القرآني عدواً للعقيدة، ولا العقيدة الربانية عدوة للعلم، فالعقيدة الإسلامية حرّرت العقل من التقليد، ونقلته نقلة عجيبة من الصحراء إلى الآفاق، ومن الأرض إلى السماء، ولهذا أقبل المسلم على المعرفة والتفاعل مع الكون المادي بلا صراع أو عداء بين «الإنسان» وبين «الله» ، كما حدث في التاريخ الغربي، بل حب وإقبال ورغبة من العبد في المعرفة وتقصّي العلوم وإجراء التجارب واختراع المناهج وصناعة الآلات والمبتكرات، والاستفادة من ثمارها المتكاملة مع بقية علوم المنهج القرآني الشامل للحياة كلها.

ففي مجال علوم العمران البشري نجد القرآن قد حرّض المسلمين على النظر في الكون والربط بين الآيات والأسباب، وتسخير السنن وإعمال العقل في الماديات والروحانيات.

كما أمر بالمشي في الأرض، مشي الباحث الراصد المستكشف المستفيد، الآخذ للعبر والدروس والقائم على التجربة والمحاولة، وذلك باستعمال العقل وإعمال التفكير. أمم تفكر وتؤسس للعلم والنظر، وأفراد يسيحون في الأرض ويربطون بين الأسباب، ويفيدون الإنسان ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي

(١) يقول هاشم صالح العلماني الراديكالي عن التفسير العلماني لأركون لكلمة «يعقلون» الواردة في الآية السابقة: «كان أركون قد خصص دراسة كاملة لشرح كلمة (يعقلون) في القرآن. وبيّن عن طريق التحليل الألسني والسيميائي أن معناها هناك ليس هو المعنى الذي نستخدمه اليوم، وليس هو المعنى الذي أسقطه على هذه الكلمة المتكلمون والمفسّرون في القرنين الثالث والرابع الهجري ... إن معناها التزامني والأيتمولوجي مرتبط بالبيئة البدوية للجزيرة العربية، وهي تعني حرفياً: الربط. كأن نقول مثلاً: عقل الدابة أي ربطها لكيلا تفلت»، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ص ٤٢.

(٢) مدخل إلى الحضارة الإسلامية، الدكتور عماد الدين خليل، الدار العربية للعلوم، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م، ص ٧٦.

مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ [الملك، الآية: ١٥] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية، الآية: ١٣] وكل ما في السماوات وما في الأرض من آيات إنما هي ليتدبرها عقل الإنسان ﴿... لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ وما دام الكلّ من الله سبحانه وتعالى، الخلق والتسخير، الوجوب والتوجيه، فما على الإنسان إلا أن يمضي في هذا السبيل على «علم» وفي حالة «تواضع لا غرور فيه» غير مخالفٍ للسنن ولا متكبرٍ على ربّه وخالقه ومبدعه ورازقه!

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾ [العلق الآيات: ١- ٥].

انطلق المسلمون في المسار الذي رسمه الله لهم، وانطلقت حضارتهم بهذه التوجيهات والإرشادات، والتعليمات والتشريعات، في عبودية تامة لله عز وجل، فاحتكوا بالكون المادي واستنبطوا طاقته بحسب ما فتح الله عليهم في أزمانهم في الطب والحساب والفلك والهندسة والتاريخ والاجتماع[1] وغير ذلك مما فتح الله به عليهم في مجالات الحياة الإنسانية والروحية والمادية.

وخطا إنسان هذه الحضارة أشواطاً بعيدة في طريق البحث العلمي وعالم الاكتشاف والتجريب، وكانت فتوحاته منطلق العلوم وقواعدها في أوروبا كما اعترف بذلك كثير من العلماء الغربيين.

(١) أكدت الأستاذة الألمانية زيجريد هونكة: أن المسلمين أبدعوا في علوم البصريات والفيزياء والكيمياء القائمة على التجربة، وعلم حساب المثلثات، وعلم الاجتماع، وفضلاً عمّا لا يحصى عدده من المكتشفات والمبتكرات الثمينة في مجال العلوم التجريبية، فإن أثمن هدية قدّمها المسلمون للغرب هي منهجهم في البحث العلمي، كذلك عرض الأستاذ محمد كرد علي في الجزء الأول من كتابه «الإسلام والحضارة العربية» ما حققه المسلمون بالتفصيل في مختلف العلوم: الكيمياء والطب والبصريات والدواء والفلك، وللأستاذ عمر فروخ والدكتور عبد الحليم منتصر كتابات أخرى في الموضوع نفسه، وتحفل المكتبات العربية بدراسات حول التفوق العربي والإسلامي، بل إن جامعة كمبردج بدأت منذ عام ١٩٩١م في إصدار دورية متخصصة كل ستة أشهر تحت عنوان «العلوم والفلسفة عند العرب»، وهناك موسوعة من ثلاثة أجزاء حول العلوم عند العرب صدرت في لندن ونيويورك لاثنين من العلماء هما رشيد راشد وورجيس مورلون، نقلاً عن مقالة للأستاذ فهمي هويدي في جريدة الأهرام، ٢٥ أغسطس ١٩٩٨ «السنة ١٢٣ – العدد ٤٠٨٠٤» بعنوان «الذين يكرهون أمّتهم وتاريخهم» وقد نقلت منها هنا بتصرف.

بيْد أن حضارة المسلمين لم تعمر «الآلة» على حساب «البيئة» و«الإنسان» على حساب «الطبيعة» ولا «المادة» على حساب «الروح» ولكنها انطلقت تعمّر على سُنَّة التوازن ومادة الاتفاق والاتساق، فعمّرت الأرض والإنسان والمجتمع - بحسب ما وصلت إليه من علوم - وحافظت على النفس والروح والجسد ولم تمزق شيئاً من ذلك لحساب استقلال مزعوم للإنسان أو لصالح كيان على كيان!

فلم تفسد الإنسان لصالح الإنتاج أو التقدم!، ولم تُفسد الفرد لصالح المجتمع، أو تُغلّب مصالح الفرد على مصالح المجتمع والتطور. لم تنطلق في عالم الروح مهملةً الجسد، ولا بنوازع الجسد ممزقةً الروح البشرية التي هي جوهر الطبيعة الإنسانية، إنما أخذت بيد الإنسان، كل الإنسان، عقله وحسّه، روحه وفكره، مشاعره وخياله، أخذت به إلى الأمان، وتعرّف فيها على حقيقته وطبيعته وحدوده ومكانته في الكون ومدى تكريم الله له كإنسان وكسيّد الأرض وخليفة.

وكما يقول د. عماد الدين خليل فالإسلام رسم للعلاقة بين الإسلام والعالم خطاً جديداً «خطًا يقوم على الوئام والانسجام، والتكامل والتوافق، والتجانس والالتحام بين الإنسان والطبيعة، بين الجماعة المؤمنة والعالم»[2].

ولقد أخطأ العلماني عبد الله القصيمي إذ راح يوجّه الإهانة للإسلام والمسلمين عندما دافع عن مفهوم السببية في الكون، وراح يجعل التديّن ضد التطور والتحضّر، وذلك عندما قال في كتابه (هذي هي الأغلال): «فطبيعة المتدين- غالبا- طبيعة فاترة، فاقدة للحرارة المولدة للحركة، المولّدة للإبداع»، وقال: «فإنه لا يكاد المرء أن يجد متديناً حرفياً استطاع أن يكون في الحياة شيئاً مذكورا»[3].

كذلك فإنه راح يتّهم ثقافتنا الإسلامية بما هي بريئة منه قطعاً، فقد قال: «وإطلاق القوى المختلفة من الحدود والقيود لا يكون -في رأي هذه الثقافة- إلا للخالق وحده»، وأنها ثقافة ترضي الله بتخصيصه وحده بالعلم،

(٢) مدخل إلى الحضارة الإسلامية، ص ٤٩.

(٣) هذي هي الأغلال، عبد الله القصيمي، منشورات الجمل، عام ٢٠٠٠م، ص ١٨.

وهـي تقنـع أهلـها «أن العجـز عـن العلـم علـم»، ويقـصد أن يبقى الإنسان جاهلاً بالأسباب والعلل في الكون، وأن ذمّ علم الإنسان هو نفسه ثناء على الله مع أن العلم الإسلامي في عـالم الكـون والطبيعـة، والأجساد والمواد هـو بتقييم الإسلام ثناء من المسلم على الله وتحميد وتكبير وتهليل وتعظيم وتسبيح لله!، كذلك فإنه يزعم أن المسلمين: «ما فتئوا يضعون الأهـاجي المريرة الواصفة للإنسان بجميع أوصاف الانحطاط الذهني وغير الذهني»[1].

ولـو كـان ذلـك مـا ظهـرت حـضارة الإسـلام العلميـة المؤمنة في التاريخ، ولا أقامها علماء حمدوا الله وسبّحوه في مقـدمات كتـبهم العلميـة في عـالم الطبيعـة والكـون والمادة والإنسان.

إن أي اختبـار لتـاريخ المـدة الطويلـة لحـضارة الإسـلام سيكـشف زيـف مقولـة القـصيمي الـتي يحتفـي بهـا العلمانيون مـن بعـده، يقـول لوبون: «إن العـرب بلغـوا درجـة رفيعـة مـن الثقافـة بعـد أن أتمـوا فتـوحهم بـزمن قـصير... وكـان حب العـرب للعلـم عظيمـاً... وكـان العلمـاء ورجـال الفـن والأدبـاء مـن جميـع الملـل والنحـل، مـن يونـان وفـرس وأقبـاط وكلـدان يتقـاطرون إلى بغـداد ويجعلـون منهـا مركـزاً للثقافة في الدنيا»[2].

فالتوحيد يضع المسلم قبالـة الله سبحانه وهـو مـسؤول عن العالم من حوله: «مسؤولا عن قدراته التي أودعـه الله إياهـا ... في التوحيـد يغـدو الكـون والعـالم والطبيعـة مـن صنع الله القادر المهيمن المبدئ المعيد، ويتحـرر المسلم من سائر الخرافات والصنميات التي تلبّستها الطبيعـة والعـالم في المـذاهب والأديـان الأخـرى. فعرقلـت انطلاقـه الحـر للكـشف عن السنن والطاقات والنواميس»[3].

وتقـول كـارين آرمسترونـج، وهـي الراهبـة الـتي تركـت الرهبنـة، وانغمـست في فلسفات الفكـر المادي الغربي: «يشدّد القرآن على استخدام العقل في فك رموز آيات أو رسالة الله. يجب على المسلمين ألاّ يتخلوا عن عقولهم، بل عليهم أن ينظـروا إلى العـالم بتمعّن وفضول. فهذا الموقف بالـذات هـو الـذي مكّـن المسلمين لاحقـاً مـن بنـاء تـراث جميـل للعـالم الطبيعـي الـذي لم يعُـد خطـراً علـى الـدين كما عدّته المسيحية»[4].

وقـد ذكـرت كـارين هـذا الكـلام بعـد أن عرضـت الآيـة القرآنيـة المجيـدة: ﴿إِنَّ فِـي خَلْـقِ السَّمَاوَاتِ وَالْـأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِـي تَجْرِي فِـي الْبَحْـرِ بِمَـا يَنْفَعُ النَّـاسَ وَمَـا أَنْـزَلَ اللَّـهُ مِـنَ السَّمَاءِ مِـنْ مَـاءٍ فَأَحْيَـا بِـهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالـسَّحَابِ الْمُـسَخَّرِ بَـيْنَ الـسَّمَاءِ وَالْـأَرْضِ لَآَيَـاتٍ لِقَـوْمٍ يَعْقِلُـونَ﴾ **[البقـرة: الآيـة ١٦٤]**، وأضـافت: «خـلال القـرن التاسـع احتكّ العرب بالعلم والفلسفة الإغـريقيين... وكـان العرب المسلمون آنذاك يدرسون الفلك والكيمياء والطب والرياضيات بنجاح كبير لدرجة أن معظم الاكتشافات العلميـة خـلال القـرنين التاسـع والعاشـر قـد تحققـت في الإمبراطورية العباسية، وكانت أكبر مما تحقـق في أية فترة سابقة من التاريخ»[5].

فلقد بث القرآن روحَ الملاحظة، ووضع أصول التفكر في الكون، وأشار إلى مبدأ التسخير، وحرّض على العلم والدراسـة واسـتخدام القلم واكتشاف الأدوات للتقدم في العلـوم الـتي كـان مبـدأ فـيضانها مـن القـرآن: «أرشـد المؤمنين به إلى هذه العلوم في الآيات الكثيرة التي بيّن بها آياتـه تعـالى في خلـق الـسماوات والأرض ومـا فيهمـا ومـا بينهما، فإن دلالة الشمس والقمر والكواكب والسحاب والمطر والبحار والأنهار والجبال وأنواع النبات والثمار على قدرتـه تعـالى ومـشيئته وحكمتـه ورحمتـه ودلالـة مـا في مجموعها مـن وحدة النظـام علـى وحدانيتـه، كـل ذلـك لا يكمل للناظر فيها إلا بقدر علمه بما فيها من الخـواص العجيبـة والنظـام الـدقيق»[6]. عمـل الإسـلام علـى إطـلاق العقـل مـن قيـوده وتـسريحه في عـوالم الطبيعـة علويّهـا وسفليها؛ ليبحث عن حقائقها وينتفـع بهـا، فإن الله قـال: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا

(١) انظر: هذي هي الأغلال، ص ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٤٠.

(٢) حضارة العرب، ص ١٧٤.

(٣) مدخل إلى الحضارة الإسلامية، ص ٦٩.

(٤) الله والإنسان، على امتداد ٤٠٠٠ سنة من إبراهيم الخليل حتى العصر الحاضر، كارين آرمسترونج، ترجمة محمد الجورا، دار الحصاد، دمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٦م، ص ١٥٣.

(٥) المصدر السابق، ص ١٧٧.

(٦) مجلة المنار، الفقه والعلوم العصرية في القرآن، عدد نوفمبر ١٩٢٨م، جمادى الأولى - ١٣٤٧هـ، المجلد٢٩، ص٥٢٥.

مِنْهُ﴾ [الجاثية الآية: ١٣][1].

فبالوحي القرآني، –كما يقول عماد الدين خليل- وُضعت «الجماعة البشرية المؤمنة في قلب العالم والطبيعة، ودفعتها إلى أن تبذل جهدها من أجل التنقيب عن السنن والنواميس في أعماق التربة، وفي صميم العلاقات المادية بين الجزئيات والذرات.. إننا بإزاء حركة حضارية شاملة تربط، وهي تطلب من الإنسان أن ينظر إلى السماوات والأرض، بين مسألة الإيمان ومسألة الإبداع، بين التلقي عن الله والتوغل قدما في مسالك الطبيعة ومنحنياتها وغوامضها، بين تحقيق مستوى روحي عال للإنسان على الأرض وبين تسخير قوانين الكيمياء والفيزياء والرياضيات لتحقيق الدرجة نفسها من التقدم والعلو الحضاري على المستوى المادي (المدني) ولم يفصل الإسلام بين هذا وذاك»[2].

اقرأ قوله تعالى: ﴿أولَم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء﴾ (الأعراف: ١٨٥)، وقوله: «قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق» [العنكبوت: ٢٠]، وقوله: ﴿فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها﴾ [الروم: ٥٠]، وقوله: ﴿انظروا إلى ثمره اذا أثمر وينْعِه﴾ [الأنعام: ٩٩]، وقوله: ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج. والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج. تبصرة وذكرى لكل عبد منيب. ونزّلنا من السماء ماءً مباركا فأنبتنا به جناتٍ وحبَّ الحصيد. والنخلَ باسقاتٍ لها طلع نضيد﴾ [ق: ٦-١٠]، وقوله: ﴿ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض﴾ [لقمان: ٢٠]، وقوله: ﴿إنّي جاعل في الأرض خليفة﴾ [البقرة: ٣٠]، وقوله: ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ [هود: ٦١]، وقوله: ﴿وعلّم آدم الأسماء كلها﴾ [البقرة: ٣١].

فالآيات ترسم صورة تجعل من العلاقة بين الإنسان والكون علاقة سيد أرضي وخليفة إنساني سُخّرت له وأُخضعت له «كتلة العالم» لا ليفسد فيها، لا، فالقرآن يقول ﴿ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها﴾ [الأعراف: ٥٦]، ويقول: «وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين» (الأعراف: ١٤٢)، وإنما لتلبية متطلبات خلافته على الأرض وإعماره للعالم على عين الله»، وهكذا فالعالم والطبيعة، وفق المنظور الإسلامي –يقول عماد الدين خليل - قد سُخّرا للإنسان تسخيرا، وإن الله سبحانه قد حدد أبعادهما وقوانينهما ونظمهما وأحجامهما بما يتلاءم والمهمة الأساسية لخلافة الإنسان في العالم وقدرته على التعامل معه تعاملا إيجابيا فاعلا[3].

ومعنى هذا أن القرآن وضع مستقبل المسلم للأحسن وليس للأسوأ، مستقبله مع الطبيعة والعمران، والعقل، مستقبله مع الاكتشافات والإنجازات، مستقبله مع البحث والنظر ودراسة الكون والحياة، وقد سعى إلى أن يغير التوحش القبائلي أو السطوة الإمبراطورية الجاهلية بالطبيعة إلى ما هو أفضل للبشرية كلها، وقد كان، وكانت آيات القرآن تفعل فعلها في العلماء.

لقد وضع البيروني الآية الكريمة ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣] نصب عينيه وفي ثنايا كتابه عن الجواهر، فهل كان يضع اندهاشا خرافيا بين يدي بحثه العلمي؟[4]. يقول جون فريلي: «وقد كان أبرز شخصيات النهضة الإسلامية من العلماء الجامعيين الذين تفننوا في شتى ضروب العلم وتناولوها في كتاباتهم، ومن بينها علم الفلك... بلغ عدد الأعمال التي تنسب إلى أبي ريحان البيروني (٩٧٣-١٠٥٠م) ١٤٦ عملا، تتضمن رسائل في علم الفلك، والتنجيم، وعلم تأريخ الأحداث، وقياس الزمن والجغرافيا، والجيوديسيا، والخرائط، والرياضيات (وتشمل الحساب والهندسة والمثلثات) والميكانيكا والطب والأدوية والأرصاد الجوية والمعادن (ومن ضمنها الأحجار الكريمة)... إضافة إلى شروح مفصلة لأدوات

(١) مقاله بعنوان «الشريعة والطبيعة والحق والباطل» مجلة المنار: ٢٠ شعبان - ١٣١٧هـ، ٢٤ ديسمبر - ١٨٩٩م.

(٢) مدخل إلى الحضارة الإسلامية ص ٣٣، ٤٥.

(٣) مدخل إلى التاريخ الإسلامي، ص ٣٩.

(٤) انظر: مصباح علاء الدين: كيف وصلت العلوم الإغريقية إلى أوروبا عبر العالم الإسلامي، دار الكتاب العربي –بيروت عام ٢٠١٠م، جون فريلي، ص ١٢٢.

رصده واختراعاته»[1].

أما الشريف الإدريسي فيقول في مقدمة كتابه الجغرافي المشهور «نزهة الآفاق»: «الحمد لله ذي العظمة والسلطان والطول والامتنان والفضل والإنعام والآلاء الجسام، الذي قدّر فحكم، ورزق فأنعم، وقضى فأبرم، ودبّر فأتقن، وذرأ وبرأ فأحسن ما صور، فاتصلت بالعقول معرفته، وقامت في النفوس حجّته، ووضح للعيون برهانه، وقهر الألباب قدرته وسلطانه، الهادي إلى سبيل عزه تفضلاً وإرشاداً، والدال على ارتباط النعم به قولاً واعتقاداً، جاعل عجائب مخلوقاته وبدائع مصنوعاته سبيلا إلى معرفته، وسلما إلى علم قدمه وأزليته، وإن في بعض ما خلق لعبرة لأولي الأبصار، وذكرى لذوي الخواطر الصقيلة والأفكار، فمن آياته خلق السموات والأرض، فأما السماء فرفع سمكها، ونظم سلكها، وزيّنها بالنجوم، وجعل فيها الشمس والقمر آيتين يُستضاء بهما في الليل والنهار، ويستعلم بمجاريهما تعاقب الدهور والأعصار، فأما الأرض فبسط مهادَها وأرسى أطوادها، وأخرج منها ماءها ومرعاها، وأسكنها خلقه فبوأهم أملاكها، وأجرى لهم أفلاكها، وعرّفهم مسالكها، وعلّمهم منافعها ومضارها، وهداهم إلى السير فيها برا وبحرا وسهلا ووعرا، كل ذلك منه جلّت قدرته بحكمة وتدبير ومشيئة وتقدير، فتعالى من هذا ملكه وسلطانه وصنعه وبرهانه».

كما بدأ محمد بن جابر البتاني (٨٥٨- ٩٢٩م) كتابه «زيج الصابي» بالاستشهاد بآية من القرآن الكريم في مدح علم الفلك هي: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥] [2]. قال جون فريلي: «لتبدأ نهضة إسلامية انتقلت ثمراتها في نهاية المطاف إلى أوروبا الغربية، وقد حدد العلماء المسلمون بداية عصر التنوير هذا بعهد هارون الرشيد» وأضاف: «وذكر البتاني في مقدمة كتابه «الزيج» أن الأخطاء التي وجدها في الرسائل الفلكية المتقدمة قادته إلى تطوير النموذج البطليموسي (القائل بأن الأرض كرة ثابتة في وسط الكون، وأن الشمس والقمر والكواكب السيارة تدور حولها في مدارات دائرية)، وذلك بإضافة نظريات وملاحظات جديدة، تماما مثلما تعامل بطليموس مع عمل هيبارخوس وغيره من سابقيه، ... ترجمت كتابات البتاني الفلكية إلى اللاتينية وبقيت في قيد الاستعمال حتى القرن السابع عشر»[3].

أما ابن الشاطر (١٣٠٥- ١٣٧٥م) الذي أنجبته دمشق، فقد تأثر بأعمال أبي علي المراكشي، الذي ألّف في سنة ١٢٨٠م تقريبا خلاصة وافية في علمي الفلك الرياضي والأدوات الرياضية، فقد طوّر نموذجا كوكبيا أصليا يختلف اختلافا جوهريا عن نموذج بطليموس، كما قال جون فريلي: «ثم استعمله لإخراج مجموعة جديدة من الجداول في كتاب سمي «الزيج الجديد»، ذكر في مقدمته كيف أنه أنشأ هذا العمل بعد قراءة كتب علماء الفلك المسلمين المتقدمين، الذين مافتئوا يعبّرون عن شكوكهم حيال نموذج بطليموس الكوكبي، لكنهم لم يتمكنوا من صوغ نظرية جديدة، وقد قال: «**لذا فإني سألتُ الله العلي القدير أن يُلهمني ويوفقني لابتداع نماذج تُبرز ما كان مطلوبا، فمكنني – تعالى جدّه وله الفضل والمنة- من ابتكار نماذج جامعة للنماذج الكوكبية لمعرفة درجات خط الطول وخط العرض وجميع المعالم الأخرى التي يمكن رؤيتها، إضافة إلى حركاتها، نماذج لا تتطرق إليها - بحمد الله- الشكوك التي أحاطت بالنماذج السابقة... ظلّ كتاب الزيج الجديد لابن الشاطر المرجع في دمشق لعدة قرون... وكانت دراسات مؤرخي العلوم قد أظهرت في سنة ١٩٥٧ أن نموذج القمر الذي استعمله ابن الشاطر كان مماثلا في جوهره للنموذج الذي استعمله كوبرنيكس في سنة ١٥٤٣، علمًا بأن البحث لم يُظهر بالتفصيل كيف شقّت النظرية الفلكية الجديدة طريقها من دمشق إلى إيرلندا في غضون قرنين**»[4].

هذه هي الحقيقة التي يُراد حجبها علمانياً، أو يراد تخطيها وتجاوزها والتخلص منها إلى المعرفة العلمانية

(١) المرجع السابق، ص ١٢٧، ١٢٨.
(٢) المرجع السابق، ص ١٢٢.
(٣) المرجع السابق، ص ١٢٢.
(٤) المرجع السابق، ص ١٤٨.

بفرضياتها وتخرصاتها الفاشلة، والتي يثبت العلمانيون أنفسهم كل مرة فشل قديمهم أو ضيق أفقه وعفنه (الداروينية، الماركسية، البنيوية، النظريات العرقية، وهلمّ جرا)، احتفاء بالجديد أو القديم المُعدل والمتحلل من أشد قواعده رسوخًا!

الزحف على حواضر الإسلام

بيّنا أن حضارة «المسلم» في الأندلس والشرق الإسلامي قامت على أسس العلم الإسلامي المفارق لمعارف البيئة الجاهلية وأساطيرها، التي بُعث لإزالة آثارها في النفوس والعقول والعلم، وتلك الأسس لم تكن -في الأصل والفصل- منفصلة عن السماء، ولا متكبّرة أو مُعرضة أو مستغنية على «الله»، ولا عن إشارات الوحي وتوجيهاته الأصيلة، ولا كانت مستقلة عن شريعته -ومنها وجوب العمل بالأسباب- وتعاليمه التي أبدعت فكراً رائعاً على مساحة واسعة لعدة قرون، فكراً رائعاً في علوم القرآن وعلوم الحديث والفقه والأصول وعلوم اللغة والفيزياء والفلك والجغرافيا وغيرها كثير، والحقيقة أن أوروبا لم تشعر بما في مفاهيمها الدينية مِن خَلل إلا حين احتكت بالإسلام والمسلمين عن طريق المعابر الثلاثة الكبرى التي عبّر عنها التأثير الإسلامي في أوروبا، وهي الحروب الصليبية والعلاقات التجارية التي أنشأتها (جنوة) و(البندقية) مع العالم الإسلامي والعلاقات العلمية والثقافية التي انتشرت من الأندلس وصقلية الإسلامية[1].

فبينما كانت الحياة في أوروبا في العصور الوسطى المظلمة كئيبة يمخر فيها الجهل وتعشش فيها الخرافة، ويتحالف في عالمها الإقطاع المذل مع انحراف الكنيسة العقدي والعلمي! كانت الأندلس (إسبانيا والبرتغال) منارة في قلب أوروبا، فيها التوحيد، وفيها الحرية والعلم، وفيها المدنية والنظافة، وفيها الإسلام صاحب التعاليم الراقية والتطوير النافع![2].

وما أن سمع الشباب الأوربي بعالَم الأندلس حتى توافدوا عليه ينهلون من علومه، ولم يمنع المسلمون أحدا ًمن هذا العلم الذي توصلوا إليه بفضل الله ومفاتيح قرآنه الكريم، - فلا إله إلا الله مفتاح العلوم، ومنها علوم الكون والطبيعة- وهم لم يُقبلوا على العلوم والمعارف والبحوث والتطبيقات لصالح المسلمين فقط، وإنما لصالح «الإنسان» ككل.

تعلم أبناء أوروبا علوم المسلمين، وبدأوا محاولة التعبير ونفي الجمود الطاغي على حركة العلم في المسيحية، فثارت عليهم الكنيسة المنحرفة عن حقائق الإنسان والطبيعة والكون والكتاب المنزل، فأُحرق من أُحرق، وقُتل من قُتل، حتى انطلقت أوروبا بفضل ثورة المسلمين المعرفية والتجريبية، فثاروا على المسيحية وظلمات عصورهم المتخلفة المظلمة، ومع التقدم البطيء والصراع المستمر بين الكنيسة المنحرفة والذين ثاروا عليها، بدأ الدين يخبو في النفوس، وبدأت الفلسفة - بخيرها وشرها- تحتل مكانة الكنيسة.. والدين!

فهذا أسقف قرطبة (ألفارو) الذي راح يجأر بشكواه بكلمات مؤثرة تصور بلواه كما عرضتها المستشرقة الألمانية زيغرد هونكه في كتابها المسمى «الله ليس كذلك»، قال أسقف قرطبة: «**إن كثيرين من أبناء ديني يقرؤون أساطير العرب(!) ويتدارسون كتابات المسلمين من الفلاسفة وعلماء الدين، ليس ليدحضوها وإنما ليتقنوا اللغة العربية ويحسنوا التوسل بها حسب التعبير القويم والذوق السليم. وأين نقع اليوم على النصراني -من غير المتخصصين- الذي يقرأ التفاسير اللاتينية**

(١) قضية التنوير في العالم الإسلامي، لمحمد قطب، ص ٣٨. وقال العلماني عبد الله العروي: «ما يهمّنا في كتاب باسكال هو أنه... لا يذكر بالاسم نبي الإسلام إلا في أربع مناسبات، غير أن سير الاستدلال يوضح أن مشكل الإسلام يشغله كثيراً كما لو كان يرى أنه الدين الذي يدين به خفية حملة العلم التجريبي من أنصار الحرية والعدل. وهذا يشير إلى أن اعتراضات الإسلام على المسيحية كانت منتشرة جداً في تلك الأوساط، وأنها كانت تفضل على البروتستانتية بعد أن تحولت النحلة الجديدة إلى مؤسسة كنسية لا تقل استبدادية عن كنيسة روما في كل من جنيف وألمانيا وإنجلترا»، (مفهوم العقل، العروي، ص ٥٧).

(٢) في بحث حول الفلك والرياضيات عند المسلمين لأحد كبار مستشرقي المعهد الكاثوليكي الفرنسي في باريس، البارون «كارادي فو» (نشر في كتاب تراث الإسلام الذي أشرف عليه السيد توماس أرنولد) قرر مؤلفه بوضوح: «إن العرب ارتقوا بالحياة العقلية والدراسة العلمية إلى المقام الأسمى، في الوقت الذي كان العالم المسيحي يناضل نضال المستميت للانعتاق من أحابيل البربرية وأغلالها. ووصل الأمر إلى ذروة ازدهارهم العلمي في القرنين التاسع والعاشر (الميلاديين). واستمر ذلك الازدهار إلى القرن الخامس عشر، ومن القرن الثاني عشر فصاعدا كانت حواضر العرب محط أنظار كل غربي يميل إلى العلم ويتذوقه». انظر مقالة الأستاذ فهمي هويدي «الذين يكرهون أمّتهم وتاريخهم»، في جريدة الأهرام العدد (٤٠٨٠٤).

للإنجيل، بل من ذا الذي يدرس الأناجيل الأربعة، والأنبياء ورسائل الرسل؟.. وا حسرتاه! إن الشباب النصارى جميعهم اليوم، الذين لمعوا وبزوا أقرانهم بمواهبهم لا يعرفون سوى لغة العرب والأدب العربي! إنهم يتعمّقون دراسة المراجع العربية باذلين في قراءتها ودراستها كل ما وسعهم من طاقة، منفقين المبالغ الطائلة في اقتناء الكتب العربية(!) وإنشاء مكتبات خاصة، ويذيعون جهرا في كل مكان أن ذلك الأدب العربي جدير بالإكبار والإعجاب!

ولئن حاول أحد إقناعهم بالاحتجاج بكتب النصارى فإنهم يردّون عليه باستخفاف، ذاكرين أن تلك الكتب لا تحظى باهتمامهم!.. وا مصيبتاه! إن النصارى قد نسوا حتى لغتهم الأم، فلا يكاد اليوم واحدا في الألف يستطيع أن يدبج رسالة بسيطة باللاتينية السليمة، بينما العكس من ذلك، لا تستطيع إحصاء عدد من يحسن منهم العربية، حتى لقد حذقوه وبزوا في ذلك العرب أنفسهم».

إن سحر أسلوب المعيشة العربي قد اجتذب إلى فلكه الصليبيين إبان وقت قصير، كما تؤكد شهادة الفارس الفرنسي «فولشير الشارتي» وها نحن الذين كنا أبناء الغرب قد صرنا شرقيين!، ثم راح يصوّر أحاسيسه وقد تملّكه الإعجاب بالسحر الغريب لذلك العالم العجيب بما يعبق به من عطر وألوان، تبعث النشوة في الوجدان، ثم يتساءل بعد ذلك مستنكرا: «أفبعد كل هذا ننقلب إلى الغرب الكئيب؟!، بعد ما أفاء الله علينا وبدّل الغرب إلى الشرق»[1].

وقد أوردت كارين آرمسترونج نص «ألفارو» الذي أوردناه عن هونكه، منذ هنيهة، وذلك في كتابها «الإسلام في مرآة الغرب محاولة جديدة في فهم الإسلام»[2] ، وقالت قبل عرضها له: «كانت العلاقات المسيحية الإسلامية جيدة عادة، كان المسيحيون –مثل اليهود- ينعمون بحرية دينية كاملة ضمن الإمبراطورية الإسلامية، **وكان معظم الإسبان يشعرون بالاعتزاز لانتسابهم إلى الثقافة العربية الإسلامية الرفيعة التي كانت متقدمة على غيرها بسنوات مشرقة كثيرة».**

(١) الله ليس كذلك، ص ٤٢- ٤٣.

(٢) ص ٢٢.

كما أورده ويل ديورانت في موسوعته (قصة الحضارة)[3] فقال: «وكان المسيحيون من رجال الدين وغير رجال الدين يفدون بكامل حريّتهم وهم آمنون من جميع أنحاء أوربا المسيحية إلى قرطبة، أو طليطلة، أو إشبيلية طلاباً للعلم، أو زائرين، أو مسافرين. **وقد شكا أحد المسيحيين من نتيجة هذا التسامح بعبارات –يقصد ألفارو- تذكرنا بشكاية العبرانيين القدماء من اصطباغ اليهود بالصبغة اليونانية فيقول: «إن إخواني المسيحيين يُعجبون بقصائد العرب وقصصهم، وهم لا يدرسون مؤلفات فقهاء المسلمين وفلاسفتهم ليردّوا عليها ويكذبوها، بل ليتعلموا الأساليب العربية الصحيحة الأنيقة... وا حسرتاه! إن الشبان المسيحيين الذين اشتهروا بمواهبهم العقلية لا يعرفون علماً ولا أدباً ولا لغة غير علوم العرب وآدابهم ولغتهم؛ فهم يُقبلون في نهم على دراسة كتب العرب، ويملؤون بها مكتباتهم، وينفقون في سبيل جمعها أموالاً طائلة، وهم أينما كانوا يتغنّون بمديح علوم العرب».**

والغريب أن ألفارو هذا هو من اشتكى من قومه، يقول ديورانت تحت عنوان: «الكنيسة في الحضيض» (١٣٠٧- ١٤١٧) وقد رفع الأسقف الأسباني ألفارو بلايو عقيرته بقوله: «إن الذئاب تسيطر على الكنيسة وتمتص دماء الشعب المسيحي».

إن ذلك كله يؤدي عند العقلاء إلى ربط الوحي والقرآن بنتائج فاعلية علمه المنشئ للعلم العقلي والتجريبي، المادي والسببي، الروحي والوجداني والشعوري، ولكن عملية الحجب والعزل، الكتمان والستر، كانت وما زالت تتم لتغييب الحقائق العليا، والمحسوسة في التاريخ، فمِن زرْع الوحي نبتت علوم الحياة، التي استفادت أوروبا والغرب منها أيّما استفادة.

«ولقد كان النموذج الإسلامي قائماً حول أوروبا من الشرق والغرب والجنوب، بل إنَّ أوروبا لم تعرف العلم الحقيقي إلا حين أرسلت أبناءها يتعلّمون في مدارس المسلمين في الأندلس والشمال الإفريقي وصقلية الإسلامية؛ فلئن كانت الكنيسة قد ارتكبت حماقاتها بمعاداة العلم والعلماء، فلقد كان الحلّ هو نبذ دين

(٣) ج ١٣، ص ١٩.

الكنيسة الفاسد، لا نبذ الدين كله، وقد رأوا نموذجاً مفلحاً منه في العالم الإسلامي... ولئن كانت «المكايدة» هي العملة المتبادلة بين الكنيسة من جهة والعلماء من جهة، فلقد كان المقتضى السليم لذلك هو أن يرد العلماء للكنيسة إلهَها المزيف الذي تعذب العلماء باسمه وتطاردهم، ويفروا إلى الله الحق الذي وجدوه معبوداً عند أولئك العلماء الأفذاذ الذين تتلمذوا عليهم وتعلموا العلم على أيديهم، والذي وجدوا العبادة الصحيحة له تخرج مثل هؤلاء الأفذاذ، وتتيح لهم حرية البحث العلمي بلا قيود»[1] ، **لكن مجرى الأحداث والتاريخ سار بسيناريو مختلف تماماً.**

الطريق إلى العلمانية الصلبة ثم السائلة

أما الانقلابات الكبرى، والتبدلات الضخمة فقد بدأت مع بداية القرن التاسع عشر، وجاء «دارون»[2] فكتب كتابه «أصل الأنواع» سنة ١٨٥٩م، ثم في سنة ١٨٧١م نشر كتابه في «أصل الإنسان» وادّعى أن أصله حيوان! وهكذا بدل أن تترفع الحضارة الغربية إلى مستوى الحضارة الإسلامية والكرامة الإنسانية التي حرصت عليها، نزلت إلى مستوى «الحيوان»[3].

في البداية وقفت الجماهير في جانب الكنيسة ضد نظرية دارون: فقد عزَّ عليها بطبيعة الحال أن يصمها دارون بالحيوانية، وينزع عنها «قداستها» وتميزها ورفعتها، حين ينزع عنها كرامة الإنسان ويردّها إلى أصل حيواني. ولكنها - رويداً رويداً - في المعركة الحادة التي قامت بين دارون وبين الكنيسة غيّرت موقفها! فقد وجدت أن هذه فرصة سانحة للإجهاز على ذلك الغول البشع الذي يضطهد الناس بسلطان الدين. ونسيت الجماهير بعد فترة كرامتها الإنسانية، وفرحت بالانطلاق والتحرير، ولو في إهاب الحيوان![4].

ثم جاء «فرويد»[5] فاستخدم نظرية «دارون» في أصل الإنسان، وقال بأن هذا الإنسان هو ذو نفسية جنسية تسيطر على كل تصرفاته، حتى الدين، فهو نتيجة لعملية كبت جنسي قديم تجاه (الأم)!! التي قام الأولاد من أجل الحصول عليها بقتل أبيهم.. ثم أظهروا الندم فعبدوا (الوالد) ثم «الطوطم»[6] ثم ظهرت الأديان تباعاً نتيجة هذه العقدة المرضية التي حدثت للأولاد من كبت الجنس وقتل الأب! ويطالب «فرويد» بإطلاق الغرائز والتحرر من الدين للخروج من الكبت الموروث![7].

يقول «يونج» أحد تلاميذ فرويد المقربين: «لقد قال لي فرويد إننا ينبغي أن نحطم كل العقائد الدينية» وقال لي: ينبغي لنا أن نجعل من الجنس عقيدة!!![8].

ويقول المسيري إن فرويد وأمثاله من اليهود الذين يقومون بتقويض الذات الإنسانية يقومون بعملية تقويض جذرية: «وهم أيضاً يغوصون في ظلمات النفس البشرية، ويصلون إلى عناصر الهرطقة المكبوتة التي تتحدى المعيارية القائمة، فيقومون باكتشافها وبلورتها ودغمها نحو المركز... يقومون بإحلال النص المهرطق مكان النص المقدس، **وهم بذلك يحوّلون الخارجي إلى داخلي، والعكس بالعكس،** ففرويد يتولى تعرية الرغبات المهرطقة في الذات الإنسانية، **ودريدا سيد التقويضيين... فهناك في كل أنحاء العالم (مثقفون يهود)- بالمعنى المجازي أو الوظيفي- جعلوا همهم** فتح النصوص المقدسة عن طريق إعلان أن النص المقدس صامت يمكن أن يحمل أي معنى يريده المفسّر، ثم قاموا بإعادة تفسيرها وتحميلها معنى مهرطقاً حتى يسود الظلام وتهيمن

(١) مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ص ٤٨٠.

(٢) تشارلز روبرت دارون العالم البريطاني الطبيعي الشهير، (١٨٠٩-١٨٨٢م)، نال وسام الاستحقاق الروسي سنة ١٨٧١ وفي عام ١٨٧٨ صار عضوا في الأكاديمية الفرنسية. عمل سكرتيراً للجمعية للجيولوجية من سنة ١٨٣٨ إلى ١٨٤١ - بتصرف من «الإسلام ونظرية دارون» لمحمد أحمد بشميل ص ١٩، ٢٠.

(٣) في بداية شهر أغسطس ١٩٩٨م أعلنت نشرات الأخبار الهولندية أنهم اكتشفوا بعض فصائل الحيوانات يمارس بعض الذكور منها الجنس مع الذكور فقالوا بأن هذا دليل على أن هذه الممارسة في عالم الإنسان - الذي زعموا أنه من أصل حيواني!- ممارسة مشروعة بدليل وجودها في عالم الحيوان!!

(٤) التطور والثبات في حياة البشرية، محمد قطب ص ١٩، ٢٠.

(٥) هو عالم نفس «يهودي نمساوي!» ولد عام ١٨٥٦ وعمّر طويلاً حتى مات في عام ١٩٣٨. ألّف نحو ثلاثين كتاباً في الدراسات النفسية.

(٦) الطوطم هو حيوان أو نبات أو أي ظاهرة طبيعية أو أي شيء آخر مقدس لدى جماعة أو قبيلة أو جنس من الشعوب الوثنية، ويرمز للجماعة ويحميها، وأول طوطم عند فرويد هو السلف المتحد وبعد ذلك يمثل الإله الحيوان أو أنه يحمل صفات الحيوان، انظر: النبي موسى والتوحيد، لفرويد، ص ١٠٥.

(٧) وسيأتي تفصيل ذلك في موضعه من هذا الفصل.

(٨) في كتابه: ذكرياتي عن فرويد 'Memorials of Freud' والذي صدر في الستينيات، انظر: مذاهب فكرية معاصرة ص ١٢، ١١٥.

العدمية»[1] وهنا تؤول العلمانية إلى دورها الأخير، دور السيولة وفقدان المرجعية!

فالمرجعية النهائية هي - في الحقيقة- إنكار المرجعية، والمطلق الثابت الوحيد هو النسبي المتغير، وهذا هو ما يُعبر عنه الفكر المادي بالقول «لا ثبات إلا لقوانين التغير». ومع هذا تظل هناك الداروينية وفكرة البقاء للأقوى باعتبارها المرجعية الوحيدة الثابتة في عالم الواحدية السائلة وما بعد الحداثة والنظام العالمي الجديد»[2].

ومن المعلوم أن العلمانية ليست مجرد تعريف، كما قال المسيري، وإنما ظاهرة لها تاريخ، وتظهر من خلال حلقات متتابعة...إنه في المراحل الأولى من هذه المتتالية تسود العلمانية الجزئية، حينما يكون مجالها مقصوراً على المجالين الاقتصادي والسياسي، وحين تكون هناك بقايا مطلقات مسيحية وإنسانية، وحين تتسم الدولة ووسائل الإعلام وقطاع اللذة بالضعف والعجز عن اقتحام (أو استعمار) كل مجالات الحياة، وحين تكون هناك معيارية إنسانية أو طبيعية / مادية. ولكن.. في المراحل الأخيرة، ومع تزايد قوة الدولة ووسائل الإعلام وقطاع اللذة، وتمكنها من الوصول إلى الفرد وإحكام القبضة عليه من الداخل والخارج، ومع اتساع مجال عمليات العلمنة وضمور المطلقات واختفائها، وتهميش الإنسان، وسيادة النسبية الأخلاقية، ثم النسبية المعرفية (باهتزاز الكليات) تظهر العلمانية الشاملة في مرحلتيها: الصلبة والسائلة..» [3].

ثم جاء «دوركايم»[4] فجعل الإنسان مميع الشخصية، فلا شيء ثابتا في حياته، لا القِيم، ولا الفطرة، ولا الدّين، فكلّها تخضع للتطوير والتبديل «فهو يريد أن يلغي شخصية الفرد إلغاءً تاماً ويلغي إرادته» ليخضع لقهر خارجي.

(١) الحداثة وما بعد الحداثة، عبد الوهاب المسيرى وفتحى التريكي، دار الفكر المعاصر، الطبعة الثالثة، ٢٠١٠، ص ١٤١، ١٤٢.

(٢) العلمانية الشاملة، عبد الوهاب المسيري، ج ١، ص ٢٤٢.

(٣) المرجع السابق، ج ١، ص ٢٢١.

(٤) إميل دور كايم أو دورك هايم أو دور كحاييم، عالم اجتماع يهودي فرنسي (١٨٥٨- ١٩١٧) له كتبٌ من أشهرها (مقدمة في علم الاجتماع)، انظر مذاهب فكرية معاصرة، ص ١١٤.

وقال - كغيره من فلاسفة أوروبا- بأن الدّين والأسرة والزواج أشياء ليست فطرية، فهي ظواهر اجتماعية تخضع لتطور المجتمعات! والآن.. يوجد تطور.. – ويعلّق الأستاذ محمد قطب على كلامه: فلتكن الهمجية.. وأهلاً بالجريمة فهي ليست ظاهرة اجتماعية معتلة! (هكذا تؤدي نتائج النظرية وتفسير نتائجها عند الأستاذ محمد قطب)، وإنما هي ظاهرة اجتماعية طبيعية ومفيدة للجميع!!: «ومن ثم تكون الجريمة الظاهرة الوحيدة التي تنطوي بصفة لا تقبل الشك على جميع أعراض الظاهرة السلبية»[5]: «ولكن معنى ذلك أيضا أننا نؤكد من جهة أخرى أن الجريمة عامل لا بد منه لسلامة المجتمع، وأنها جزء لا يتجزأ من كل مجتمع سليم»![6].

وبعد دوركاييم بدأت المذاهب المنحرفة الأخرى في الظهور، وأصبحت تظهر بسرعة التطور والتحول في مناحي الحياة التي تحتل العلمانية مواقعها ومجالاتها، وكما يقول العلماني القمعي جابر عصفور: «ومِن ثم ظهور نظريات واتجاهات جديدة تحل محل نظريات واتجاهات تنسحب من بؤرة المشهد... حتى إن الفيلسوف الواحد ينتقل من نظريته إلى غيرها»، ويضيف عصفور:» لانسحاب الأضواء عن النزعة البنيوية التي عرف بها تودوروف... انصراف تودوروف نفسه عن البنيوية التي هجرها إلى نظريات الخطات الأحدث»[7]. حتى ظهرت أعراض الخلل في النفس البشرية في هذه الحضارة التي أخذت من المسلمين نصف حضارتهم وتركت النصف الأهم وهو عقيدة الإسلام الشاملة أو شريعة الإسلام الكاملة، التي فيها سعادة الإنسان مدنياً واجتماعيا، دنيوياً وأخروياً.

إعلانات الموت العبثية المؤدية للانهيار والسيولة

أعلنت المذاهب الجديدة «الغربية» انفصالها عن السماء، وتحللها من القيم الربانية ثم الإنسانية القديمة، أعلن نيتشة - مثلاً- «أن الله قد مات»!، فأعلنت استغناءها عن الله سبحانه، تعالى عمّا يقولون، وهي

(٥) انظر: قواعد المنهج في علم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، ص ١٢٨.

(٦) نقلاً عن التطور والثبات في حياة البشرية، ص ٢٢٤.

(٧) آفاق العصر، جابر عصفور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة ١٩٩٧م، ص ١٣١.

تأكل وتشرب من كونه وأسباب الحياة الطبيعية التي أبدعها أحسن إبداع وسخّرها لهم أعظم تسخير، وبالتالي استغنوا عن الشريعة والدين والأخلاق والأسرة، بل وأخيرا بإعلان موت الإنسان عن «الإنسان»! وقد عبّر ميشيل فوكو عن نهاية الإنسان، بل موته في الغرب، وفلسفاته الأخيرة في آخر صفحات كتابه «الكلمات والأشياء»، قال فيها: «موت الله والإنسان الأخير متلازمان»! وقال: «الإنسان سوف يندثر مثل وجه من الرمل مرسوم على حد البحر»، و«الإنسان مشرف على الموت»[1]، ومن المعلوم أن فوكو شرعن الخروج عن الأسرة والعلاقة الطبيعية ودافع عن الأسر الجديدة، وله كتب معروفة في فلسفة ذلك وفلسفة المثلية، والشذوذ باعتباره صحة وقوة في المجتمع.

إن الدكتور المسيري يبين لنا –تبعاً لهايدجر- أن تضمينات كلمة نيتشه المشهورة لا تشمل الإله وحسب، بل تشمل الإنسان والكون، بحسب هجوم نيتشه طبعا! (وكان النموذج الذي هاجمه نيتشه هو النموذج المسيحي)، يقول: «ويُلقي الفيلسوف الألماني هايدجر الضوء على عبارة نيتشه بقوله: «إن الإله بالنسبة لنيتشه هو العالم المتسامي .. العالم الذي يتجاوز عالمنا، عالم الحواس.. الإله هو اسم عالم الأفكار والمثاليات والمطلقات والكليات والثوابت والقيم الأخلاقية، ومن ثم يمكننا أن نقول إن العبارة تعني في واقع الأمر: نهاية فكرة المركز الكائن خارج المادة. بل وفكرة الكل ذاتها، باعتبارها كيانا متماسكاً يعلو الأشياء. ومن ثم يسقط المركز بسقوط فكرة الكل المتجاوز، فيصبح العالم أجزاء لا تشكل كلاً ولا مركز لها»[2].

(١) انظر كتابه: الكلمات والأشياء، مركز الإنماء القومي، ترجمة مطاع صفدى وغيره، بيروت، ١٩٩٠م، ص ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤. يقول المسيرى: «إن ماحدث - ويقصد في العلمانية- ليس موتاً للإله نتيجة حلوله في المادة وتوحده بها واستيعابه فيها (فهو متجاوز للطبيعة والمادة)، وإنما هو تعبير عن أن نسيان الإنسان للإله أدى إلى نسيان الإنسان لذاته المركبة الربانية (نسوا الله فأنساهم أنفسهم) (الحشر: ١٩).. بل هو تناس لمقدرة الإنسان على تجاوز العالم المادى وعلى اكتشافه لجوهره الربانى الإنسانى، ولكنه على أية حال، ليس نسياناً كاملا، إذ تظل ذاكرة النور الذى يبثه الإله في الصدور قائمة في أعماق وجدان الإنسان»، العلمانية الشاملة للمسيرى، ج ١، ص ١٩٤. ومعنى جوهره الربانى الإنسانى: قبس الروح المخلوق الذى أصله من الله، أى من عند الله، وقبضة الطين المخالفة بطبيعتها للروح غير المخلوق من قبضة الطين.

(٢) الحداثة وما بعد الحداثة للمسيري وفتحي التريكي، ص ٢٧.

فنيتشه - بمقولته هذه- حاول تحطيم كل «مقدس» و«خير» و«جميل» و«مطلق»: وذلك – كما يقول المسيري- «حتى يتم القضاء تماماً، لا على اليقين المعرفي والأساس الديني للأخلاق وحسب، وإنما يتم القضاء أيضاً على أي يقين معرفي، بل وعلى مفهوم أو فكرة الأخلاق ذاتها»[3]، وبدأ الانهيار مع التطور المادي للحضارة الغربية، وسيطرت الفلسفة العلمانية عليها! تطوَّرت الحضارة لكنها أفسدت الإنسان، تقدَّمت لكنها حطمت إنسانية الإنسان، وأهملت حاجاته الكلية، يكفي أنها جعلته حيوانياً وفسرته جنسياً وسلَّمت زمامه للمجتمع والتطور المُنْحلّ الذي لا يلبّي حاجات الإنسان الإنسانية والاجتماعية، ولا أشواقه الفطرية أو رعايته المتكاملة في الشباب والشيخوخة.

تحررت من الكنيسة والإقطاع البغيض لكنها لم تقبل ديناً بديلاً كانت قد احتكت به في الأندلس والحروب الصليبية، فأخذت علومه واستفادت من منجزاته وعقوله، وأقبلت تحاربه على منوال حروب الكنيسة! فلم تعطِ الفضل لأهل الفضل ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠]، بل أقبلت تحاربه بالاستعمار العسكري تارة، وبالاستعمار السياسي والاقتصادي تارة أخرى، والثقافي على الدوام، وكلنا يعرف تاريخ الاستعمار!

محاولة نقل «العلمانية» إلى العالم الإسلامي:

أثناء ذلك كانت السيطرة على بلاد المسلمين قائمة على قدم وساق فغيّرت تشريعاتها واستوردت قوانين أوروبا لحكم بلاد المسلمين وانطلقت البعثات إلى بلاد أوروبا في القرن الثامن عشر لتتعلم في جامعاتها، وحمل معظم العائدين، فوق العلوم النافعة، مذاهب الفلسفة الغربية التي تعلن استقلال الإنسان عن الله والوحي الإلهي!

ودافع بعضهم عن نظرية «دارون» باعتبارها نظرية راقية! ودافع آخرون عن النظريات الأخرى، والتي يهشم بعضها بعضاً.

وأراد بعضهم تحرير المرأة المسلمة من واقعها الذي تعيشه في ظل الأنظمة ذات الصبغة «غير الإسلامية»، بل أراد تحريرها من الإسلام، وكأن الإسلام يستعبدها

(٣) المرجع السابق، ص ٢٩.

ويقهرها - كما زعموا - حتى ظهر في القرن العشرين من يدعوها إلى التحرر من الأسرة والزواج و«الرجل» إلى غير الأسرة وغير الزواج وغير«الرجل»![1].

علّمتهُم «أوروبا» كيف يمكن أن يتحرروا من الأسرة والعلاقات الثابتة بين الجنسين، وأن يلفظوا مبادئهم في تربية الإنسان وصنع المجتمعات، وأن يدفعوا بالمرأة في طريق شائك مهلك للجسد وممزق للروح ومؤدٍّ إلى عدم الاستقرار والأمن والسكينة، علّموهم ذلك كله، حتى ظهر منهم أخيرا من نادى بانتهاك كل محرّم، وأن القيام بذلك هو «الفضيلة الكبرى»![2].

وعيّنوا - حديثا – د. محمد أركون في جامعة السوربون بفرنسا، ليقول للمسلمين: يجب أن تُنتهك كل المحرمات الدينية والفكرية![3].

واخترع د. حسن حنفي[4] ما يسمى باليسار الإسلامي، واعتبر «أن الإنسان هو القادر على كل شيء»[5] وأنه قادر قدرة مطلقة[6]وأن الإنسان خضع في حال العجز لله!

و نادى د. نصر حامد أبو زيد[7]، بإخضاع القرآن لنظرية غربية / مادية تنكر الخالق وتؤول الوحي الإلهي على أنه إفراز بيئوي أسطوري، ناتج عن المعرفي التاريخي الغارق في الأسطورة[8].

وحتى صنعوا طائفة «العلمانيين» العرب، وغيرهم من أبناء الأقطار الإسلامية من غير العرب ليدّعوا بكافة الطرق، المباشرة والملتوية، إلى نبذ الدين وطرد الشريعة وتحقير الأسرة وتمجيد النمط الغربي في الحياة، وبحجة «الحداثة» دعوا إلى القطيعة مع ثوابت الإسلام وشريعته ومبادئه، وقال أساطينهم إنه لا سبيل لتحديث البلاد العربية والإسلامية إلا بتخلّيها عن الإسلام! البعض قال هذا تصريحاً والبعض الآخر قاله تلميحاً!

يقول أحد كبرائهم، د. محمد أركون: «إن الخط التحديثي الواجب احتذاؤه هو خط العلمانية والعقلانية في مواجهة «الشريعة»[9]، ويقول: «خط الغرب العقلاني والعلماني والليبرالي»، لذلك فإنه يدعو إلى هذه «الحداثة العقلية والفكرية»[10] مقلداً للفكر الفلسفي الغربي!

هذه «الحداثة» التي دمّرت الغرب ومزقت ببطء «الثابت» و«النهائي» «بلفظ محمد أركون» ولذلك فهي لا تستمد مشروعيتها إلا من الفلسفة الإلحادية والعقل المستقل عن «الوحي»، ولذلك فإن العلمانيين العرب يرفضون «المشروعية الإسلامية» و«المرجعية الدينية» تقليدا للفكر والحداثة الغربيين وسيراً على خط الحداثة في مواجهة الوحي والشرعية تأصيلاً للمشروعية العلمانية

(١) مشروع نوال السعداوي.

(٢) سيأتي نص كلام أدونيس في ذلك، في الفصل الذي خصّصناه عنه في هذا الكتاب، وأدونيس هو علي أحمد سعيد، شاعر سوري مشهور، غارق في الإلحاد والإباحية. وبحسب كتاب الثقافة العربية في المهجر فإن «أدونيس» هو ممثل جامعة الدول العربية لدى اليونسكو «بالإنابة»، وله كتاب «الثابت والمتحول، بحث في الاتباع والإبداع عند العرب»، وصدر له عن دار الأدب، ببيروت «النص القرآني وآفاق الكتابة» طبعة ١٩٩٣م.

(٣) كتبتُ ذلك قبل عام ٢٠٠٠، وقد توفى أركون عام ٢٠١٠، وهو مفكر علماني جزائري، ومدير معهد الدراسات العربية والإسلامية في جامعة السوربون، له كتب وبحوث، أكثرها منشور بالفرنسية، مثل: الفكر الإسلامي، قراءة علمية وله بالعربية «تاريخ الفكر الإسلامي» و«المفكر الإسلامي» و«الفكر الإسلامي قراءة علمية» وغير ذلك مما ترجم حديثاً، وقد خصّصتُ له فصلا خاصا في كتابنا هذا.

(٤) د. حسن حنفي، مصري، وهو أستاذ في كلية الآداب بجامعة القاهرة.

(٥) من العقيدة إلى الثورة، حسن حنفي، ج ٣، ص ١٨٠.

(٦) انظر: من العقيدة إلى الثورة، ج ٤، ص ٥٨، وانظر كتاب لسنج في تربية الجنس البشري، ص ١٤٩، نقلاً عن «المثقفون العرب والتراث»، لجورج طرابيشي، ص ١٤٣ و١٤٨.

(٧) كان أستاذا بقسم اللغة العربية بكلية الآداب بجامعة القاهرة. تلقى في سنة ١٩٧٥ منحة من مؤسسة فورد للدراسة في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وفي سنة ١٩٧٨ حصل على منحة من دراسات الشرق الأوسط، بجامعة بنسلفانيا بالولايات المتحدة، وفي عام ١٩٩٥ أصبح أستاذا زائرا في جامعة ليدن بهولندا، حتى سنة ٢٠١٠م. ومدينة لاهاي تبعد عني بالقطار مدة عشر دقائق فقط، حيث كتبتُ هذا الكتاب.

(٨) اسم هذه النظرية «الهرمنيوطيقا»، وهو مصطلح قديم يعود إلى عام ١٦٥٤م، بدأ استعماله في دوائر الاتصالات اللاهوتية، خاصة في الأوساط البروتستانتية ليشير إلى مجموعة القواعد والمعايير التي يجب أن يتبعها المفسر لفهم النص الديني «الكتاب المقدس»، وقد اتسع مفهوم المصطلح – يقول نصر أبو زيد – في تطبيقاته الحديثة، وانتقل من مجال علم اللاهوت إلى دوائر أكثر اتساعا لتشمل كافة العلوم الإنسانية كالتاريخ وعلم الاجتماع والأنثروبولوجي وفلسفة الجمال والنقد الأدبي والفولكلور، من علماء «الهرمنيوطيقا» المفكر الألماني شلير ماخر وويلهلم ديلثي ومارتن هيدجر وجادامر، يقول نصر أبو زيد: «وتعد الهرمنيوطيقا الجدلية عند جادامر بعد تعديلها من خلال منظور جدلي مادي، نقطة بدء أصيلة للنظر إلى علاقة المفسر بالنصّ، لا في النصوص الأدبية ونظرية الأدب فحسب، بل في إعادة النظر في تراثنا الديني حول تفسير القرآن منذ أقدم عصوره وحتى الآن»، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، لنصر أبو زيد، ص ٤٩، وما قبلها.

(٩) تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ص ٢٢٧، ٢٣٢.

(١٠) الفكر الإسلامي قراءة علمية، ص ١٨١.

في مواجهة «المرجعية الإسلامية». يقول د. علي حرب: «هناك معيار يمكن استخدامه للفصل بين العلماني وغير العلماني، هو أصل المشروعية التي يرتكز إليها مجتمعٌ ما في تصوره لهويّته، وفي إرساء نظامه وإدارة وحدته وتسيير شؤونه، ففي المجتمع الديني، تستمد المشروعية، بل المعنى والنظام والوحدة، من خارج المجتمع، من مصدر فوقي، عُلْوي... هذا في حين أن المشروعية، في المجتمع العلماني، هي على الضد من ذلك، تنبع من داخله لا من خارجه(!)... فلا مصدر إذن، لشرعيته غيره»![1].

فالمرجعية في العلمانية هي الإنسان المستقل عن الله، وعن الوحي، وعن الشريعة، وقول د. علي حرب هنا لا يخالف مفهوم العلمانية الغربي، إنه هو هو! لا مكان للدين كمرجعية في العلمانية، ولا شرعية للشريعة، ولا سلطان للوحي.

والمنهجان - بناءً على ذلك- مختلفان، إنهما يشكلان - كما يقول الدكتور العلماني محمد أركون- : «طريقتين مختلفتين في الإدراك والوعي والتفكير والعمل والخلق والمعرفة»[2] ، إذن ليست العلمانية هي فصل الدين عن السياسة فقط!!!

لذلك ينتصر العلمانيون، لا للإسلام كوعي ومعرفة وإدراك وتفكير وعمل، وإنما للعلمانية كمصدر وحيد للمشروعية، كمرجعية شاملة للحياة كلّها، وكما يقول د. أركون: «بصفتها فكراً وطريقة محددة لتشكيل مفهوم جديد عن السيادة والمشروعية»[3].

فالسيادة والمشروعية العليا، في العلمانية ليست للقرآن ومنهجه في الحياة، يقول أركون «إن القرآن يؤسس وعياً خاصاً بالعلم والتاريخ والدولة»[4] ، وهو ينادي، ويطالب بالاقتداء بتاريخانية القرن التاسع عشر (العلمانية): «التي توصلت إلى تهميش العامل الديني والروحي المتعالي وحتى طردته نهائياً من المجتمع»[5].

إنه يطالب - كالعلمانيين- بتعبئة كل الجهود للقيام بعملية طرد للإسلام وسيادة ومشروعية القرآن من المجتمع مهما ادّعى أنه لا يريد طرد الدين، وإنما ترك الحرية له حرية الأشواق الدينية المرفرفة!، فالحرية هذه إنما هي فقط في إقامة الشعائر، وهو يطالب بتغيير مفهوم الدين في عقول المسلمين، وإبعاده عن مجالات الحياة السيادية والقانونية والتشريعية والقيمية، ومعنى ذلك من جهة طرد الإسلام من أهم مناحي الحياة التي جاء لها، وقصدها في أولوياته العليا لتحقيق التوازن في النفس والحياة والمجتمع، ومن جهة أخرى قصر هذا الأركون حدود الإسلام عند حدود الشعائر، بل إن الرجل مع التضييق عليها بالتغيير الفكري.

يقول أركون إنه مع أن الدولة الديمقراطية العلمانية تحمي كل الأديان، إلا أنها تتسامح زيادة عن اللزوم!، وهو يرفض الحياد العلماني تجاه موضوعٍ كالحجاب، أي أنه يحرّض ضد الحجاب، ويضرب مثلا على ذلك بأن الباحثين العلميين الذين يرفضون التدخل في الأمر يتحجّجون إما بواجب التحفظ المفروض(!) عليهم من قبل وظائفهم في الدولة العلمانية، وإما بعدم تهيئتهم نفسيا وفكريا لهذا النوع من العمل ... «منذ زمن طويل وأنا أدين من دون نجاح هذا الفراغ الفكري والعلمي واللاهوتي والفلسفي في الدولة العلمانية الديمقراطية الحديثة. وينكشف هذا الفراغ أكثر فأكثر كل يوم عن طريق المناقشات التلفزيونية المنظمة باستمرار حول مواضيع متكررة كالحجاب والبرقع والشريعة والمآذن والمساجد... نلاحظ أن المسؤولين السياسيين يفضلون الاحتماء خلف الحياد العلماني الذي يشكل قدس الأقداس»[6].

ويقول أركون إن الكنيسة قبلت أخيرا بمبدأ فصل الدين عن الدولة وهو المبدأ الذي سواه قانون ١٩٠٥: «لقد أصبح هذا القانون العلماني ضروريا منذ الآن فصاعدا- يقول أركون- من أجل احتواء تطرفات الإسلام الشعائري الطقوسي الدوغمائي الأصولي المسيس في آن معاً»[7] ، يقصد كما تقدم من كلامه مواضيع كالحجاب والنقاب والمآذن والمساجد!

إن ما يغيظ أركون أو كان يغيظه، هو أن الدولة العلمانية تراعي رجال الدين التقليديين «ويراعونهم أكثر

(١) في كتابه نقد الحقيقة، ص ٥٧.
(٢) الفكر الاسلامي قراءة علمية، ص ١٨١.
(٣) المرجع السابق، ص ١٨٢.
(٤) المرجع السابق، ص ٧٢.
(٥) المرجع السابق، ص ٦٨.

(٦) نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية، ترجمة وتقديم هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠١١، ص ١٧٢.
(٧) المرجع السابق، ص ١٧٢.

من اللزوم»! فيقول: «إن مراعاة الدولة العلمانية الفرنسية أو الإنكليزية أو الألمانية أو الأوروبية عموماً لرجال الدين التقليديين تتم على حساب الاستنارة والفهم الجديد والمتسامح للدين الإسلامي»، فالدين الإسلامي: «يثير ردود فعل تساهلية أو تسيبية –يقصد من التسيب- ، وحتى نوعا من الدعم الطائش وغير المتعقل لدى محبيه بشكل زائد عن الحد في الغرب نفسه»، ويضيف: «وهكذا نجد أنفسنا بين قطبين متضادين أو موقفين متطرفين ومتعاكسين: القطب الكاره للإسلام بشكل هوسي لا معقول، والقطب المجذوب إليه بشكل متهور ومن دون أي تروٍّ. وهكذا ننتقل من تطرف إلى تطرف بدلا من أن نفهم مشكلة الإسلام بشكل عقلاني هادئ»، ولكن ما هو هذا الموقف الثالث لأركون؟

وهو يحرّض الغرب على القيام بمزيد من تغيير حقيقة الإسلام: «ولكن إذا كانت سياسة التسوية الوسطية ضرورية من أجل إيقاف العنف في المجتمع –يقصد الغربي- وحمايته منه، فإنه لا ينبغي الاكتفاء بها، بل ينبغي تجاوزها من أجل التوصل إلى حلول تأسيسية وتدشينية لفهمٍ جديد للدين»[1].

وقال أركون: «ينبغي العلم أن الإسلام أصبح منخورا من الداخل (يقول أركون ذلك مع أنه هو نفسه سخِر ممّن قال من العلمانيين إن الإسلام سينتهي قريبا)، ومضعفا ومتجاهلا ومستخدما كمجرد أداة داخل كل نظام من الأنظمة السياسية القائمة في العالم العربي أو الإسلامي. لكنه في الوقت نفسه دين مجهول في العالم الغربي أو غير العربي، ومشنّع به، أو على العكس، مقرظ ومتقرب منه ومُتلاعب به من قبل هذا الغرب بالذات. كل المواقف المتناقضة تجاهه نجدها في الغرب. لكي أشرح وضع الإسلام أضرب المثل التالي: نلاحظ أن أغلبية المسلمين نزلوا إلى الشارع بعنف من أجل التظاهر ضد ظاهرة كره الإسلام في الغرب أو «الإسلاموفوبيا». كما نزلوا للتظاهر ضد العنصرية، والصور الكاريكاتورية، ورواية الآيات الشيطانية، ومحاضرة البابا في جامعة راتسبونغ، إلخ. لكن القليل جدا منهم هرعوا إلى المكتبات للاستعلام عن المسار التاريخي

(١) المرجع السابق، ص ١٧٣.

الحقيقي لهذا الدين... فالعقلية الدوغمائية الانغلاقية لا تزال مسيطرة في الإسلام، ولا أحد يريد أن يفتح عقله على تساؤلات جديدة بالرغم من كل ما حصل ويحصل!»[2].

ويحاول أركون أن يبرّر بعض التصرفات السياسية تجاه التأفف من المظاهر الإسلامية بقوله إنه في عام ١٩٩٥ تجرأ الرئيس الفرنسي الأسبق جاك شيراك على التحدث والتعبير عن تضايقه «من الانتشار الزائد عن الحدّ لبعض الروائح والألوان والأصوات والألبسة في الفضاء العام للمجتمع. هذا كل ما في الأمر لا أكثر ولا أقل. ومع ذلك فقد ثارت ضده عاصفة من الانتقادات متهمةً إياه بالعنصرية»، وعن الروائح قال: «روائح المطبخ التي تنتشر في أروقة مباني المدن الفرنسية وسلالمها»، إن أركون لا يحاول التبرير فقط وإنما يقدم تفسيرا ساذجا لذلك مع أننا لا نتهم شيراك بالعنصرية التامة، ولكن تفسير أركون للأمر إنما هو تفسير ساذج جدا، يقول: «ينبغي العلم أننا أحيانا نفرح أمام منظر ما، وأحيانا نحبّ شيئا ما، وأحيانا نرغب فيه، وأحيانا نختنق، أو نشعر بالدوخان أو بالرغبة بالتقيؤ، أو قد نشعر بتوعك صحي إذا ما رأينا جسدا مدمى.. إلخ. لا ينبغي أن نفسر كل شيء في الاتجاه السيئ. إن منظر امرأة مغطاة من أعلى رأسها إلى أخمص قدميها بالرقعة الأفغانية السوداء أو النقاب شيء يثير ردود فعل سلبية كبيرة لدى الأوروبيين، بل حتى لدى المسلمين الذين تربوا في بيئات منفتحة تختلط فيها النساء بالرجال»[3].

في مقابل ذلك فإن موقف الفيلسوف العلماني ذي الأصل المسيحي بول ريكور في موضوع الحجاب يناقض موقف أركون التحريضي ضد الحجاب، لكنه يتخذ موقفه هذا ليس من أجل الحرية، لكن من أجل مواجهته بمكر!

يقول بول ريكور: «وأعترف بأني مصدوم فيما يتصل بقضية الحجاب، لأننا لم نقترح على هؤلاء الفتيات المسلمات حلولا أخرى. فيما يتعلق باليهودية والمسيحية نعتبر أنه يجوز الحديث عن علامات لا تثير الانتباه وأخرى

(٢) المرجع السابق، ص ١٨١.
(٣) المرجع السابق، ص ٢٠٠.

تفاخرية؛ فنمنح فرصة للاختيار. فأين هو البديل بالنسبة للحجاب؟ ومن جهة أخرى، ما هو الشكل التفاخري لعلامة كاثوليكية؟ هل هو الشخص الذي يصل إلى المدرسة حاملا صليبا على ظهره؟

لا يمكن أن أمنع نفسي من التفكير بأن هناك شيئا مضحكا في إعطائنا الحق لفتاة مسيحية في أن تظهر مؤخرتها في حين تُحرم فتاة مسلمة من الحق في تغطية رأسها. لنبدأ هنا أيضا في تتبع ما يصنعه الآخرون؟ كيف يتصرف الإنجليز في مثل هذه الحالة؟

إنهم يتقبلون الأمر، وينصحون بارتداء حجاب لا يثير الانتباه.. أما نحن، في فرنسا، فلم نتعلم بعد كيف نعالج هذه المشاكل بطريقة وديّة. بصورة تلقائية سأكون مؤيدا لقبول الحجاب. لأنه لو قبلنا ربما ما كان ليتضاعف ويتكاثر؛ فالرفض سيشجع انتشاره على أبواب المدارس. وسنصل إلى هذه المفارقة التي تؤدي إلى حرمان فتيات من المدرسة التي قد تشكل بحق فرصتهن للارتقاء الاجتماعي وحتى للتحرر من ضغط الأسرة. إنه المفعول المنحرف لقرار المنع. أو أننا سندفع بهؤلاء التلاميذ إلى التوجه صوب تعليم خاص.. حاليا الدول الغربية في علاقة صراعية مع أصولية الإسلام، ... يَنصح هؤلاء الأئمة الفتيات بالصمود وعدم التراجع!، فإننا لن نعرف حينئذ كيف نتدبر الأمر سوى أن القضية انحرفت عن مسارها: فمن جهة نحن أمام دولة علمانية متشددة في معاييرها، وأمام مد إسلامي، من جهة ثانية، يضع قدرات المقاومة لدى ما نسميه دولة موضع اختبار، ويدفعها إلى الخطأ..»[1].

ومع ذلك يعترف بول ريكور أنه لا يعرف شيئاً كثيراً عن الإسلام إلا أنه اندهش لقوته الروحية، كما أنه أشاد ببعض نتائجه في الحياة والمجتمع!!

قال ريكور: «وماذا عن الإسلام؟ إني أنظر إليه من زاوية ثقافية خالصة، وتاريخية، بيد أني لا أعرفه بما فيه الكفاية، ولا أرى ماذا سيضيف حقا إلى ما أجده في التنوع الأقصى لليهودية والمسيحية. غير أن هذا قد يعود ربما إلى جهلي، ويجب الاعتقاد بأنه يتوفر على قوة روحية، لأنه ليس بالعنف فقط، ولا بالغزو اعتنقه ملايين البشر. إنه جهل يتعين تبديده، لأنه يجاورنا منذ زمن بعيد، ويقيم بين ظهرانينا»[2].

وعموما فريكور هو عمود من أعمدة نصر حامد أبو زيد في هرمنيوطيقا نقد القرآن وقلب مفاهيمه، وهو من قال عن الإسلام: «ثم كونه لم ينتج ما أنتجته المسيحية، بالرضى أو بالقوة، أقصد أنه لم يدمج البعد النقدي في اعتقاداته الخاصة. من الخصائص المميزة لليهودية والمسيحية نجاحهما في النهاية في تحقيق زواج صعب بين الاعتقاد والانتقاد»، وأضاف: «فعلمانيتنا لا يمكن أن

---

(١) الانتقاد والاعتقاد، ترجمة حسن العمراني، دار توبقال، المغرب، الطبعة الأولى، ٢٠١١، ص ٥١.

(٢) المرجع السابق، ص ٩٣.

وهنا لا أستطيع أن أحجب عن القارئ أن أعظم فلاسفة فرنسا (ريكور)، الذي تسبب انتحار ابنه في أزمة نفسية وفلسفية له، دعا في مجال الأسرة للاستفادة من المسلمين. فردّا على سؤال: لقد عادت مشاكل العلمانية لتحتل مقدمة المشهد الفرنسي مع قضية الحجاب الإسلامي. أي موقف تتخذونه إزاء هذا الموضوع؟

أجاب ريكور: «علينا أن نؤكد ابتداءً أن الدين الإسلامي أصبح هو الدين الثاني في فرنسا، بعد الكاثوليكية، وأن علينا واجب الضيافة وعلينا واجب الفهم. إننا ننزع بشكل مفرط إلى رؤية المسلمين من زاوية التهديد الأصولي، وننسى بالمقابل التهديد الذي يتعرضون له، أقصد التفكك. هذا على الأقل ما يقوله لي أفضل أصدقائي المسلمين؛ فهم لا ينظرون إلينا بصفتنا الاستعمارية القديمة، أي في علاقة خضوع وقهر وإنما كتهديد بالتفكك. إنهم يحكمون على مجتمعاتنا بكونها سائرة نحو الانحلال ويرفضون أن يلقوا ذات المصير. هنا تظهر مسألة النزعة الإسلامية كنوع من الحماية، من نواحٍ مرعبة، إزاء خطر التفكك. بل إني أذهب إلى حدّ القول بأنه في ضواحينا، يمكن للقدرة المقاومة الخاصة بالأسرة المسلمة، ذات البنية الجماعية التي لا تزال حية بفضل الدين، أن تشكل فرصة أو حظا بالنسبة للمجموعة الصغيرة المُفككة من ثقافتنا الخاصة، من الممكن جدا، في القرب مما نسميه الإسلام، أن يمثل هذا الحضور المكثف فعلا فرصة سعيدة بالنسبة لمجتمعنا، ضد عناصر التفكك الذي تلغمة. إن ما يبقى سليما يمكن أن يشكل عنصرا واعدا بالنسبة لنا.

تعود صعوبة المشكل الذي تشيران إليه، وكل المشاكل التي تقترن به، إلى حداثة الوضع الذي نوجد فيه. نحن هنا مع الدخول المفاجئ للإسلام، إلى القضاء الفرنسي، أمام دين جديد لم يشارك في صنع تاريخنا(!!)، ولم يشكل جزءا من مصادرنا الدينية التي هي أصل بناء وطننا، سواء في العصر القديم، أو خلال القرون الوسطى، ولا حتى أثناء النهضة» (الانتقاد والاعتقاد، ص ٥٠)، ورداً على عبارة ريكور: «إن الإسلام لم يشكل جزءا من تاريخنا»، أقول إن الإسلام شارك في صنع تاريخ أوروبا من ناحية العلم والعقل والتسامح والحرية والنقد الإيجابي لا السلبي الفاسد.

ويقول ريكور: «صحيح أنه كانت للغرب في الماضي علاقات مع الإسلام؛ لكن حين تكون محكومة بالعداوة، فإنها تتموقع في مستوى فكري مرتفع، بين الأطباء، والمحامين والثيولوجيين أو الفلاسفة؛ إذ كان هناك عصر ذهبي يهودي- إسلامي- مسيحي، بيْد أن هذا حدث في القرون الوسطى»، (ص ٥١)، وهنا يعترف ريكور بفضل العصر الذهبي الإسلامي، وهذا يعني مدح الإسلام الذي وضع التعارف والتعايش والتسامح داخل أوروبا القديمة وأسس فيها تنظيرية تلك العلاقة الأصيلة.

يَنظر إليها المسلمون إلا بوصفها فكرة مجنونة صادرة عن دين محرف؛ فحين يسمع إمام أن قوانين الجمهورية أعلى من قوانين الدين، فإنه يسمع شيئا يقع خارج خارطته الإدراكية»[1].

وعلى كلّ حال، فأركون الأشد عداوة وحقداً، لا يفتأ يُحرّض في محاضراته على الإسلام، فيما يخص القرآن والسيرة، والشعائر والملابس، وقانون الإسلام وشريعته، والتفاسير وكتب السيرة وعلماء الأمة، فالرجل ببساطة يدعو للمواجهة الفكرية وإن قال بحرية التدين الطليق باعتبار أن التدين الداخلي من الخيال الرطب ومن كشوفات العلم الأخير ومن ثم احترامه للأساطير، فالتدين عنده خيال رطب لا مانع من الإبقاء عليه؟!

وقد خابت علمانيته القديمة في تحقيق وعودها بإفناء الدين والتدين، فيقول: «...الحداثة التي قد وعدتنا منذ القرن الثامن عشر عبر الثورات الفرنسية والأمريكية بأنها ستحقق التحرير الحاسم للوضع البشري، كانت قد وعدَتنا به عن طريق تحقيق الانتقال النهائي الذي لا مرجوع عنه من المرحلة اللاهوتية للعقل، إلى المرحلة الوضعية ... فإذا بنا نفاجأ بعكس ما تنبأوا به وقالوه. فالواقع أن الذي يحصل الآن هو أننا أُخذنا على حين غرّة بعودة الدين إلى الساحة بمثل هذه القوة. ولهذا السبب يصعب علينا أن نتحكم بهذه العودة المزعومة(!) للدين بطريقة ملائمة أو أن نديرها بشكل خصب ومفيد. ولكن في ما يخص المجتمعات الأوروبية المتقدمة، فإن هذه ليست عودة إلى الدين بقدر ما هي عودة إلى تركيبات جديدة للدين والتدين. فقد أصبح الإنسان الغربي ينتقي أجزاء متفرقة من مختلف الأديان ويُركب منها دينا جديدا يتلاءم مع نفسيته وحاجياته الروحية. وبالتالي إنه يعود إلى تركيبات تلفيقية واستملاكات للدين تعسفية كما هي فاسدة روحانيا ومدمّرة سياسيا»[2].

وعلى الرغم من أن الرجل لا يترك للقارئ مجالا لتفسير كلامه، فكلامه واضح لا يحتاج لكثير تفسير، إلا أن أُناسا ينتسبون للإسلام يدافعون عن الرجل، ونحن سنخصص في كتابنا هذا فصلاً كاملاً لعرض ما يمكن عرضه من مواقف الرجل، إلا أننا قدمنا هنا بعض ما له رابط بموضوع فصلنا، وإنك لتراه ينقد الغرب لدفعه لتطبيق المزيد من نظرياته الإلحادية على الإسلام والمسلمين، وينقد الاستشراق للّحوق به لاستعمال أحدث مناهج العلمانية في هدم الإسلام، وفي نفس الوقت، تراه يدعو لترك مساحة للتدين، بينما هو يثمن المواجهة القديمة مع الدين، ما دام الأمر يتعلق بذكاء المواجهة لا سذاجة الموقف!

يقول: «وقد تهوّر بعض الكتاب وتسرع في إدخال نظريات علمية شديدة الجدة، حتى بالنسبة للغرب الذي اكتشفها كنظرية داروين فيما يخص تطور الأنواع. يمكن أن يقال نفس الشيء فيما يخص طه حسين وعلي عبد الرازق اللذين برهنا على سذاجتهما الفكرية عندما اعتقدا بإمكانية التعرض لموضوعين مشحونين بالتصورات الميتولوجية والدينية والتقديسية في الوقت الذي كانت فيه المسلّمات الوضعية والمنهج الفللوجي تحتقر هذه التصورات بالذات وترميها في الدائرة المظلمة للخزعبلات الخيالية. وقد حاول أصحاب النهضة من العرب والمسلمين- تماماً كما حدث في الغرب- افتتاح التاريخية عن طريق إنكار مكانة الأسطورة ووظائفها»[3].

(١) المرجع السابق، ص ٥٠.

(٢) نحو تاريخ مقارن للأديان التوحيدية، ص ٢٧٨.

(٣) تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ص ٣٢.

٦- ثورات الخوارج
الخروج في عام الجماعة

هيثم الكسواني(*) – خاص بـ «الراصد»

يُثير تمرّد الخوارج على المسلمين في سنة ٤١هـ الكثيرَ من الأسى، ففي ذلك العام اجتمعت كلمة المسلمين بعد خمس سنوات من الخلاف والانقسام والحروب، وسُمّي بعام الجماعة، بعد أن تنازل الحسن بن علي، رضي الله عنهما، عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنه، رغبةً منه في حقن دماء المسلمين، وإعادة الوفاق إلى الأمة.

وحقّق ما أقدم عليه الحسنُ، رضي الله عنه، الخيرَ لهذه الأمة، وحقق بشارة النبي ﷺ، من أن حفيده الحسن سيدٌ، وسيُصلح الله به بين فئتين من المسلمين. يقول الإمام ابن كثير، رحمه الله: «وقد مدَحه رسول الله، ﷺ، على صنيعه هذا، وهو تركه الدنيا الفانية، ورغبته في الآخرة الباقية، وحقنه دماء هذه الأمة، فنزل عن الخلافة وجعل المُلك بيد معاوية حتى تجتمع الكلمة على أمير واحد»(1).

(*) كاتب أردني.

(١) الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، ص ١٥٦٨.

أما الخوارج –في القديم والحديث- فأصحاب مشروع عبثي تدميري، لا يَنظر لخير الأمة أو مصلحتها، فسرعان ما استأنفوا ثوراتهم وحركاتهم التخريبية، غيرَ آبهين بالصلح الذي تمّ بين المسلمين، ولا عودة الوئام إلى صفوفهم. بل العكس من ذلك، فالخوارج «لم يكونوا راضين عن معاهدة الصلح التي أُبرمت بين الحسن ومعاوية، فنيران الثورة التي كانت تتأجج في صدورهم لم تطفئها هذه المصالحة، بل وجدوا فيها تحطيما لطموحهم الذي كان يرمي لأخذ الحكم من كلا الطرفين. وربما شعروا أن هذه المعاهدة تشكل خطرا على كيانهم ووجودهم، فقد يكون تصالحُ الفريقين على حساب تصفيتهم»(2).

وإذا كان مِن محاسن هذا الصلح أنه جمع كلمة الأمة تحت قيادة واحدة، وأدّى إلى أن يستأنف المسلمون فتوحاتهم في مشارق الأرض ومغاربها، فإن من محاسنه أيضًا أن الدولة بدأت تتفرغ للخوارج، وتضيّق عليهم(3).

وقد مرّ بنا مِن قبل أن الخوارج رفضوا التحكيم الذي تم بين عليٍّ ومعاوية، رضي الله عنهما، في أعقاب معركة صفّين سنة ٣٧هـ، فقد اعتبر الخوارجُ التحكيمَ شركًا بالله! وكفّروا الصحابة بذلك، معتبرين أنهم حكّموا الرجال في دين الله، في حين أن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿إن

(٢) د. نايف معروف، الخوارج في العصر الأموي، ص ١١٤ – ١١٥.

(٣) د. علي بن محمد الصلابي، الحسن بن علي بن أبي طالب شخصيته وعصره، ص ٣٧٤ – ٣٧٥.

الحكم إلاّ لله﴾. وقد نتج عن هذا الفهم السقيم لآيات القرآن الحكيم قتال الخوارج للصحابة، الذين رضي الله عنهم ورسوله، واغتيال خليفة المسلمين، عليّ بن أبي طالب، ومحاولة اغتيال عددٍ من الصحابة، أمثال الحسن بن علي ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص، رضي الله عنهم.

هي ذاتها الأفهام السقيمة، التي ترى الصلحَ انحرافاً، ووحدة الأمة شِركاً ينبغي مواجهته وإزالته، لذلك لم يكد الحسن يتنازل لمعاوية في ربيع الأول من سنة ٤١هـ، ويغادر الكوفة، حيث تم التنازل والبيعة، متوجهاً إلى الحجاز، حيث اختار الإقامة، حتى قام الخوارج بأولى ثوراتهم في العهد الجديد، وكانت البداية مِن قبل ٥٠٠ شخص منهم، بقيادة فروة بن نوفل الأشجعي، كانوا قد اعتزلوا القتال أيام عليٍّ، رضي الله عنه، ولم يشاركوا إخوانهم الخوارج في محاربته في معركة النهروان، سنة ٣٨هـ.

لكن ما إن تناهى إلى أسماعهم تولي معاوية الخلافة، حتى عزموا على الخروج من «قُمقمهم» ومحاربة الخليفة الجديد «معاوية»، فهذا الصحابي عندهم كافرٌ منذ حادثة التحكيم، وليس بينهم وبينه إلاّ السيف[1].

وفور تولي معاوية الخلافة استلّ هؤلاء الخوارج سيوفَهم، وقالوا: «جاء ما لا يُشكّ فيه، فسيروا إلى معاوية فجاهِدوه. فساروا حتى قربوا من الكوفة، وعليهم فروة بن نوفل، فبعث إليهم معاويةُ خيلاً من أهل الشام فطردوا الشاميين»[2]، وفي الوقت الذي كان معاوية حريصًا فيه على جمع شتات الأمة بعد الصلح مع الحسن، وتجنّب إراقة الدماء، والعمل على رأب الصدع، وجمع القلوب، وإبداء المرونة مع أنصار عليٍّ، حتى الذين لم يبايعوه منهم في البداية، إلاّ أنه أدرك عظم خطر الخوارج وكارثية ما قاموا به ضد الخليفتين عثمان وعلي، رضي الله عنهما، وأن التساهل معهم خطأ كبير، لذلك كان القرار استعمال القوة معهم[3].

وإزاء الهزيمة التي تعرّض لها جند الشام التابعين لمعاوية على يد الخوارج، في بادئ الأمر، كان على معاوية مواصلة العمل للقضاء على هذه المشكلة الخطيرة، والتي ستتفاقم إذا تُركت، وهنا استعمل معاوية «تكتيكا» آخر، وهو إشراك أهل الكوفة على محاربة الخوارج، ليَحرمهم من الحاضنة الشعبية التي يتقوون بها ضد الدولة، قائلاً لهم: «لا أمان لكم عندي حتى تكفّوا بوائقكم.

فخرجوا إلى الخوارج، فقالت لهم الخوارج: ويلَكم، ما تبغون؟ أليس معاوية عدوّكم وعدوّنا؟ فدعُونا حتى نقاتله، فإن أصبناه كنّا قد كفيناكموه، وإن أصابنا كنتم قد كُفيتمونا.

فقالوا: لا والله حتى نقاتلكم.

فقالت الخوارج: يرحمُ الله إخوانَنا من أهل النهر، كانوا أعلم بكم يا أهل الكوفة، فاقتتلوا فهزمهم أهلُ الكوفة وطردوهم»[4].

وإضافة إلى إشراك قبائل الكوفة بمقاتلة الخوارج، دفعها معاوية إلى إقناع أبنائها المتورطين في الخروج على الدولة وولي الأمر، مستعملاً أدوات متعددة، وليس القوة العسكرية فقط، حتى يتسنّى له تشتيت جمع الخوارج بإبعاد قادتهم، وبالفعل تمكنت قبيلتا طيء وبنو شيبان من إقناع بعض أبنائهما من قادة الخوارج، وقامت قبيلة أشجع بإرجاع ابنها فروة بن نوفل قهرا، بعد رفضه النصح والموعظة، غير أن انسحاب هذه العناصر البارزة لم يمنع الخوارج من اختيار قائد جديد، هو عبد

(١) د. لطيفة البكّاي، حركة الخوارج: نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأمويّ، ص ٥٨.
(٢) الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، ص ١٥٧٢.
(٣) د. لطيفة البكّاي، حركة الخوارج: نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأمويّ، ص ٥٨.
(٤) الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، ص ١٥٧٢.

اللّه بـن أبـي الحوسـاء، ومواصـلة الخـروج وبثّ الفوضى[1].

نظّم ابـن أبـي الحوسـاء صـفوف الخـوارج، وخاض بهم معركة خاسرة انتهت بمقتله ومعظم أتباعه، في ربيع الأول، (وقيل: في ربيع الآخر) من ذلك العام، عُرفت بمعركة النخيلة، نسبةً إلى ذلك المكان القريب من الكوفة، وعُدّت تلك المعركة ثاني ضربة قويّة تلقّاها الخوارج بعد معركة النهروان، نظرًا لعدد الذين هلكوا فيها وقيمتهم[2].

وبعد مقتل ابن أبي الحوساء، آلت قيادة الخوارج إلى حوثرة بن وداع الأسدي، وكان في ١٥٠ من أصحابه، اجتمعوا مجددًا في النخيلة، وانضمّ إليهم الناجون من المعركة السابقة، وقد كان حوثرة يرى صحّة قتال الخوارج لعليٍّ، إذ كان يعيب على فروة تركه القتال واعتزاله[3].

ولم يكن حالُ الخوارج في هذه المرة بأحسن من حال أسلافهم، إذ قامت قبائل الكوفة مرّة أخرى لتحاربَهم، وهو ما دعا حوثرة إلى أن يخاطبهم بقوله: «يا أعداء اللّه: أنتم بالأمس تقاتلون معاوية لتهدّوا سلطانه، واليوم تقاتلون معه لتشدّوا سلطانه»[4]! في إشارةٍ منه إلى أن أهل الكوفة كانوا إلى وقت قريب في صفّ عليٍّ والحسن ضد معاوية.

وفي تفسيرها لتغيّر موقف أهل الكوفة من الخوارج، ترى د. البكاي أن القبائل أدركت قوة معاوية، إضافة إلى نفور بعضهم من الخوارج بسبب موقفهم من عليٍّ وخروجهم عليه ثم قتله، كما أنها لم تستبعد أن بعضَهم حارب الخوارج رغبةً منهم في إنهاء الحروب والانقسامات التي عاشتها الأمة، والعودة إلى الوحدة[5].

(١) د. لطيفة البكّاي، حركة الخوارج، ص ٥٩، و د. نايف معروف، الخوارج في العصر الأموي، ص ١١٥.
(٢) د. لطيفة البكّاي، حركة الخوارج، ص ٥٩.
(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، نسخة إلكترونية، أحداث سنة ٤١هـ.
(٤) د. نايف معروف، الخوارج في العصر الأموي، ص ١١٦.
(٥) د. لطيفة البكّاي، حركة الخوارج، ص ٦٠.

نجح معاوية، رضي اللّه عنه، في الثبات على هدفه الاستراتيجي بمحاربة الخوارج والقضاء عليهم للحفاظ على وحدة الدولة الإسلامية مع ابتكار الأساليب المتعددة في محاربتهم، وهو ما جاء انعكاسا لشخصيته وحنكته ودهائه، فإضافة إلى سياسته بإشراك قبائل الكوفة في محاربة الخوارج، والطلب منها استرجاع أبنائها من أيدي الخوارج المتمردين، حاول معاوية التأثير على قائد الخوارج، حوثرة، من خلال إرسال والده إليه ليقنعه بالانسحاب، فلم يسمع حوثرة لنداء والده، ولم يزده ذلك إلاّ قساوة، فعرض أن يُرسل إليه ابنه لعلّه يثير فيه عاطفة الأبوّة، لكن حوثرة ظلّ على عناده وقسوته، كما هي عادة الخوارج، بل قال: «أنا إلى طعنةٍ من يد كافر، أتقلب فيه ساعة أشوق مني إلى ابني»[6].

عند ذاك، يئس معاوية من حوثرة والخوارج، فأرسل إليهم عبدَ اللّه بن عوف، في جمادى الآخرة من العام نفسه، في ألفي مقاتل، فألحقوا بالخوارج هزيمة منكرة، وقُتل حوثرة وأكثرُ أصحابه، ومِن غريب ما يُذكر في هذه المعركة أن قاتلَ حوثرة (ابن عوف) ندم عندما رأى أثر السجود على جبهة حوثرة، ظنًّا منه أنه قَتل إنسانا صالحًا ورِعًا، وأنشد في ذلك يقول:

قتلتُ أخا بني أسدٍ سفاهاً
لِعمر أبي فما لقيتُ رشدي
قتلتُ مصلياً محياء ليلٍ
طويلَ الحزن ذا برٍّ وقصدِ
قتلت أخا تقىً لأنال دنيا
وذاك لشقوتي وعثار جدي
فهب لي توبةً يا رب واغفر
لِما قارفت من خطأ وعمدِ[7]

والحقيقة أن تلك الأبيات من قائد الجيش الأموي المحارِب للخوارج تكشف عن سذاجةٍ

(٦) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، نسخة إلكترونية، أحداث سنة ٤١هـ.
(٧) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، نسخة إلكترونية، أحداث سنة ٤١هـ.

وعاطفةٍ في غير محلّها، وجهلٍ بحال الخوارج الذي بيّنه النبي ﷺ، كما في حديث أبي سعيد الخدري الذي أخرجه الإمام مالك في الموطأ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج فيكم قوم تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وأعمالكم مع أعمالهم، يقرؤون القرآن ولا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرميّة تنظر في النصل فلا ترى شيئًا، وتنظر في القدح فلا ترى شيئًا، وتنظر في الريش فلا ترى شيئًا»، ... وهو ما يتكرّر اليوم مِن قِبل كثير من الناس (بل وبعض العلماء والدّعاة) الذين أحسنوا الظنّ بالخوارج المعاصرين من أفراد القاعدة وداعش وجماعات التكفير، لِما رأوه منهم مِن شدّةٍ في القتال، أو التزامٍ ببعض السنن أو المظهر الإسلامي، أو رفعهم لشعارات الخلافة وتطبيق الشريعة، فلبّسوا على الناس، وحسّنوا لهم أفكار الخوارج وأعمالهم.

لم تنتهِ ثوراتُ الخوارج في عهد معاوية عند هذا الحدّ، بل أخذت تتوالى وتتكاثر، لكن ما ذكرناه آنفا كان يتعلق بالثورات وحركات التمرّد التي أعقبت الصلح الذي تمّ بين الحسن ومعاوية مباشرة، فالخوارج –كما أسلفنا- لم يُعطوا للمسلمين فرصة ليتجاوزوا آثار الحرب والخلاف، أو يلتقطوا أنفاسهم، فأولى الثورات لم يفصلها عن الصلح سوى أيام قليلة.

ولم يضع الخوارج الأقدمون في اعتبارهم وحدة المسلمين، وهو سلوك لا يختلف عند الخوارج المعاصرين، فقد رأينا تنظيمي «داعش» و«النصرة» وما تناسل منهما تشقّ صفّ المجاهدين في الشام كلّما أرادوا توحيد صفوفهم، وتطعنهم من الخلف، وتعتدي عليهم، وتستولي على بلادهم ومناطقهم، وأصبح المجاهدون - بدلاً من أن يُحاربوا النظام النصيري المعتدي وأعوانه ويريحوا البلاد والعباد من شرورهم- ينشغلون بردّ اعتداءات داعش عليهم، ما أدّى إلى تراجع المجاهدين وهزيمتهم على أكثر من جبهة.

أما ثورات الخوارج الأخرى التي شهدها عهد معاوية فنتحدث عنها في العدد القادم إن شاء الله.

المراجع

١- الحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، طبعة مؤسسة المعارف ودار ابن حزم، بيروت، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م.

٢- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، نسخة إلكترونية.

٣- د. علي بن محمد الصلاّبي، الحسن بن علي بن أبي طالب شخصيته وعصره، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، الاسكندرية، ٢٠٠٤م.

٤- د. نايف معروف، الخوارج في العصر الأموي: نشأتهم، تاريخهم، عقائدهم، أدبهم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٥- د. لطيفة البكّاي، حركة الخوارج: نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأمويّ خلال (٣٧ – ١٣٢هـ)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، أيار (مايو) ٢٠٠٧م.

حكاية جماعات العنف من الانحراف إلى فكر الخوارج (١)

أسامة شحادة(*)– خاص بالراصد

تمهيد: تفاقمت ظاهرة الغلو والتطرف والإرهاب في واقعنا المعاصر لتصبح من أكبر التحديات التي تشهدها أمتنا اليوم بعد أن كانت ردة فعل ساذجة، وهذه طبيعة الضلال والانحراف، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالبدع تكون في أولها شبراً، ثم تكثر في الأتباع، حتى تصير أذرعاً، وأميالاً، وفراسخ»[1]، وهذا واقع في تطور فكر جماعات العنف عبر عدة عقود حيث أصبح تكفير غالبية المسلمين هو معتقدها بعد أن كان الدفاع عن المسلمين هو مبرر تشكيلها!

لقد تطورت هذه الجماعات لتصبح جماعات منظمة وقوية، وتسببت بالكثير من الكوارث للإسلام والمسلمين، وأصبحت أيضا أداة في أيدي القوى الدولية والإقليمية، التي آوت قياداتها سنوات طويلة ولا تزال، واستغلتهم ووظفتهم لتنفيذ بعض مخططاتها، كما أن وجود هذه الجماعات وما ارتكبته من جرائم كان السبب لكثير من الغزو والاحتلال والتدمير من الخارج والداخل لعدد من الدول الإسلامية، وتم الاحتجاج بمحاربة الإرهاب من الخارج والداخل للتضييق على الإسلام والمسلمين، مما يساهم بدوره في توسيع دائرة الغلو والتطرف والإرهاب بتوفير مبررات للغضب والتهور من جهة، ويكرّس حالة الجهل بإقصاء ومحاصرة أهل العلم والعمل الإسلامي الصحيح.

إن ظاهرة الغلو والتطرف والإرهاب هي حالة متكررة في التاريخ الإسلامي كما أخبر النبي ﷺ «كلما خرج لهم قرن قطع أكثر من عشرين مرة حتى يخرج في عِراضهم الدجال» رواه أحمد، تبدأ بذرة الغلو والتطرف بالجهل بالإسلام والتهور لتنمو بشكل مدمّر بدعم وتحريض من أعداء الإسلام، بدايةً من ابن سبأ الذي بتحريضه للجهلة من الغوغاء تم قتل الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان، رضي الله عنه.

لقد أضرّ التهاون في علاج ظاهرة الغلو المعاصرة بشكل سليم وشامل بالمصالح الإسلامية بشكل ضخم جداً، ولعل من أبرز هذه الأضرار التي يراها الجميع اليوم قيام الغلاة والدواعش الخوارج وإخوانهم بقتل الثوار في ظهورهم في سوريا والعراق واليمن وغيرها.

نعم، تم تضخيم التطرف والإرهاب الإسلامي عالميا من قبل أعداء الأمة الإسلامية في الداخل والخارج، والتغاضي عن جرائم الإرهاب اليهودي والنصراني والبوذي والشيوعي والعلماني والشيعي، لكن للأسف فإن التطرف والإرهاب الإسلامي أصبح أداة لهؤلاء المجرمين لضرب الإسلام والمسلمين السنّة، فبوصلة هؤلاء المتطرفين هي أولوية حرب المرتدين - وهم في اعتقادهم جمهور المسلمين- على حرب الكفار، ومن أمثلة ذلك إعلان الغلاة أن محاربة حركة حماس مقدمة على محاربة اليهود! وهو يشابه تماما شعار الخميني «الطريق للقدس يمر ببغداد»، والذي طوّر في عهد خليفته خامنئي من أن الطريق للقدس يمر أولاً ببغداد ودمشق وبيروت وصنعاء وبقية العواصم العربية!

ومن اللافت للنظر أن غالب الدراسات عن هذه الجماعات صدرت عن خصوم الإسلام لا المتطرفين وسعت لإدانة الإسلام ذاته من خلال الزعم بأن منهج هذه الجماعات وسلوكها هو حقيقة الإسلام، كما هو الحال في كتابات اليساريين والعلمانيين والإعلاميين العرب وأيضا غالب الدراسات الاستشراقية والغربية، بينما الكتابات

(*) كاتب أردني.

(١) مجموع الفتاوى، ٤٢٥/٨.

الإسلامية قليلة وضعيفة غالبا، وبعضها يركّز على البعد الشرعي بإبراز انحراف هذه الجماعات وتغفل البحث عن السياق التاريخي والسياسي الذي ظهرت فيه، وتغفل عن التوظيف الأمني لها من قبل القوى السياسية والأمنية المحلية والإقليمية والدولية.

في هذه السلسلة سنتناول العوامل التاريخية والسياسية والأمنية والثقافية لظهور جماعات العنف والقتال ومن ثم مسار تطورها التاريخي ومسار تطور انحرافها الفكري والنتائج الكارثية لها على الإسلام والمسلمين، مع التنبيه على الثغرات التي تضخمت وتفاقمت من خلالها هذه الظاهرة السلبية، وسيكون الإطار الزمني والمكاني الذي نتناوله في هذه المقالات منذ انتهاء حقبة الاحتلال الأجنبي وقيام الدول العربية (المستقلة) والتي لم تلبِّ طموحات شعوبها، وتصادمت مع هوية الجماهير مما ولّد مناخا مأزوما، وظهرت فيه ردات فعل عنيفة، عُرفت بجماعات الجهاد.

❖❖❖❖❖❖❖❖

أولاً: الساحة المصرية

الخلفية التاريخية[1]:

مصر تحت الاحتلال:

مع ضعف الدولة العثمانية تعرضت مصر للاحتلال الفرنسي بقيادة نابليون بونابرت عام ١٧٩٨م، لكن لم يتمكن الفرنسيون من البقاء في مصر إلا ثلاث سنوات بسبب مقاومة المصريين للاحتلال ورفض السيطرة الفرنسية برغم مزاعم نابليون أنه لا يريد الإسلام بسوء، وأنه أسلم!!

لكن ضعف العثمانيين واضطراب أحوالهم لم يهيئ لمصر حاكما عادلا يقوم بشأنها، حتى تم تعيين محمد علي باشا عام ١٨٠٥م والياً على مصر باختيار الشعب والعلماء والوجهاء له، فقام بشؤون مصر مع ظلم وبطش، وتعاون مع الأوربيين، وجعل الحكم في ذريته.

سار أحفاد محمد علي على طريقة جدّهم فتعاونوا مع الفرنسيين لشق قناة السويس، وترتب على ذلك وعلى التبذير على أمور لا أهمية لها ديون على مصر للغرب، مما تسبب في بيع نصيب مصر من قناة السويس للإنجليز لسداد الديون!! وفتح الباب أمام النفوذ الأوربي بحجة حماية حقوقها المالية في مصر، حتى وصل هذا النفوذ لدرجة فرض وزيرين أوروبيين في الحكومة المصرية! مما تزايدت معه المظالم والفساد في مصر، ودَعت أحمد عرابي للثورة ضد حكم احفاد محمد علي بتحريض فرنسي وبريطاني.

وعندما شعر الخديوي توفيق بالهزيمة وزال ملكه طلب من الإنجليز حماية ملكه وعرشه، فتدخل الإنجليز وافتعلوا مذبحة للنصارى في الإسكندرية لتكون سبباً لاحتلالهم لمصر عام ١٨٨٢م بزعم حماية رعاياهم، وبذلك بدأ الاحتلال البريطاني لمصر، والذي استمر سبعين سنة (١٨٨٢ – ١٩٥٦).

كان للاحتلال البريطاني مفاسد كبيرة على مصر، على كافة الأصعدة، فقد هاجم هويتها العربية والإسلامية عبر محاربة اللغة العربية وإضعاف الأزهر وتشجيع الحركات الهدامة والأحزاب السياسية العميلة لخلخلة أفكار المجتمع المصري، وحلّ الجيش، وأعاد تشكيله مع تقليل عدده، وأغلق مصانع الأسلحة لإضعاف قوة مصر، وشجّع على نشر الخمارات والحشيش ودور البغاء في كل مكان لإلهاء الشباب ونشر الفساد، فظهر التبرج ونزع الحجاب، وفرض التعليم المدني لمحاربة الدين وإنتاج موظفين ينفّذون له مصالحه على حساب مصالح مصر فتزايدت نسبة الأميّة بشكل رهيب، وسعى الاحتلال لتغيير القوانين وربط الاقتصاد المصري بالصناعات الإنجليزية فخربت الزراعة وتراجعت الصناعة، وصادر الاحتلال استقلال مصر، وألغى البرلمان والدستور، وفرض مستشارين بريطانيين على الوزارات المصرية.

لم يستكِن الشعب المصري للاحتلال البريطاني كذلك، وقاومه بشكل مستمر حتى توجت بثورة ١٩١٩م، والتي كان للأزهر ورجاله والقوى الإسلامية والوطنية الدور الأكبر فيها، وتواصلت المقاومة بعد انطفاء الثورة ضد الاحتلال، وقدّم الفدائيون المصريون بطولات رائعة حتى عجزت بريطانيا عن حماية جنودها وقواعدها في مصر من هجماتهم.

بدأ زوال الاحتلال عام ١٩٥٢م من خلال الإطاحة بالنظام الملكي الذي كان يهيمن عليه الاحتلال، من خلال تعاون الضباط الأحرار وجماعة الإخوان المسلمين، فقد كان لجمال عبد الناصر صلة بجماعة الإخوان حيث يؤكد البعض أنه كان عضوا بتنظيم الإخوان في الجيش المصري منذ عام ١٩٤٤م، لكنه استطاع أن يتجاوز تنظيم الإخوان ويؤسس تنظيما عسكريا جديدا، وأبقى معه فيه أعضاء من الجماعة، وقد قام الإخوان ليلة انقلاب ٥٢ بحماية السفارات والهيئات وضبط الشارع والتصدي لأي تحرك من

(١) انظر: كتاب موجز تاريخ مصر في الحقبة العلمانية ١٨٠٩- ١٩٨٦، أسامة حميد، نسخة الكترونية.

القاعدة البريطانية في القناة تجاه القاهرة ضد الانقلاب[1].

وبرغم سقوط الحكم الملكي إلا أن الاحتلال البريطاني استمر عدة سنوات، ومن خلال المفاوضات بين الثورة والاحتلال تم الوصول إلى اتفاق عام ١٩٥٤م على جلاء القوات البريطانية عن منطقة القناة خلال عشرين شهرًا، وفعلا تم انتهاء الاحتلال البريطاني لمصر عام ١٩٥٦م.

وكان الشعب المصري ينتظر من حكومة الثورة مراعاة مصالحه وهويته ولكن سرعان ما ظهرت الأجندة الخفية لجمال عبد الناصر وحدث الصدام مع قطاعات واسعة من الشعب المصري.

مصر تحت حكم جمال عبد الناصر:

رحب المصريون بالانقلاب على النظام الملكي رغبة بالتحرر من الاحتلال الأجنبي واستعادة حقوقهم وحريتهم ولكن سياسات عبد الناصر فاجأتهم فقد كانت تستهدف إقصاء العديد من القوى والمؤسسات الإسلامية والوطنية التي كانت لها مساهمة فاعلة في تحرر مصر من الاحتلال.

١- قوانين استهدفت الإسلام والمؤسسات الإسلامية الرسمية والأهلية:

فبعد أشهر معدودة من نجاح الثورة ورغم بقاء الاحتلال البريطاني أصدر جمال عبد الناصر مرسوماً بإلغاء الوقف الأهلي، وهو القرار الذي خشي الإنجليز القيام به طيلة احتلالهم لمصر! فصادرت الدولة ١٣٧ ألف فدان من أراضي الأوقاف، التي كانت تدرّ على الأزهر حوالي ٨ ملايين جنيه في السنة، لتطويع الأزهر عبر تجفيف موارده المالية التي كانت تمدّه بالاستقلالية والقوة في وجه المستعمر والمستبد على الدوام، وقد تم استثناء الكنائس من قانون ضمّ الأوقاف!

ومن جهة أخرى، تمكّن عبد الناصر من خلال هذه المصادرة للموارد المالية من شراء ولاءات العلماء بالمنح والمنع، مما يشير لوضوح خريطة عبد الناصر ومعرفته بمن قد يتصدى لأجندته الخفيّة ذات الأيدلوجية الاشتراكية.

وفي عام ١٩٥٣م قام بعض الضباط الأحرار ذوي الخلفية الإسلامية والمشاركين في الثورة مع عبد الناصر بمحاولة الانقلاب عليه بسبب محاولته حذف المادة الثانية من الدستور والتي تنصّ على أن الإسلام دين الدولة، ويبدو أن هذا التحرك دعا عبد الناصر للتراجع عن هذه الخطوة، لكننا وعوضا عن ذلك نجده يحذف هذه المادة من دستور دولة الوحدة بين مصر وسوريا سنة ١٩٥٨م!

ثم قام عبد الناصر في عام ١٩٥٥م بإلغاء المحاكم الشرعية التابعة للأزهر بعد حملة تشويه إعلامية مدبرة، إثر مسرحية مدبرة وتهمة ملفقة لاثنين من قضاة المحكمة الشرعية بالاسكندرية أنهما طلبا رشوة جنسية من إحدى المطلّقات للحكم لصالحها، بحيث أتم عبد الناصر المسيرة الطويلة في العدوان على القضاء الشرعي المصري وحصره في الأحوال الشخصية وإلحاقه أيضا بالمحاكم المدنية العلمانية، تلك المسيرة في هدم القضاء الشرعي التي بدأها نابليون عام ١٧٩٨م، وأكملها الإنجليز، وختمها عبد الناصر باسم التحرر من الاحتلال!

وفي عام ١٩٦١م أصدر عبد الناصر قانون الأزهر، الذي ألغى هيئة كبار العلماء فيه، وقلّص سلطات شيخ الأزهر، وأطلق يد وزير الأوقاف في تعيينات مشيخة الأزهر ووكيله، وحتى يستتبّ له الأمر بدأ بتعيين مجموعة من الضباط من القوات المسلحة كمدراء مؤقتين لإدارة الأزهر للسيطرة عليه والقضاء على أي معارضة من علمائه وشيوخه، كما أعيدت هيكلة مجلس الأزهر بضم ثلاث شخصيات غير شرعية لمجلس الأزهر الأعلى تحت عنوان «خبراء في التعليم الجامعي» وأضيف ممثلون من وزارات الأوقاف والتعليم والعدل والمالية، وشخصيات ذات تخصصات غير شرعية للأزهر لتمييع هويته الدينية، وعبر إدخال عمداء يمثلون مجالات غير دينية في المجلس الأعلى للأزهر، تحوّل الأزهر بذلك من مؤسسة محدودة تتمتع بدرجة عالية من الاستقلالية إلى مؤسسة كبيرة فاقدة لاستقلاليتها.

هذا كله أحدث صِداما داخل المؤسسة الدينية، الممثلة بالأزهر ووزارة الأوقاف، على طريقة «فرّق تسد» مما أضعف الطرفين، لتقوى بضعفهما توجهات أخرى ترى في الاشتراكية والعلمانية الملاذ الأوحد كما صرّح، يوما ما، طه حسين، الوزير والأديب المخضرم.

ولم يقف الأمر عند ذلك، فقد شهد عام ١٩٦٣م إعادة فحص لمواقف علماء الأزهر، ومن ثبت عليه رفض سياسات عبد الناصر وتوجهاته تم فصله عبر لجان شكّلت لهذه الغاية، وكانت النتيجة لهذه السياسات العدائية للأزهر أن انخفض عدد علمائه من ٢٩٨ عالما سنة ١٩٥٩م ليصبح ١٧٠ عالما فقط سنة ١٩٦٨م، مما أضعف الأزهر وأضعف الحالة الإسلامية في مصر.

وعمد عبد الناصر لاستغلال بعض الشخصيات الأزهرية التي لها أطماع في الزعامة والرياسة لتمرير الكثير من سياساته المخربة، وبذلك فقد الأزهر بوصلته، وأصبح تابعاً للحكومة الناصرية الاشتراكية وأجندتها في مصر والعالم

---

(١) شهادة عبد اللطيف البغدادي، في كتاب أحمد حمروش «قصة ثورة ٢٣ يوليو»، ٤/٣٠٩.

العربـي والإسـلامي بـدلا مـن أن يكـون منـبراً للإسـلام ومصالحه.

وضِمن سياساته المعادية للمؤسسات الإسلامية، أصدر عبد الناصر عام ١٩٦٧م قراراً بحلّ الجمعيات الإسلامية المستقلة كأنصار السنة المحمدية والجمعية الشرعية ووضعها تحت وصاية الدولة، وعيّن أحد ضباط الجيش للإشراف عليها جميعاً.

٢- عبد الناصر وخدمة اليهود:

بغضّ النظر عن الاتهامات القوية لجمال عبد الناصر بكونه يهوديا، فإن مسيرته قبل الانقلاب وبعده قدمت خدمات جليلة لليهود برغم الشعارات الرنانة ضدهم، والتي يقلدها اليوم محور الممانعة الإيراني والشيعي.

فعبد الناصر ورفاقه شاركوا في حرب عام ١٩٤٨م وفشلوا في ذلك فشلاً ذريعاً، وحوصروا في منطقة غزة، وقد تفاوض عبد الناصر مع اليهود الذين كانوا يأخذونه لمعسكراتهم بتلك الحجة!

وعقب نجاح انقلاب الضباط الأحرار بقيادة عبد الناصر تواصل مع اليهود في إسرائيل وأخبرهم بنيّته حل الخلاف والصراع معهم، وقبل التفاوض السري معهم سنة ١٩٥٣م بينما رفض العربُ كلّهم التفاوض مع اليهود علنا وسرا!

وقد ضيّق عبد الناصر على مجموعات البدو التي كانت تهاجم إسرائيل في عام ١٩٥٤ وحاكمهم وسجنهم بتهمة مهاجمة إسرائيل وتوريط الجيش المصري، كما لا تزال تفْعل القيادة السورية لليوم بذريعة أنها هي من يختار توقيت المعركة مع إسرائيل!

وبخيانةٍ أو غباء تسبب عبد الناصر بوقوع العدوان الثلاثي على مصر وانتصار اليهود وتسليمهم سيناء والأسلحة والمعدات الضخمة كما فعل نوري المالكي مع داعش في الموصل في ٢٠١٤، وبسبب ذلك وافق عبد الناصر لليهود بالملاحة في مضائق تيران وخليج العقبة بين عامي ١٩٥٦-١٩٦٧ دون أن يعلن ذلك، ومنع الفدائيين من مهاجمة إسرائيل!

ورغم دخول عبد الناصر في حالة حرب مع اليهود سنة ١٩٦٧ من خلال طرد القوات الدولية في سيناء للتغطية على مهادنته للملاحة اليهودية فإنه رفض القيام بالضربة الأولى كما نصحه مستشاروه مما عرّض الجيش المصري، وخاصة الطيران الحربي، للدمار وضربه على أرضه لأنه كان مشغولا بالسهرات الراقصة!

٣- تخريب أحوال مصر:

برغم شعارات عبد الناصر عن الحرية والكرامة والازدهار، إلا أن الديكتاتورية هي التي عمّت مصر، وتراجعت الحالة النيابية والحزبية والإعلامية، وفُتحت السجون وقُتل الأبرياء وجرى تعذيب الآلاف بشكل بشع ورهيب.

وتحوّلت مصر من دولة غنية في زمن الملك فاروق إلى دولة مدينة في نهاية حكم عبد الناصر بسبب الفساد وسرقة خيراتها، وتراجعت خدماتها العامة بعد أن كانت متقدمة وراقية، فتراجع اقتصادها وانهارت عملتها، وبعد أن كانت السودان جزءا من مصر تخلى عنها رائد الوحدة العربية! هذا الوضع الاقتصادي سيفسّر فيما بعد جزءا من اسباب ظهور ظاهرة العنف، حيث يلخّص د. رفعت السيد أحمد العوامل الموضوعية لظهور فكر العنف بـ: الفقر، حيث كانت هناك حزام من مناطق الفقر يحيط بالقاهرة، وظاهرة تقليد الغرب (الاغتراب) وهجران التقاليد والهوية الدينية، وفقدان القدوة لدى النخبة المؤثرة والسياسية[1].

وهنا نتساءل: هل كان النظام الناصري يقصد ويهدف إلى ظهور جيل إسلامي عنيف يبرر له أمام الشعب استمرار وتصاعد سياستة الديكتاتورية كما فعل بشار الأسد ضد الثورة السورية؟ أم أن ذلك كان جهلا وسذاجة بنتائج سياساته القمعية المعادية للحرية والمعادية لهوية المجتمع المصري الإسلامية؟

ففي هذه الأجواء بدأ فكر العنف والتطرف ومسيرة الغلو والإرهاب التي ستتصاعد لتصبح طوفانا عابرا للدول، يدمّر ويخرّب، وبسبب هذه الظروف الموضوعية السيئة والمعادية للدين والإسلام من قبل السلطة العلمانية الحاكمة ظهر جيل يعالج تطرف السلطة وظلمها بتطرف مضاد، حيث كانت البداية مع الشاب نبيل البرعي، مؤسس جماعة الجهاد.

ويقرّر الدكتور محمد مورو أن هناك ثلاثة روافد لفكر العنف في مصر هي: تنظيم الجهاد، وجماعة التكفير والهجرة أتباع شكري مصطفي، والجماعة الإسلامية[2]، وسوف نعتمد على هذه الخطوط الثلاثة لدراسة وفهم تاريخ وتطورات هذه الروافد الثلاثة.

١. جماعة الجهاد، نبيل البرعي ١٩٥٨

خلفية المؤسس:

حين ولدت فكرة هذا التنظيم على يد نبيل برعي في

(١) النبيّ المسلح، رفعت السيد أحمد، ١٣/١.

(٢) الإسلام السياسي، ص ٤٥٤. وأنه يعتمد في هذا التقسيم على صلاته الشخصية بكثير من قادة الجهاد الذين التقاهم في السجن ص ١٧٧.

عام ١٩٥٨ كان برعي يبلغ من العمر آنذاك ٢٢ سنة، ويقول البعض إنه كان عضوا بجماعة الإخوان المسلمين وسجن مع أفرادها لكنه انشقّ عنهم لاحقا[١]، وبحسب رواية نبيل برعي عن نفسه، فإنه قد عثر يوماً ما على أحد كتب ابن تيمية على سور الأزبكية، في إطار اهتمامات شاب متدين بالكتب الدينية، مما جعل د. هاني نسيرة يعلّق على علاقة جماعات العنف بابن تيمية بأنها «جاءت مصادفة»[٢].

وما إن قرأ برعي هذا الكتاب حتى أُعجب بابن تيمية، ثم شرع في البحث عن المجموعة الكاملة لكتبه لقراءتها والتزود منها، ومما أثار إعجاب برعي بشخصية ابن تيمية مشاركته في صدّ الغزو المغولي عن بلاد الإسلام، ومن ثم موته في سجن القلعة بسبب مواقفه السياسية.

تفاعل برعي بسطحية وعاطفية مع شخصية وتجربة شيخ الإسلام ابن تيمية وأنزلها على الواقع السياسي المصري المأزوم بسياسات عبد الناصر العدائية تجاه الإسلام، «واعتبر أن الطريق الصحيح لتعديل مسار العالم الإسلامي يكمن في ممارسة الجهاد، وأن غياب هذا الجهاد هو السبب في الأحوال المتردّية التي يعاني منها العالم الإسلامي... وانتهى نبيل البرعي إلى أن وسيلة التغيير الوحيدة المتاحة أمامه هي العمل السري المسلح»[٣] وأدّى ذلك إلى ظهور أول خلية لتنظيم الجهاد عام ١٩٦٠.

دور المناخ الثوري السائد في تشكل أفكار نبيل برعي وجيله

في الفترة التي ظهرت فيها جماعة الجهاد كانت المنطقة العربية لا تعرف آليةً لتغيير السلطة إلا بالانقلابات العسكرية التي قام بها جمع من القيادات المحسوبة على التيارات اليسارية والقومية كما حصل في سوريا، والعراق، وفي مصر، وغيرها من الدول، حيث نجحت في تحقيق ما تصبو إليه، من حكم ثوري فردي يغلب عليه تصفية الخصوم، بطريقة أو بأخرى.

ساهم هذا المناخ في تشكيل أفكار واستراتيجيات التنظيمات ذات الأرضية الإسلامية بشكل عام، إذ من الطبيعي أن أول فكرة سترِد على عقل من يريد التغيير هو أن يغيره على الطريقة المألوفة في عصره، وهذا ما حدث مع الشاب نبيل البرعي، وهذا السياق الثوري يمكن أن يفسّر قيام حزب التحرير الإسلامي بتنفيذ انقلاب عسكري في الأردن سنة ١٩٦٨[٤]، ويبين د. كمال حبيب أن فكرة الانقلاب العسكري تم تبريرها بأنها أقرب للروح الإسلامية لكونها أقل سفكاً للدماء من الثورة الشعبية[٥]!

لقد تشكلت قناعة بُرعي بضرورة إنشاء تنظيم سرّي مسلح في داخل الجيش للقيام بانقلاب عسكري من خلال نشر فكرة الجهاد وحث المتقبلين لها على دخول الجيش ونشر هذه الفكرة بين أعضاء الجيش في تكرار لتجربة الضباط الأحرار، لكن مع تجنب خطأ الإخوان بعدم صهر الضباط في رؤية إسلامية، مما تسبب في انقلاب عبد الناصر على الإخوان[٦]!

ولذلك اقتصر عمل التنظيم على التغلغل في الجيش والتدرب على السلاح ولم يقم بأي عمل[٧]، مما تسبب بعد سنوات في انشقاق بعض القيادات عن التنظيم احتجاجا على بطء المسيرة وعدم فعل أي شيء له قيمة!

ومن جهة ثانية، وبسبب هذا البعد الفكري بالاعتماد على الانقلاب العسكري من داخل الجيش كانت غالب العمليات التي قامت بها مجموعات وتنظيمات متولدة من هذا المسار عبر عقدين من السنوات تقريبا (١٩٦٠ - ١٩٨٠) نفذتها شخصيات عسكرية مثل: عصام القمري، يحيى هاشم، حادثة الكلية الفنية، مقتل السادات! وهو ما سنفصلّه لاحقا.

بداية الكارثة

لم يتوقف خطأ نبيل برعي على كونه شابا يفتقد إلى العلم، وتتملكه الحماسة، وفهم كلام أحد العلماء على غير وجهه الصحيح، بل حوّل برعي هذه الفكرة الخاطئة لدعوة وعمل ينشرهما بين الناس دون استشارة لمن هو أكبر منه علما وتجربة وسنّا!

لم تكن هذه الخطوة من نبيل برعي فريدة من نوعها، فسمة الاستئثار بالقرار وعدم مشورة أهل العلم هي من سمات الخوارج الأوائل، الذين خرجوا على الخليفة الثالث عثمان بن عفان و الخليفة الرابع علي بن أبي طالب، رضي

(١) النبي المسلح، ١٢/١، وفي كراسته الحركات الإسلامية الراديكالية في مصر والصادرة عن مركزالدراسات الإستراتيجية والبحوث والتوثيق ببيروت ص ٧، لكن عبد المنعم منيب ينقل نفي ذلك عن نبيل نفسه في كتابه «خريطة الحركات الإسلامية في مصر»، ص ٤٥، وكتابه التنظيم والتنظير تنظيم الجهاد وشبكة القاعدة، ص ٢٠.

(٢) الإسلام السياسي (الحركات الإسلامية)، محمد مورو ص ١٨٢، متاهة الحاكمية: أخطاء الجهاديين في فهم ابن تيمية، د. هاني نسيرة، ص ١٥٣.

(٣) الإسلام السياسي (الحركات الإسلامية)، محمد مورو، ص ١٨٣.

(٤) الأحزاب والحركات والجماعات الإسلامية، تحرير فيصل دراج وجمال باروت، ٨٨/٢.

(٥) الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة، كمال حبيب، ص ٣٨.

(٦) خريطة الحركات الإسلامية في مصر، ص ٤٤.

(٧) الأصولية في العالم العربي، ريتشارد دكمجيان، ص ١٤٣.

الله عنهما، وفي قصة إرسال علي بن أب طالب ابن عمّه عبد الله بن عباس لمناظرة الخوارج كان من جملة مناظرته مقولته الشهيرة التي تحدد الفيصل بين التهور والقرارات الصائبة الحكيمة: (أتيتكم من عند صحابة النبي ﷺ من المهاجرين والأنصار، لأبلّغكم ما يقولون، المخبرون بما يقولون، فعليهم نزل القرآن، وهم أعلم بالوحي منكم، وفيهم أُنزل، وليس فيكم منهم أحد)[1].

فابن عباس حاججهم بانعدام العلماء بينهم، والذي جعلهم ينحرفون في فهم الإسلام، ثم قتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان، ومن بعده قتل الخليفة الرابع علي بن أبي طالب، وإدخال المسلمين في حرب أهلية مدمرة ... مما يكشف عن ضرورة عدم الانفراد برأي عن أهل العلم والمعرفة، وهذا من بدهيات الفكر العلمي والموضوعي، لأن نتيجة البعد والانفراد عن رأي العلماء الوقوع في فجوة السطحية والتناقض في قراءة النصوص الشرعية، وهذه العقلية والمنهجية في فهم الدين عند أفراد جماعات الغلو والتطرف والخروج لا تزال تجرّ على أمّتنا الكوارث كما هو حاصل في فتاوى الغلاة في سوريا والعراق، التي أباحت الدماء والأعراض والأموال المعصومة ظلما وبهتانا ونصرة للطغاة الذين زعموا أنهم خرجوا لمحاربتهم!

برعي وابن تيمية

هل كان ابن تيمية وفكرُه هما المسؤولان عن ظهور فكرة العنف والتغيير المسلّح والجهاد ضد الأنظمة القائمة؟ أم أن برعي وظروفه الذاتية في صغره وحماسته أو تهوره والضغوط السياسية التي عاشها وأبناء جيله وجهله بحقيقة فكر ابن تيمية هي السبب في جنوحه نحو هذا الخيار المتطرف؟

للإجابة عن هذا السؤال دعونا نبحث عن فكر ابن تيمية في مصر، هل سبق للمجتمع المصري الحديثِ أن تعرّف على ابن تيمية أم أن نبيل برعي هو الذي اكتشفه؟ وهل كل من عرف فكر ابن تيمية أو غالبيتهم أو بعضهم وصل لنفس النتيجة التي وصل لها نبيل برعي؟ أم هذه حالة خاصة انفرد بها برعي وتابعه عليها أمثاله؟

الواقع والتاريخ يحدثنا أن فكر ابن تيمية كان حاضرا وبقوة في المجتمع المصري الحديث، فمنذ عصر رشيد رضا (١٨٦٥ – ١٩٢٥م) ومجلته المنار، كان فكر ابن تيمية وكتبه حاضرة، وساهم العلامة محب الدين الخطيب (١٨٨٦ – ١٩٦٩م) من خلال مطبعته ومكتبته السلفية في نشر العديد من كتب ابن تيمية، ثم كان للعلامة حامد الفقي، مؤسس جماعة أنصار السنة (سنة ١٩٢٦م) دور كبير في تحقيق ونشر الكثير من تراث ابن تيمية، وأصبح فكر ابن تيمية ثقافة الجماعة، وواصل عدد من المحققين والعلماء نشر وتحقيق تراث ابن تيمية وفكره، منهم القاضي والمحقق المعروف أحمد شاكر (١٨٩٢ – ١٩٥٨م) والدكتور محمد خليل هراس (١٩١٦ - ١٩٧٥)، ولا يزال كثير من الباحثين والمحققين المصريين يقومون بذلك لليوم.

ولكن لم يظهر بين هؤلاء كلّهم من فَهِم ابن تيمية هذا الفهم المغلوط، وهم عاشوا نفس المرحلة التي عاشها نبيل برعي! ولم يظهر على أتباعهم في جماعة أنصار السنة المحمدية هذه الأفكار برغم أن جماعتهم تعرّضت للحلّ والدمج مع الجمعية الشرعية، التي كانت ذات منحى أشعري!

إن نبيل برعي وزملاءه لم يكن لديهم منهج سليم لفهم الإسلام أصلاً أو فهم وقراءة كلام ابن تيمية، بل كانت سياستهم قبول أي شخص لفكرهم وتنظيمهم إذا قبل فكرة الانقلاب العسكري، وهو ما يتناقض مع فكر ابن تيمية الذي يركّز على النقاء العقدي بالتزام التوحيد وتجنّب الشرك والسلامة السلوكية باتّباع السنة وترك البدع.

وهذه السيولة في الالتزام الشرعي وتبني فكرة الانقلاب العسكري لدى برعي ورفاقه هي سبب استقلالهم عن جماعة أنصار السنة والجمعية الشرعية برغم أنهم كانوا يترددون على مساجدها ومراكزها لأن المساجد الأخرى غالبا هي مساجد صوفية طرقية تتناقض تماما مع الفكرة الانقلابية، لكن هذه الصلة بمساجد أنصار السنة والجمعية الشرعية أكسبتهم - على تفاوت بينهم- تقديرا واحتراما عاماً للمنهج السلفي الذي يرفض البدع والخرافات وكان رموزه عبر التاريخ أصوات الحق أمام الطغيان ورواد العلم والمعرفة، ولكن هذا الاحترام لم يرافقه فهم صحيح وتام للمنهج السلفي ولذلك اصطدموا بالعلماء والشباب والسلفي وانفصلوا عنهم.

إذاً، المشكلة ليست في فكر ابن تيمية وتراثه بقدر ما هي مشكلة في قراءة منهج ابن تيمية من البرعي وأمثاله من بعده، وهذا ما توصل له د. هاني نسيرة في أطروحته للدكتوراه والتي كانت بعنوان «متاهة الحاكمية: أخطاء الجهاديين في فهم كلام ابن تيمية»، حيث يقول: «كان ابن تيمية مرجعية أو مرجعاً واحدا بين مختلفين ومتصارعين، الكل يجتمع عليه وأيضا يختلف فيه ... مرحلة التأسيسات

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنّفه، ١٠/١٥٠.

التي استمرت عقودا ومرحلة المراجعات التي شهدها العقدان الأخيران... ويتصارع الجيل الأول والثاني والثالث من منظّري السلفية الجهادية في الطرفين على الصحة وكلاهما يدّعي وصلا ونسبا بابن تيمية ويعتمده مرجعا له»[١] ، ويضيف د. نسيرة: «عقدنا مقارنة وعرضنا توضيحا لمراجعات السلفية الجهادية في هذه القراءة لشيخ الإسلام، خاصة بعد تراجع كثير من منظّريهم عمّا سبق أن طرحوه في كتاباتهم الأولى، معتمدين عليه ومستندين إليه في المراجعة بعدما اعتمدوا عليه في التأسيس بشكل كبير»![٢].

إذا، القراءة الذاتية والمختلة لنبيل برعي لفكر ابن تيمية ومنهجه في التعامل مع الحوادث والظروف انتجت فكراً مشوها لا يمتّ لحقيقة منهج ابن تيمية بصلة من جهتين:

١- من جهة عدم فهم حقيقة قاعدة الجهاد عند ابن تيمية كإمام من أئمة الإسلام والتي تقوم على أن الجهاد لا يكون قبل التربية، بل يكون بعدها، بخلاف قاعدة البرعي التي كان يقدم فيها الجهاد كوسيلة للتربية[٣]، فجهاد ابن تيمية، لم يكن عشوائياً مضطرباً كما في قراءة برعي لكلام ابن تيمية في التعامل مع ما يسمّيه العدو الداخلي، وهذا جهل بحقيقة الواقع ومعرفة المآلات، وطرق الجهاد الصحيح، لكنها القراءة الحماسية كعادة أغلب صغار السن والذين يستهويهم الكلام في الجهاد في أوقات الضعف والعدوان بانتقائية وفهم شبابي متهوّر، وهو ما لا يزال يتكرر مع ضحايا خطاب داعش المنتشر في شبكة الإنترنت.

٢- من جهة عدم فهمه ظروف ابن تيمية ومناخ تجربته، فسبب سجن ابن تيمية في سجن القلعة في المرة الأولى كان فتواه التي تخالف خصومه المذهبيين من المتصوفة وغيرهم آنذاك حول مسألة شدّ الرحال إلى قبر النبي ﷺ ، وأيضاً فإن سبب سجنته الثانية فتواه المتعلقة بمسائل الطلاق، وليس لسجنة علاقة بالصراع مع الطواغيت وتحكيم الشريعة[٤]!

ففكر ابن تيمية ليس هو المشكلة، بل المشكلة في القراءة المنحرفة من شباب غير مؤهل، وقد عادت هذه الجماعات بعد أكثر من ثلاثين عاما لتعتمد قراءة تلاميذ ابن تيمية في مصر من أتباع أنصار السنة المحمدية والعلماء السلفيين والدعوة السلفية في الإسكندرية بدلا من قراءاتهم الخاطئة لابن تيمية التي بدأها نبيل البرعي!

ولادة تنظيم الجهاد المصري

نشط برعي في توزيع فتاوى ابن تيمية حول الجهاد بين أصدقائه، والحوار معهم حول اعتماد العمل السري المسلّح آلية للتعامل مع الواقع السيئ، وقد تجاوب مع فكر برعي عدد من أصدقائه مثل إسماعيل الطنطاوي ومحمد عبد العزيز الشرقاوي وعلوي مصطفى، ونتج عن هذا التقبل للقراءة الخاطئة لفكر ابن تيمية وللواقع المصري ظهور أول خليّة لتنظيم الجهاد عام ١٩٦٠، وبدأ هذا الفكر يتمدد ويتوسع فيما النظام الناصري يطارد أعضاء جماعة الإخوان المسلمين عقب مسرحية حادثة المنشية سنة ١٩٥٤م[٥].

وقد كان الثلاثي المؤسس نبيل برعي، وإسماعيل طنطاوي، وعلوي مصطفى، زملاء في الثانوية العامة، وقد تخرج طنطاوي بعدها من كلية الهندسة بجامعة الأزهر، وكذا كان علوي مصطفى، فيما تأخر نبيل برعي دراسياً ثم التحق بكلية الآداب بجامعة بيروت[٦]، ونلاحظ هنا بوضوح أن غالب قيادات تنظيمات العنف و(الجهاد) طيلة مسيرتها لليوم هي قيادات من خلفيات تعليمية غير شرعية، وأنهم شباب في مقتبل العمر، وأنهم مستقلون عن العلماء والتيارات الإسلامية الأسبق منهم ظهوراً[٧].

وبدأت الخلية تكبر شيئا فشيئاً بعيداً عن رقابة النظام الناصري، حتى كانت مذبحة عام ١٩٦٥ للإخوان التي أذنت بتمدد هذه الفكرة بين الشباب المتدين الجاهل بحقيقة المآلات، وخلو الساحة من جهة، جعلها قادرة على استقطاب الشباب المتحمس، وبحسب د. كمال حبيب فإن «عنف النظام الناصري في هذا الوقت مع الإخوان، قد قاد إلى طرح مشروعية مواجهته على بساط البحث من منظور

(١) متاهة الحاكمية، ص ١٣.
(٢) المصدر نفسه، ص ١٧.
(٣) الإسلام السياسي، ص ١٨٢.
(٤) متاهة الحاكمية، ص ١٩٤.

(٥) الإسلام السياسي، ص ١٨٤، و٤٥٧. ومن اللافت للنظر في مسرحية المنشية مقدار الاختراق الأمني للمنفذين وكيف تلاعبوا بهم، فهل عجزت أجهزة عبد الناصر عن رؤية تنظيم/ات الجهاد، أم أنها كانت تغض النظر عنها عامدة للحظة مناسبة يتم استغلالها فيه؟ خاصة أن عهد عبد الناصر لم يشهد أي عملية عنف ضده من التنظيم/ات، بينما عصر السادات شهد العديد من العمليات برغم أفضلية عهد السادات على عهد جمال؟ مما يذكرنا بواقعنا اليوم من استهداف داعش لتركيا والسعودية وغيرهما من الدول السنّية وتجنب ضرب إيران وروسيا!؟ فهل سمّن جهاز الأمن الناصري هذه التيارات وضرب بها السادات لما انقلب على مراكز القوى الناصرية، كما فعلت إيران والمالكي وبشار برعاية قادة تنظيم القاعدة في سجونها ومن ثم إطلاقهم لضرب الثورة السنية في العراق وسوريا؟؟
(٦) خريطة الحركات الإسلامية في مصر، عبد المنعم منيب، ص ٤٣.
(٧) الإسلام السياسي، ص ١٨٨.

إسلامي»[١].

استمر التنظيم في العمل على كسب أعضاء جدد، ولا تتوفر في المصادر والمراجع معلومات إضافية عن دور نبيل برعي بعد تأسيس الخلية الأولى، حيث اختفى ذكره[٢]، وحلّ مكانه في قيادة تنظيم الجهاد شريكه في التأسيس إسماعيل طنطاوي[٣]، الذي نجح بضمّ أيمن الظواهري، وكان عمره آنذاك ١٦ سنة فقط[٤]، وانضم إلى التنظيم عدد آخر من الشباب كان لهم شأن فيما بعد، مثل حسن الهلاوي، ويحيى هاشم، ورفاعي سرور، وأصبح للتنظيم أكثر من خلية: خلية في القاهرة بقيادة إسماعيل الطنطاوي، الذي كان لا يزال في وقتها طالب هندسة، وخلية في الجيزة بقيادة حسن الهلاوي الذي كان طالباً في الثانوية الأزهرية[٥].

ومعلوم أن من في هذا السن لا يملك أصحابه المعرفة والوعي اللازمين للمهمة التي يتصدون لها، وقد أثبتت الأيام تراجع الكثير من هذه القيادات عن أفكارها وسلوكها العنيف والمتطرف مع تراكم المعرفة والخبرة والتجربة، لكن بعد التسبب بمشاكل وأخطاء كثيرة، وللأسف لا يزال الكثير من الشباب –لليوم- يكرر هذه الأخطاء ولا يتعلم منها، وهذه الدراسة من أهدافها توعية الجيل الجديد من الشباب بالأخطاء التي وقعت لعدم تكرارها.

مسيرة التنظيم وتعرّجاته

ساهمت محنة الإخوان عقب حادثة المنشية عام ١٩٥٤م في إيجاد حالة من التذمر تجاه دكتاتورية عبد الناصر، وتكوّن خلية تنظيم الجهاد، لكن عقب محنة الإخوان عام ١٩٦٥م واعتقال آلاف الأبرياء ومن ثم هزيمة عام ١٩٦٧م أمام اليهود بفساد عبد الناصر تحوّل التذمر إلى غضب عارم، وفي داخل تنظيم الجهاد حدث سجال: هل نبقى على مسارنا في العمل الانقلابي من داخل الجيش أم نبادر لقيادة ثورة شعبية ضد النظام؟

مِن الذين مالوا للرأي الثاني يحيى هاشم، الذي كان يشغل منصب وكيل نيابة، وكان التنظيم قد ضمّه لصفوفه، حيث رأى يحيى أن اللحظة مناسبة لقيادة الجماهير ضد نظامٍ عبد الناصر وأن البقاء في المسار الأول يستغرق وقتا طويلاً حتى ينجح، فقاد مظاهرة في القاهرة ضد النظام من مسجد الحسين عام ١٩٦٨م وطالب بمحاكمة المسؤولين عن الهزيمة وقتال اليهود، وهاجم عبد الناصر. انزعج قائد التنظيم إسماعيل طنطاوي من هذه المظاهرة وخشي أن يُكتشف التنظيم بسبب ذلك، حيث قبض على يحيى ولكن أفرج عنه حين عرفوا أنه وكيل نيابة، وهنا نتساءل: هل فعلا لم تتنبه الأجهزة الأمنية للحقيقة؟

الخلاف حول طريقة العمل وأسلوب التغيير بين طنطاوي الذي يصرّ على الانقلاب العسكري من داخل الجيش وبين يحيى الذي يفضّل مسار الثورة الشعبية أو حرب العصابات تصاعد فيما يبدو ليصل إلى حدّ انفصال يحيى عن التنظيم وخلية القاهرة وليكوّن تنظيما خاصا به سنة ١٩٦٩م سيكون له دور لاحق بعد عدة سنوات مع تنظيم الكلية الفنية برئاسة د. صالح سرية، ومما زاد في مساحة الخلاف أن طنطاوي بحكم احتكاكه بأنصار السنة المحمدية كان يرى وجوب الالتزام الشرعي الفردي بالسنن والواجبات وهو ما كان يحيى لا يرى أهميته ومن يناصره مثل رفاعي سرور قبل قيام الدولة، ولعل تأثرهم بسيد قطب أكثر من تأثرهم بابن تيمية كحال طنطاوي هو سبب ذلك[٦]!

ومضى كلا الطرفين في طريقه يجنّد الأتباع ويتدرب على السلاح، حتى جاءت حرب عام ١٩٧٣م وحدثت ثغرة الدفرسوار وتقدم من خلالها الجيش اليهودي، عندها قام علوي محمد وهو من قيادات خلية القاهرة ومجموعة من أعضاء التنظيم بالذهاب إلى هناك والتطوع بجوار الضباط الصامدين ومساعدتهم ضد اليهود، وقد تعرفوا هناك على الملازم عصام القمري، الذي قام بدور بطولي في التصدي للقوات اليهودية، وكرّم على ذلك بمنحه وساما عسكريا.

نجح التنظيم (خلية القاهرة) في كسب القمري كعضو فيه، ولعله يكون أول اختراق للتنظيم في الجيش حيث بدأ عصام ينشئ خلية في داخل الجيش تابعة للتنظيم، وسيكون لعصام دور مهم في التنظيم لاحقاً[٧].

(١) الحركة الإسلامية من المواجهة إلى المراجعة، ص ١٤.

(٢) للأسف أن غالب الكتابات عن تنظيم الجهاد يغفل ذكر نبيل البرعي، كما أن هناك تضارب في المعلومات عن هذه المرحلة من تاريخ نشأة التنظيم، ولكن رواية د. محمد مورو من أوضح الروايات ثم رواية عبد المنعم منيب.

(٣) يتكرر في عدة مصادر وصفه بالقدرة على القيادة والتنظير الشرعي، لكن لم أقف على شيء من فكره.

(٤) أيمن الظواهري كما عرفته، منتصر الزيات، ص ٣٦.

(٥) الإسلام السياسي (الحركات الإسلامية)، محمد مورو، ص ١٨٤.

(٦) الإسلام السياسي، ص ١٩٤، و٢٠٠، وخريطة الحركات الإسلامية، ص ٤٦.

(٧) الإسلام السياسي، ص ١٨٥.

وعقب حرب ٧٣ وقع خلاف في داخل التنظيم وخلية القاهرة حول حكم قتلى الجيش المصرى هل هم مسلمون يصلّى عليهم أم هم كفار موالون للطاغوت أنور السادات؟ وذلك أن شقيق علوى مصطفى كان من الذين قُتلوا في الحرب وكان يعتبرهم مسلمين وشهداء بخلاف آخرين في التنظيم اعتبروهم كفارا مرتدين!

حاول إسماعيل طنطاوي أن يوفّق بين الطرفين ويجمعهم على قول واحد أو هدف واحد، فلم يفلح، فانشق علوي عن التنظيم ولم يُعرف له نشاط بعدها، كما فارق آخرون التنظيم دون أن يعملوا في تنظيمات أخرى[1].

وبسبب هذه الخلافات رأت خلية الجيزة بقيادة حسن الهلاوي الاستقلال عن خلية القاهرة ومشاكلها، وبقيت خلية القاهرة تحت قيادة طنطاوي وكان فيها في ذلك الوقت أيمن الظواهري، وعصام قمري، وانضم إليهم سيد إمام الشريف، الذى سيصبح من أبرز منظرى هذه الجماعات[2].

ويبدو من الواضح جداً سهولة الانشقاقات والسيولة لدى هذه الجماعات وتبدّل مواقفها وذلك بسبب قلة العلم وحداثة السن وضعف الخبرة، كما أن الخلاف حول حكم صحة إسلام ضباط الجيش يدلل على قدم موضوع الغلو والتطرف في هذه الحركات، وأن الغلو فيها يتطور ويتدحرج ككرة الثلج نحو مزيد من الغلو والتطرف ليشمل غالبية الأمة كما هو واقع أفكار القاعدة وداعش وأمثالهما.

وفي نفس العام (١٩٧٣م) جاء إلى مصر د. صالح سرية، الفلسطيني الباحث عن حل عسكري لقضية فلسطين والذي تقلب بين منظمة التحرير وجماعة الإخوان وحزب التحرير وعلاقات بقادة العراق وليبيا قبل وصوله لمصر، فحاول مع جماعة الإخوان المسلمين للقيام بعمل عسكري لكنها رفضت، وحاول مع خلية القاهرة فاصطدم بطنطاوى وخلفيته السلفية التي رفضت ميول سرية لحزب التحرير، وحاول مع يحيى هاشم لكن إصرار يحيى على حرب العصابات ورغبة سرية بالانقلاب فرّقت بينهما. الوحيدة التي انضمت لتنظيم سرية هي خلية الجيزة بقيادة حسن الهلاوى[3].

وهنا نكون أمام منعطف كبير ومختلف في مسيرة جماعات العنف وهو حادثة الكلية الفنية العسكرية التى قادها صالح سرية وتقاطعت معه بعض المجموعات المنشقة عن تنظيم نبيل البرعي، وتفاصيل ذلك ستكون في المقال القادم بإذن الله.

(١) خريطة الحركات الإسلامية، ص ٤٧.
(٢) المصدر السابق، ص ٤٨.
(٣) المصدر السابق، ص ٤٨، الإسلام السياسي، ص ١٨٧.

مظلومية أهل السنة في إيران ١

ماجد العباسي[*] – خاص بالراصد

تمهيد:

إنَّ ما نحن بصدد تقديمه فيما يخص وضع **أهل السنة في إيران** في هذه السلسلة على صفحات الراصد لهو عمل جليل وقضية مهمة وفرصة لنصرة أهل السنة في إيران، ولجعل القارئ على دراية كاملة ورؤية واضحة بقضية أهل السنة المنسيين في الداخل الإيراني، وسنتناول هذا الأمر من جميع جوانبه بإذن الله تعالى ونعتمد أسلوبًا متسلسلًا في سرد الحقائق الخفية وكشف النقاب والستار عن أدقّ وأعمق التفاصيل من داخل الدولة الإيرانية، وما تمارسه حيال أهل السنة خاصة، والأقليات عامة في الداخل.

ثم ننتقل بعد ذلك إلى السياسات الخارجية التي يتبعها النظام الإيراني في المنطقة العربية بشكل خاص، والعالم بشكل عام، وأثر ذلك على واقع أهل السنة في الخليج والأمة الإسلامية ، كما نودّ أن نلفت عناية القارئ إلى أن مقالاتنا سوف تتنوع ما بين سياسية وحقوقية وإنسانية بإذن الله تعالى، وسوف نتطرق إلى ملفات خطيرة تتعلق بممارسات النظام الإيراني، لم يُتطرق إليها من قبل.

لا يخفى عليكم ما يعانيه أهل السنة من التهميش والاستضعاف والحرمان من الحقوق في جميع النواحي والمجالات من قبل الحكومة الشيعية في إيران، وأخطرها التغيير الديموغرافي الذي يسعى إليه النظام الإيراني سعيًا حثيثًا، الأمر الذي أدى إلى حاجة هذا الشعب المضطهد الصامد لوقوف إخوانهم في الدين معهم في محنتهم، ونشر قضيتهم بشرح ما يعانون منه ويتعرضون له في إطار خطة محكمة وضعها الروافض منذ القدم سعيًا منهم للوصول إلى ما يتطلعون إليه.

ومن هنا رأينا أن يكون مستهل حديثنا عن **القوميات الإيرانية**، وفي القلب والخاصرة منهم أهل السنة والجماعة، الذين يشكلون ثلث سكان إيران تقريبًا، وجغرافيًا يتواجد أهل السنة في إيران في المناطق الحدودية والساحلية، وفي مدن ومناطق وأقاليم متفرقة ومنفصلة بعضها عن البعض؛ وبسبب البطش والظلم الذي كان يُمارس منذ زمن الصفويين إلى يومنا هذا، لجأ أهل السنة إلى الأطراف ليكونوا بعيدين عن مركز الدول الشيعية العنصرية في

(*) كاتب إيراني.

إيـران، وهـم الأكثريـة الـساحقة في القوميـة الكرديـة والبلوشـية والتركمانيـة، وكـذلك في أقـاليمهم كـإقليم بلوشـستان الـذي يقـع في جنـوب شـرق إيـران علـى حـدود دول أفغانـستان وباكـستان وعُمـان، وإقليم كردستان الـذي يقـع في الـشمال الغربـي على حدود العراق وتركيا وأرمينيا وأذربيجان وإقليم جلـستان الـذي يقـع في الـشمال الـشرقي علـى حـدود تركمانـستان وإقليم عربستان (القديم) أو الساحل الشرقي للخليج العربـي الـذي يقـع جنـوب بـلاد فـارس علـى حـدود دول الخليج العربي.

أمـا بقيـة أهـل الـسنة فهـم متوزعـون في المنـاطق ذات الغالبيـة الـشيعية كالعاصـمة طهـران ومدينـة شـيراز، عاصـمة محافظـة فـارس، ومنطقـة الأهـواز العربيـة ومدينـة مـشهد ـ المقدسـة لـدى الـشيعة ـ الـتي هـي مركـز إقلـيم خراسان الرضوية، وغيرها من المدن والمناطق.

وامتداداً لمواصلة المشروع القومي والطائفي الذي انتهجته الحكومات المركزية في إيران من عهد الدولة الصفوية إلى اليـوم، تم قمـع الطوائـف غـير الـشيعية والقوميـات غـير الفارسية، في محاولـة لتمزيق وحدة هـذه الأقليات وكسر شـوكتها، فقـد قـاموا بتجزئـة هـذه الأقـاليم إلى محافظـات ودمجها بالطوائف والقوميات الأخرى كما نـرى اليوم على الخارطة الإيرانية.

حيث يتواجد أهل السنة في إيران اليوم في ١٧ محافظة من مجموع ٣١ محافظة، وهي:

١- محافظة خراسان الجنوبية.
٢- محافظة خراسان الشمالية.
٣- محافظة خراسان الرضوية.
٤- محافظة جُلستان.
٥- محافظة جيلان.
٦- محافظة أردبيل.
٧- محافظة أذربيجان الغربية.
٨- محافظة كردستان.
٩- محافظة كرمانشاه.



١٠- محافظة خوزستان (الأهواز).
١١- محافظة هرمزكان.
١٢- محافظة بلوشستان.
١٣- محافظة كرمان.
١٤- محافظة فارس.
١٥- محافظة بوشهر.
١٦- محافظة طهران.
١٧- محافظة كرج.

القوميات الإيرانية والوجود السني فيها:

يقطن الجغرافية الإيرانية الحالية أكثر من ٢٠ قومية أو عرقية من البشر وعلى رأسهم: الفرس، الأتراك الأذريون، الأكراد، البلوش، العرب، التركمان، وغيرهم.

١- **الفرس**: وهم الأكثرية في الأقليات أو أكبر أقلية قومية تعيش على الأراضي الإيرانية، ويقدر عددهم بقرابة ٤٠ مليـون نـسمة، معظمهـم مـن الـشيعة، ويوجـد منهم ٥ ملايين سني فارسي تقريباً، وغالبية الفرس السنة يقطنون محافظـات خراسـان الـثلاث، إضافة إلى أجزاء واسعة من محافظـات الجنـوب الـثلاث (محافظـة فـارس، محافظـة هرمزجان، محافظة أبو شهر).

والفـرس عامـة متوزعـون في مركـز وشـرق الدولـة الإيرانيـة، مـوطنهم الأصـلي، ولـديهم تواجـد في جميـع المحافظات **الواحدة والثلاثين** الإيرانية تقريباً؛ بسبب سياسة الاستيطان التي تمارسها الدولة الإيرانية تجاه الأقليات.

٢. **الأتراك**: ومعظمهم من الأذريين، ويقدر عددهم بـ ٢٥ مليون نسمة في أقل تقدير، ويقطنون محافظات كثيرة في إيران مثل: محافظتي أذربيجان الشرقية والغربية ومحافظة أردبيل وزنجان وقزوين وهمدان وطهران وفارس وغيرها،

والأكثرية الساحقة منهم ينتمون للمذهب الشيعي ما عدا ضواحي مدينة خلخال وعنبران التابعة **لمحافظة أردبيل**، وهذه المنطقة متصلة بمنطقة طالش السنية، ولكنهم من الأتراك الأذريين، وعددهم يقدر بـ ١٠٠ ألف سني على أقل تقدير.

٣. التركمان: يقطنون منطقة «**تركمن صحراء**» الواقعة في شمال إيران على سواحل بحر قزوين إلى الحدود الجنوبية لدولة تركمانستان، وتضم هذه المنطقة **محافظة جلستان** بأكملها والجزء الشرقي من **محافظة مازندران** (إقليم طبرستان القديم) والجزء الغربي من **محافظة خراسان الشمالية**، ويقدر عددهم بأكثر من مليوني تركماني سني[1].

٤. العرب: ويتجمعون في منطقتين: **أولا: في محافظة خوزستان (الأحواز)**، حيث يسكن غالبيتهم، والتي كانت تعرف بدولة الأحواز العربية الشهيرة، ومركزها مدينة الأهواز العربية قبل الإحتلال الإيراني على يد الدولة البهلوية بقيادة الشاه، وتقع في غرب وجنوب غربي إيران، وتشكل القومية العربية أكثر سكان المحافظة، والبالغ عددهم خمسة ملايين تقريبا، غالبيتهم من الشيعة، وفيهم نسبة كبيرة من السنة قد تصل إلى **مئات الآلاف** جلّهم من الشيعة المتحولين إلى مذهب أهل السنة والجماعة.

ثانيا: في منطقة جنوب فارس (عرب فارس): وتعتبر هذه المنطقة امتدادا لدول الخليج العربي، وتقع على حدود هذه الدول من سلطنة عمان مرورا بالإمارات وقطر والبحرين والسعودية حتى الحدود البحرية لدولة الكويت، وتسمى هذه المنطقة بـ «بر فارس» أو «عرب فارس» أو «منطقة الهولة» أو «جنوب فارس» وغير ذلك، وتضم أجزاء واسعة من ثلاث محافظات إيرانية هي: محافظة فارس، محافظة هرمزجان ومحافظة أبو شهر.

ومن أشهر مدن تلك المنطقة، مدينة بندر عباس، مدينة لنجة، مدينة بستك، مدينة العوض وجزيرة جسم و...

كانت تلك المنطقة ملتقى للشعوب والثقافات المختلفة منذ القدم، وقد سكن العرب هذه المنطقة منذ آلاف السنين، وهناك هجرات دورية متواصلة كانت تحصل بين الضفتين الشرقية والغربية للخليج العربي إلى عهد قريب؛ مع العلم بأن معظم العرب في تلك المنطقة دخلت عليهم العجمة في اللغة وتحولت لغتهم العربية إلى الفارسية أو اللهجات المحلية الدارجة هناك مع المحافظة على عقيدتهم السنية وتقاليدهم العربية، ويسكن بجانب هؤلاء العرب كثير من الفرس السنة والبلوش والأتراك السنة أيضا في تلك المنطقة.

يقدر سكان منطقة جنوب فارس بأكثر من **مليوني نسمة** موزّعين بين الفرس والعرب والأتراك والبلوش السنة.

٥. الأكراد: ويتواجدون في إقليم كردستان الذي يقع في شمال غرب، وغرب إيران ويتكون من ثلاث محافظات وهي:

أ. **محافظة كردستان:** وتقع في غرب إيران ومركزها مدينة (سنندج)، والأكثرية الساحقة من سكانها من القومية الكردية، وهم سنة، ومن أشهر مدنها السنية الكردية مدينة «سقز» ومدينة «مريوان» ومدينة «بانه».

ب. **محافظة أذربيجان الغربية:** ومركزها مدينة «أرومية»، وتقع هذه المحافظة في شمال غرب إيران، وغالبية سكانها من الأكراد السنة، وبها مدن سنية كردية مشهورة مثل: «مهاباد» و«مياندوآب».

ج. **محافظة كرمانشاه:** ومركزها مدينة «كرمانشاه»، ويشكل الأكراد السنة أكبر نسبة من سكانها، ومن أهم مدنها السنية الكردية مدينة «باوه» ومدينة «جوانرود» ومدينة «روانسر»، ويقدر إجمالي عدد أهل السنة والجماعة بهذا الإقليم **تسعة** ملايين سني أو أكثر.

وهناك جزء من الأكراد يعتنقون المذهب الشيعي في الشطر الجنوبي من محافظة كرمانشاه، وكذلك **محافظة إيلام (عيلام)** ويقدر عددهم بأكثر من مليوني كردي شيعي.

وهناك أقلية كردية يزيدية، ويقلّ عددهم عن مليون نسمة، ومعظمهم يقطنون محافظة كرمانشاه الكردية، وتوجد أقليات دينية أخرى من الأكراد كاليهود.

ونتيجة لسياسة التهجير التي مارستها الأنظمة الحاكمة على تلك البلاد فقد هاجر الكثير من الأكراد إلى خارج موطنهم الأصلي، ومن أهم تلك المناطق التي يسكنها الأكراد إلى يومنا هذا، محافظات خراسان الشمالية، محافظة خراسان الرضوية، محافظة جيلان، محافظة بلوشستان وغيرها، ويصل إجمالي عدد الأكراد في إيران إلى قرابة **١٢ مليون كردي بجميع طوائفهم**.

٦. البلوش: وموطنهم الأصلي إقليم بلوشستان، ويقع في جنوب شرق إيران، ويضم هذا الإقليم كل أجزاء **محافظة سيستان وبلوشستان**، ومركزه مدينة «زاهدان»، وتشكل القومية البلوشية السنية الأكثرية الساحقة من سكان هذه المحافظة، ويضم الإقليم أيضًا جزءًا من **محافظة هرمزجان**

(١) هناك أقلية أخرى من الأتراك القزاق (كزاخ) السنة والأتراك القشقايين الشيعة في مناطق مختلفة من الجغرافية الإيرانية ويقدر عددهم بأقل من مليون نسمة في المجموع.

الحالية والمنطقة الشرقية منها تحديدا، كمدينة «جاسك» السنية البلوشية وتوابعها، ومدينة «سيريك» وتوابعها، وبعض القرى التابعة لمدينة ميناب تعد تجمعا للسنة البلوش، كذلك يضم هذا الإقليم جزءًا يسيرًا من **محافظة كرمان** الحالية، ويصل عدد السنة في هذا الإقليم إلى أكثر من **٤ ملايين** بلوشي سني، ومن أشهر المدن السنية البلوشية في تلك المنطقة مدينة «سراوان» ومدينة «جابهار» ومدينة «إيرانشهر».

ونتيجةً لسياسة التهجير التي مارستها الأنظمة الحاكمة أيضا على تلك البلاد فقد هاجر الكثير من البلوش إلى خارج موطنهم الأصلي، ومن أهم تلك المناطق التي يسكنها البلوش في يومنا هذا، محافظات خراسان الشمالية، محافظة خراسان الرضوية، محافظة خراسان الجنوبية، محافظة جلستان وغيرها. ويصل إجمالي عدد البلوش في إيران إلى قرابة **٥ ملايين بلوشي** تقريبا.

وللسنة تواجد في منطقة طوالش الواقعة في **محافظة جيلان**، غرب بحر قزوين في الشمال، ومن أشهر مدنها «رضوان شهر» و«طالش» و«أسالم»، ويقطن هذه المنطقة ما يقارب من **٥٠٠ ألف** شخص من أهل السنة.

وهناك أقليات عرقية صغيرة أخرى لم نذكرها بالتفصيل وهي: اللور، الجيلك، الأرمن، الجورجيون، القزاق، الآشور، اللك، القشقايي، وغيرها.

هذا وقد أعرب مختص وخبير في الشؤون الدينية والمذهبية في إيران، عن قلقه من انخفاض عدد السكان الشيعة وارتفاع عدد أهل السنة في هذا البلد، قائلاً: «إن علماء ومراجع التقليد الشيعة قلقون جداً من انخفاض عدد الشيعة وازدياد أهل السنة في إيران».

وقال الدكتور ناصر رفيعي، العضو البارز في «الهيئة العلمية لجامعة المصطفى العالمية»، خلال كلمة ألقاها بمناسبة افتتاح منتدى «الفاطمية وفرص الدعوة»، في مركز «دين وانديشة» للثقافة، إن نسبة عدد أهل السنة في إيران ترتفع بسرعة، وفي المقابل فإن نسبة عدد الشيعة تنخفض، مشيراً إلى أن عدد تلاميذ المرحلة الابتدائية من أبناء السنة يعادل ٥٠٪ من كل التلاميذ في إيران، ما يعني أن عددهم أصبح يعادل الشيعة.

وأضاف رفيعي: «في إحدى المدن في محافظة أذربيجان الإيرانية يفوق عدد أهل السنة عدد الشيعة، حيث أصبحت نسبة السنة ٧٠٪، والشيعة ٣٠٪، وهذا خطير جداً»، حسب قوله نقلاً عن وكالة «مهر» الإيرانية.

وأكد هذا الخبير في كلمته أن علماء ومراجع التقليد الشيعة أعلنوا عن قلقهم الشديد إزاء هذا التغيير، وانخفاض عدد السكان في إيران، موكداً أن مراجع الشيعة في إيران حثوا المواطنين على التزاوج وكثرة الإنجاب وازدياد المواليد.

وهذه ليست المرة الأولى التي يعلن المسؤولون الإيرانيون ومؤسساتهم الدينية فيها عن قلقهم الشديد من ارتفاع عدد السنة في إيران.

ولقد نشر موقع «شيعة أونلاين» قبل سنة تقريرًا أوضح فيه أنه خلال الـ ٢٠ عامًا القادمة سيصبح الشيعة في إيران أقلية مذهبية، في المقابل سيتحول السنة إلى الأكثرية، ثم الأديان الأخرى مثل المسيحية والمجوسية.

نقاط التشابه بين الدولة الصفوية والجمهورية الإيرانية

عبد الرحمن السقاف(*) – خاص بالراصد

رغم أنّ حكم الصفويين قد باد وانتهى، إلا أننا نجد في هذا الزمن من أعاد لنا فكره ومنهجه الدموي مع أهل السنُة، وهذا النموذج والمنهج عاد لنا متمثلاً في ثورة الخميني بإعلانه للجمهورية الإيرانية.

أصبحت جمهورية إيران امتداداً للحكم الصفوي، وقامت بإحياء أفكاره تحت ما يُسمّى (تصدير الثورة) وما هو إلا تصدير التشيُّع الصفوي، فأعادت إلينا التضييق على أهل السنُة وقمعهم في الأحواز، وبلوشستان وغيرهما، وكما يحصل لسنُة العراق على أيدي جلاوزة فيلق بدر وعصابات جيش المهدي ومرتزقة وزير داخلية العراق الأسبق الصفوي جبر صولاغ.

وكما حصل لإخواننا الفلسطينيين في لبنان على يد حركة أمل الشيعية الصفوية، وكما حصل أيضا لإخواننا السوريين في مدينة حماة، حين أبادهم حافظ الأسد النصيري الصفوي! وما يحصل حالياً في حمص ودرعا والقصير وغيرها من المدن السورية على يد ابنه بشار، وما حصل أخيراً في مملكة البحرين من قيام صفويي إيران بالتعرّض لأهل السنُة، إمّا بالترويع أو القتل!

وفي عصرنا الحالي وَجَدتُ في إيران أو كما تُطلق على نفسها بالجمهورية الإسلامية الإيرانية تشابهاً كبيراً بالدولة الصفوية، بل أرى أنها امتدادٌ للفكر الصفوي القمعي الدموي الشعوبي، بل الدولة الصفوية

(*) كاتب سعودي.

مصدر اعتزاز وفخر للإيرانيين في العصر الحاضر! وهذا ما جعلني أضع رابطاً وتشابهاً بين الدولتين الصفوية والخمينية الإيرانية.

يقول الدكتور محمد فتحي إدريس: «ويعتز الإيرانيون بالدولة الصفوية أيّما اعتزاز، ويُصورونها على أنها الدولة التي حققت حلمهم في الوحدة والسيادة والقومية، وأنها أول دولة إيرانية تحكم بلادهم بعد استعمار طويل أو حكم أجنبي مستمر منذ الفتح العربي لإيران»[١].

ويُوافقه على ذلك الدكتور محمد سهيل طقوش قائلاً بأن: «... الإيرانيين يفخرون بالدولة الصفوية لأنها أعادت وحدة إيران السياسية بعد مدة طويلة من التردي السياسي والاجتماعي»[٢].

كما لاحظ الشيعي توفيق السيف تأثر الإيرانيين بالصفويين، قائلاً: «وفي الوقت الحاضر فإنّ جانباً مهماً من التراث الثقافي والفلوكلوري للمجتمعات الشيعية يرجع في أصوله إلى تلك التجربة»[٣].

ويقول جعفر المهاجر: «يُعتبر قيام الدولة الصفوية أكبر حدث في تاريخ شعوب دولتهم، منذ سقوط الإمبراطورية الساسانية، فقد أعادت إلى هذه المنطقة، ذات التاريخ العريق، وحدتها السياسية بعد ما يقرب من تسعة قرون، وجاء إعلان التشيُّع الإمامي مذهباً وحيداً في الدولة الجديدة، ليضع هذه الوحدة السياسية في الإطار الروحي المناسب. وبذلك رسمت وجه (إيران) كما لا يزال مستمراً حتى اليوم»[٤].

ويقول المؤرخ الشيعي رسول جعفريان: «وقد تمكنت الدولة الصفوية - عبر القوة العسكرية الهائلة التي كانت تتمتع بها - من تكريس اتجاه جديد، شمل المناطق المركزية وسائر النواحي الإيرانية الخاضعة لنفوذها، وبذلك ظهرت إيران الشيعية للوجود»[٥].

وبنظرة سريعة أستطيع أن ألخّص نقاط التشابه بين الدولة الصفوية والدولة الخمينية الإيرانية بالآتي:

١ـ المذهب الشيعي هو المذهب الرسمي للدولة الصفوية، وكذلك للدولة الخمينية الإيرانية[٦].

٢ـ الدموية والبطش لكل مَن خالفهما: فالدولة الصفوية نَكّلت بكل مخالف لها، فقتلت الكثير من أهل السُنة لمخالفتهم لها كما مر معنا سابقاً، وكذلك الدولة الخمينية الإيرانية نكلت بالكثير من أهل السُنة في عرب الأحواز وفي غيرها[٧]. فهذا سفير إيراني سابق يُدعى عادل الأسدي[٨] يُصرّح ببطش وقمع جمهورية الخميني لأهل السُنة هناك، فيقول: «سياسة الجمهورية الإسلامية الإيرانية وأقول ذلك لأني كنت مسؤولاً فيها وهي سياسة قمع أهل السُنة سواء في إيران أو خارجها، فهم يُبغضون ويكرهون أهل السُنة كثيراً، ذلك النداء الذي يهتفون به (يا لثارات الحسين) يُريدون به الانتقام من أهل السُنة وفق تفسيرهم»[٩].

٣ـ التعصب للعرق والقومية الإيرانية: حيث يقول علي شريعتي: «إنّ حذاقة ودهاء الحركة الصفوية تتجلى أكثر شيء في أنها أرست دعائم حكومتها على أساسين محكمين:

أ. المذهب الشيعي.

ب ـ القومية الإيرانية. إنّ توظيف المشاعر والشعائر الخاصة بالشيعة واستثمار الحالة الوطنية والأعراف القومية الإيرانية، أسهما معاً في عزل إيران عزلاً تاماً عن جسد الأمّة الإسلامية الكبير»[١٠].

ويقول أيضاً: «وتلبّس الصفويون بلباس ولاية علي ونيابة الإمام والانتقام من أعداء البيت... وفي ظل كل هذه المحاولات كان الهدف الأصلي هو إضفاء طابع مذهبي على الحالة القومية الإيرانية وإحياؤها تحت ستار الموالاة والتشيُّع، وتمت عملية فصل الشعب الإيراني عن جسد الأمّة الكبير وأجّجت مشاعر العداء بين الإيرانيين من جهة والتُرك والعرب من جهة أخرى»[١١]. ويقول: «أوجد التشيَّع الصفوي مع القومية الإيرانية حركة جديدة، وامتزجت

---

(١) مقدمة كتاب (إيران وعلاقتها الخارجية في العصر الصفوي) لنصر الله فلسفي.
(٢) تاريخ الدولة الصفوية في إيران للدكتور محمد سهيل طقوش، ص (٧).
(٣) حدود الديموقراطية الدينية لتوفيق السيف، ص (٤٠)، والسيف: شيعي سعودي ومعارض سابق.
(٤) الهجرة العاملية إلى إيران في العصر الصفوي لجعفر المهاجر، ص (١٩).
(٥) سؤال التقريب بين المذاهب: أوراق جادة، لحيدر حبّ الله، ص (٢٩٨).

(٦) حين أعلن الشاه إسماعيل الصفوي مذهب التشيّع المذهب الرسمي للبلاد، وكذلك ورد في الدستور الإيراني بعد ثورة الخميني المادة رقم (١٢): أنّ المذهب الرسمي هو المذهب الشيعي الاثني عشري.
(٧) انظر صفحة (١٣٣٤) من كتابي: (التضييق والبطش بأهل السُنة بالأحواز وباقي إيران).
(٨) عادل الأسدي، كان سفيراً لإيران بالبرتغال، ثم مستشاراً لوزير الخارجية قبل أن يُصبح عام ٢٠٠١م قنصلاً عاماً لبلاده في دبي حتى تاريخ انشقاقه عام ٢٠٠٣م، فكان أوّل مسؤول مدني ينشق عن النظام الإيراني، طلب اللجوء السياسي في السويد، اهتدى إلى مذهب أهل السُنة والجماعة بعد أن كان شيعياً إمامياً.
(٩) لقاء مع الأستاذ عادل الأسدي على قناة كلمة الفارسية، عام ٢٠١٢م.
(١٠) التشيُّع العلوي والتشيُّع الصفوي لعلي شريعتي، ص (١٢٠).
(١١) المرجع السابق، ص (١٤١).

هاتان القوتان معاً حتى بات من الصعب التفكيك بينهما ونجم عنهما مركّب جديد يمكن أن نصطلح عليه تارة بأنه (تشيُّع شعوبي) وأخرى بأنه (شعوبية شيعية)» [١].

ويقول اليهودي اليعازر تسافرين عن قومية إيران بعد ثورة الخميني: «ومهما تكن إيران إيديولوجية وإسلامية، كل ما كانت تفعله اتسم بالنزعة القومية، بل إنه بدا مشابهاً لما كان يفعله الشاه» [٢].

٤. الأطماع التوسعية عند الصفويين وذلك باحتلال أرض الجوار والاعتداء عليها بغير وجه حق كما فعل الشاه إسماعيل الصفوي:

يقول الدكتور محمد سهيل طقوش: «كان على الشاه أن ينهض بالحرب، وهذا ما تفرّغ له، وكانت ذريعة الحرب بطبيعة الحال دينية ودنيوية وهي الرغبة في:... التوسّع على الأرض طمعاً في مزيد من الموارد والسكان الذين يمكن أن تفرض عليهم الضرائب» [٣]. وكذلك ما تفعله اليوم إيران من أطماع لديها في الخليج، وما جزر الإمارات الثلاث المحتلة عنا ببعيد، إضافة إلى الصيحات المتوالية من صفويي إيران حول مملكة البحرين، وأنها جزءٌ من أصل، وأخيراً التصريح المثير لرئيس هيئة أركان الجيش الإيراني الجنرال حسن فيروزأبادي بأنّ الخليج ملكٌ لإيران! [٤].

٥. السيادة المطلقة التعسفية: فشاه إيران يُصدر الأوامر من غير رد! «فعرفت الملكية الصفوية بأنها مطلقة، فالشاه هو سيّد البلاد والمتصرف في حياة الناس وأموال رعاياه كما يشاء، وكل ما يأمر به يجب أن ينفذ في الحال ومن دون اعتراض أو مناقشة، حتى وإن صدر الأمر وهو ثملٌ فاقد لوعيه، فهو فوق القوانين الطبيعية والوضعية» [٥].

وفي عهد الشاه طهماسب الصفوي، أوكل الأمور إلى الشيخ علي الكركي [٦] بأن جعله ولياً فقيهاً للدولة الصفوية. يقول الشيخ اللبناني جعفر المهاجر: «أصدر الشاه فرماناً ثانياً بحق الكركي... وفيما يلي تلخيص للجزء الهام منه: نشر التشيّع هو رسالة الدولة الصفوية، وبذلك تُمهد لظهور الإمام المهدي.

أ ـ لا يتم هذا القصد إلا بمتابعة علماء الدين، فهم بما يملكون من معرفة يقودون الناس إلى الهدى.

ب ـ إنّ الشيخ الكركي هو أعظم علماء العصر، ونائب الإمام.

ج ـ لذلك فإنّ الشاه، تحقيقاً لرسالة الدولة السامية، يأمر جميع أركان الدولة باتخاذه مقتدى لهم وإماماً، وأن يتمثلوا لأمره وأن يُقدموا له مراسيم الطاعة في جميع الأمور.

د ـ كما وأنه - أي الكركي- ، يستقل بتعيين المتصدين للأمور الشرعية في المناصب وعزلهم منها.

تلك السلطة الواسعة تشكل سابقة لا مثيل لها في تاريخ الفقهاء الشيعة، وتصعيداً لـ (ولاية الفقيه)، تجاوز عملياً أجرأ تصور حتى ذلك الحين» [٧].

وهو ما نراه في إيران اليوم، فولاية الفقيه عندهم أمر مقدس، ولها الأهمية الكبرى والمكانة العظمى في قلوب الإيرانيين، حيث يقول آيتهم الخميني: «إنّ قضية ولاية الفقيه ليست شيئاً أوجده مجلس الخبراء، إنّ ولاية الفقيه شيء وضعه الله تبارك وتعالى، إنها نفس ولاية رسول الله وهؤلاء يخافون من ولاية رسول الله» [٨]. وهذا المرجع محمد رضا الكلبيكاني يُصرّح بعظم أمرها عندما سُئل عن رأيه في التنصيص على ولاية الفقيه في الدستور، قائلاً: «إن لم يتم التنصيص عليها فإنّ الحكومة تصير حكومة طاغوت» [٩].

ويقول إمامي كاشاني: «نقول للأجانب بأن نظام الجمهورية الإسلامية ليس كما تتصورون، بل إنه في النظام الإسلامي أمر الولي الفقيه مطاع من قبل الجميع شرعاً، وقانوناً، وأخلاقاً» [١٠]. و«للولي الفقيه الحق في تبديل حكم شرعي بحكم شرعي آخر طبقاً لما تقتضيه الظروف الاجتماعية ورعاية مصالح الإسلام» [١١]. ويقول آية الله جواد آملي: «إنّ أصل وجوب طاعة الولي الفقيه كأصل وجوب

(١) المرجع السابق، ص (١٤٣).
(٢) حلف المصالح المشتركة (التعاملات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة)، د. تريتا بارزي، ص (١٨٦).
(٣) تاريخ الدولة الصفوية في إيران لمحمد سهيل طقوش، ص (٨).
(٤) موقع العربية نت، ٣٠ أبريل ٢٠١١م.
(٥) تاريخ الدولة الصفوية في إيران، ص (٩).
(٦) ترجم له الحرّ العاملي في كتاب: (أمل الآمل)، (١٢١/١) فقال: «الشيخ الجليل علي بن عبد العالي العاملي الكركي. أمره في الثقة والعلم والفضل وجلالة القدر وعظم الشأن وكثرة التحقيق أشهر من أن يذكر، ومصنفاته كثيرة مشهورة».
(٧) الهجرة العاملية إلى إيران في العصر الصفوي لجعفر المهاجر، ص (١٢٩).
(٨) إيران الأحداث المهمة في العقد الأخير، المكتب السياسي لممثلية الولي الفقيه في حرس الثورة الإسلامية، ترجمة عبد الرضا الافتخاري، ص (١٥٤).
(٩) اتفاق الكلمة بين علماء الأمّة على ولاية الفقيه العامة لمالك مصطفى العاملي، ص (٣٦٩).
(١٠) وكالة الأنباء شستان، رمز الخبر:١٠٥٦٢ / أبريل ٢٠١١م.
(١١) شبهات وردود في باب ولاية الفقيه القسم الثاني، لمصباح يزدي ومحمد تقي (نسخة الكترونية غير مرقمه).

تقليد المرجع»[1].

ويقول شيخهم محمد تقي مصباح اليزدي: «وإذا التفتنا إلى سيرة الإمام الراحل قدّس سره فسوف نعرف أنّ صلاحيات الولي الفقيه تفوق ما جاء في الدستور فقد جاء في الدستور قبل تعديله أنّ رئيس الجمهورية يُنتخب من قبل الناس، وأنّ القائد يُنفذ قرار الناس هذا، ولكن الإمام الراحل قدّس سره أعلن في مراسم تنصيب رئاسة الجمهورية (إنني أعيّنكم رئيساً للجمهورية)، ففي الدستور لم يكن الكلام عن تنصيب رئيس الجمهورية من قبل الولي الفقيه ولكن الإمام الراحل كان يُعطي صلاحية أعلى لمقام ولاية الفقيه وكان يعتبر أنّ ولاية الفقيه تمتلك ولاية إلهية عند تعيين الرؤساء المحترمين للجمهورية ويستفيد من مصطلح التنصيب»[2].

وبالفعل قد تم ذلك في الدستور الإيراني الحالي، بجعل ولي الفقيه الإشراف الكامل على مؤسسات الدولة، إذ جاء فيه: «السلطات الحاكمة في جمهورية إيران الإسلامية هي: السلطة التشريعية، والسلطة التنفيذية، والسلطة القضائية، وتمارس صلاحياتها بإشراف ولي الأمر المطلق وإمام الأمّة»[3].

كما أنّ للولي الفقيه كامل الحصانة، وله العصمة من ارتكاب الذنب! حيث تقول صحيفة رسالة الإيرانية: «يتمتع الولي الفقيه بما يملكه من ملكة العدالة والعلم والتقوى، (وعلى مستوى عال) بنوع من الحصانة من الذنب والانحراف، ومن هنا فقد جعله الإسلام عالماً ووليا لأمور الآخرين، والحال مَن وأي كيان يُمكن أن يكون مشرفاً على الولي الفقيه»[4]. وتقول أيضاً: «إنّ ولاية الفقيه هي الأساس الذي يقوم عليه نظام الحكم لدينا اليوم ولا يمكن معارضته ومؤاخذته عبر وسائل الاتصال العامّة»[5].

إذن، نظرية ولاية الفقيه نظرية تعسفية، وقد وقفتُ على كلام جميل للشيعي الإمامي د. موسى الموسوي، حيث قام بنقدها، مع بيان خطرها، قائلاً: «ولاية الفقيه التي هي من أكبر البدع وأبشعها والتي أرغمت الشيعة على تقبلها فقبلتها فئة طائعة وأخرى كارهة، ومهما كان فإنها هي النظرية التي تتحكم في مصير ٦٠ مليون من الشيعة وغيرهم في إيران، ولها أنصار في البلاد الإسلامية وغير الإسلامية التي تتواجد الشيعة فيها. إنّ الاضطهاد الجسدي والعناء الاجتماعي الذي سبّبته ولاية الفقيه للشيعة هو أكبر ضخامة وحجماً من أن تُعبّر عنها الكلمات والجمل والألفاظ، إنها أساس البلاء والسبب الحقيقي لكثير من البدع التي ألصقت بالمذهب الشيعي، والأكثرية الشيعية تدفع اليوم ضريبتها الباهظة بالدم والمال والنفس والإطاعة العمياء وفقدان الحرية وكرامة النفس ولكل القيم الإنسانية والسماوية على السواء.

وإذا أردنا أن نعطي فكرة موجزة عن ولاية الفقيه، والتي تحتل البند الأول من دستور الجمهورية الإسلامية في إيران، وعلى ضوئها تُنفذ الدولة سياسة البلاد بحق الشيعة فهي تتلخص في العبارات التالية:

إنّ الولي الفقيه الذي يتخذ من قاعدة ولاية الفقيه منصة للانطلاق يُرغِم الأمّة على الإيمان بأنه وكيل عن الذات الإلهية في تسيير دفة الحكم، ومتحدث بلسان الوحي يتلاعب بالآيات والنصوص القرآنية كما يريد، يُعطل أركان الإسلام ويغير الحدود والموازين الثابتة بالنص وبالإجماع، فيرى نفسه وصياً على عقول الناس ورقيباً على إرادتهم، ومتسلطاً على رقابهم، ومَن يقف معارضاً له أو منددا به لا يعتبر خائناً فحسب، بل كافراً زنديقاً يجب قتله وقمعه من الوجود.

إنّ هذه النظرية هي في حقيقتها وواقعها تتناقض مع المبادئ الإسلامية الأولى التي ألغت حاكمية الإنسان على الإنسان، بل جعلت الحاكمية لله تعالى وحده وجعلت الناس سواسية أمام الله والدين والقانون. ولكن المؤسف المحزن أنّ هذه النظرية التي هي في حقيقتها امتدادٌ لعصور فرعونية وثنية أكل عليها الدهر وشرب تصبح الآن ضمن دستور أمّة إسلامية تحتل أرضاً شاسعة واسعة وتقع في موقع خطير من العالم»[6].

٦ـ إظهار عقيدة التشيُّع وذلك بتأليف ونشر الكتب الطاعنة والمكفّرة لرموز أهل السُنة: ظهر هذا الأمر في حكم الصفويين، وكذلك في عهد الدولة الخمينية الإيرانية. وبرغم أن مصطلح الصفوية قد خرج بعد ظهور التشيُّع بزمن طويل، إلا أنه أخرج لنا بصورة جلية ما في كتب الشيعة الإمامية في العصور الغابرة والأزمنة السابقة، تلك الكتب المليئة بالخرافات والشرك والطعن بصحابة

(١) ولاية الفقيه ولاية الفقاهة والعدالة لآية الله جواد الآملي، ص (٢٨).
(٢) حوارات حول ولاية الفقيه لمحمد تقي مصباح اليزدي، ص (٦٧).
(٣) الدستور الإيراني - المادة السابعة والخمسون - صفحة (٦١).
(٤) دورية (عصر ما عصرنا) العدد (٦٥)، ١٩٩٨/٣/٧م، ص (١٥) نقلاً عن صحيفة رسالت الإيرانية ١٩٩٨/٢/١٩م.
(٥) صحيفة (رسالت = الرسالة) الإيرانية، ١٩٩٨/٢/١٥م، ص (١).
(٦) مشروعنا للتصحيح (الأهداف - الوسائل - التقييم) لموسى الموسوي، ص (٨ ، ٩).

نبينا الكريم ﷺ.

يقول الدكتور علي شريعتي: «من هنا نعتبر أنّ هذا التشيُّع بالتشيُّع الصفوي، وإلا فإنّ عناصره المتفرقة كانت موجودة حتى قبل زمان الصفوية، وقد تسلّلت بشكل لا شعوري حتى إلى الكتب القديمة المعتبرة، حالها حال الكثير من العناصر الدخيلة التي تسلّلت إلى هذه الكتب، سواء من الديانات القديمة أو الحضارات المعاصرة أو حتى من عقائد الجاهلية الأولى»[1].

ولذلك فقد تبنت الدولة الصفوية هذا المنحى، وأُلِّفت الكتب المليئة بعقيدة الشيعة الإمامية المغالية بالأئمة الاثني عشر، والطاعنة في رموز أهل السُنة وتكفيرهم، مثل ما قام به شيخهم الوحيد في عصره علي الكركي العاملي فألّف كتاباً من عنوانه يُعرف مدلوله وفحواه، حيث سمّاه: (نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت).

ويقول محقق الكتاب الشيخ الشيعي محمد حسون: «هذه رسالة نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت، التي ألّفها المحقق الكركي في مدينة مشهد المقدسة أيّام الشاه إسماعيل الصفوي، وانتهى من تأليفها في ليلة الجمعة السادس عشر من شهر ذي الحجة سنة ٩١٧هـ»[2].

ولأهمية هذا المؤلّف في وقته فقد نالت هذه الرسالة شهرةً كبيرةً في أوساط العلماء والفضلاء وعموم المؤمنين، فترجمت إلى الفارسية أربع مرات، وطُبعت مرتين في مدينة النجف الأشرف وطهران، ولها نُسخ خطيّة كثيرة في مكتبات العالم»[3]. ويَقصد الكركي بالجبت والطاغوت في عنوان كتابه :(أبا بكر وعمر رضي الله عنهما) حيث نال منهما وكفّرهما. حيث قال في مقدمة كتابه: «وليتأمل العاقل المنصف أنه هل يجوز أن يتولى منصب الإمامة - الذي هو معظّم منصب النبوة - مثل شيخ تيم الجاهل بأمور الدين ومواقع الشرع... بعد أن سجد للأصنام حتى شاب رأسه. ومثل عتل عدي الزنيم، ذي الفظاظة والغلظة والمكر والخديعة، المطعون بنسبه، والمجترئ على الرسول في حياته وبعد موته، الذي حَكّمَ الدين برأيه، وغيّر الشرع من عند نفسه»[4]. ويقول أيضاً: «رأيتُ أن أكتب رسالة موجزة أكشف فيها القناع عن ذلك، وأُبَين كُفر هؤلاء وجواز لعنهم»[5].

وبعد عصر الصفويين أصبح هذا الكتاب في حكم المفقود فلا يُعرف له مكان ولا يَعرف أحدٌ عنه شيئاً إلا أصحاب الاختصاص، إلى أن جاءت دولة الخميني الصفوية الحديثة، فأخرجت الكتاب من مرقده ونفضت عنه الغبار وقامت بطباعته بحلّة جديدة وحديثة! وذلك في عام ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، حيث قامت بطبعه منشورات الاحتجاج في إيران، وتحديداً بمدينة قم فَطُبِعَ منه (١٠٠٠) نسخة، بمساعدة معاونية الشؤون الثقافية في وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي بإيران!

ومثل هذا الكتاب كثير، كبحار الأنوار للمجلسي، أحد علماء الصفوية في وقته، حيث ضمّن كتابه فصلا سمّاه (مطاعن الثلاثة) ويقصد بهم أبا بكر وعمر وعثمان، رضي الله عنهم، حيث لا زال يُباع بإيران بنسخته القديمة الحجرية في عهد دولة الخميني[6]، وكذلك كتاب الكافي للكليني، الذي جاء فيه أنّ الأئمة عندهم علم ما كان، وما يكون، وما هو كائن إلى يوم القيامة! فالتاريخ يُعيد نفسه، وإيران الخميني تُعيد أحقاد الشاه إسماعيل الصفوي.

حيث يقول الدكتور علي شريعتي: «إنّ الأموال المرصودة لإجراء هذا المشروع الضخم كانت تدفع من قبل الصفويين في البداية أمّا الآن فيدفعها الناس من سهم الإمام»[7]. وحقيقةً أرى أنّ للصفويين إيجابيةً بأنهم قاموا بإحياء التشيُّع البغيض المدفون سابقاً بسبب التقيّة فأخذوا يجهرون بعقيدتهم أمام الملأ بتركهم التقيّة، وقاموا بتأليف هذه الكتب المصرّحة بالكفر والطعن في الصحابة الكرام رضي الله عنهم. يقول الدكتور علي شريعتي: «ومع أنّ التشيُّع العلوي كان حريصاً على التحفظ على إثارة مسائل الخلاف مع الأغلبية السُنية من المسلمين موظفاً حجاب

---

(١) التشيُّع العلوي والتشيُّع الصفوي، ص (٢٤٠).

(٢) نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت لعلي الكركي العاملي، ص(٥).

(٣) المرجع السابق، ص (٥).

(٤) المرجع السابق، ص (١٥).

(٥) المرجع السابق، ص (١٨).

(٦) تمت طباعة هذه الأجزاء حديثاً في لبنان، وفي محاولة يائسة من الشيعي العلماني العراقي حسن العلوي يقول مدافعاً عن الخميني، في كتابه: (عمر والتشيّع)، ص (١١٦): «وكان الإمام الخميني قد أوقف طباعة أجزاء من موسوعة البحار حرصاً على وحدة المسلمين وحفظ الأجيال الجديدة من تسرب تلك المعلومات إليها والمجلسي متخصص في روايات التشهير بعمر بن الخطاب».
وأقول لحسن العلوي: إن كان قولك صحيحاً حول فعل الخميني، فلماذا في كتابه: (كشف الأسرار) ينال من عمر رضي الله عنه؟! فلا يستقيم - بإيران - منع طباعة كتب المجلسي الطاعنة في عمر رضي الله عنه، مع السماح بالمقابل بطباعة كتب الخميني المكفّرة لعمر رضي الله عنه!

(٧) التشيّع العلوي والتشيُّع الصفوي، ص (١٩٤).

التقيّة أروع توظيف لتحقيق ذلك، بَيدَ أنّ خصمه اللدود (التشيُّع الصفوي) عمد خلافاً لذلك إلى تمزيق هذا الحجاب، بل جرّ حالة الاختلاف والتصعيد إلى موارد كانت من موارد الاشتراك والاتفاق بين المسلمين قاطبة»[١].

٧ـ إعطاء الحرية الدينية لباقي الأديان كالمسيحية واليهودية: ففي عهد الشاه عباس الكبير: «تعهد - لملوك أوروبا - أن يفتح كل إيران أمام أتباع الدين المسيحي من كل مذهب وفرقة، ويسمح لهم بالذهاب حيث يشاؤون ويُقيموا في أي مكان ويُشيدوا الكنائس والمنازل ويُزاولوا طقوسهم الدينية بحريّة تامة ودون أية موانع إذا اتحدت معه أوروبا ضد العثمانيين»[٢].

«وبعد أن استولى فيليب الثاني ملك أسبانيا الذي كان شديد التعصب للمذهب الكاثوليكي على البرتغال رأى أن يُرسل سفيراً إلى إيران لثلاثة أسباب: الأول: أن يمنح شاه إيران لأتباع المذهب الكاثوليكي حرية دينية في كل إيران»[٣].

ويقول الإيراني رسول جعفريان: «وقد أشارت الوثائق المتوفرة من ذلك العهد[٤] بصورة متكررة إلى بثّ الفتنة وتكريس الضغينة في بداية العهد الصفوي، فيما حملت الندم والأسف عمّا قام به الشاه إسماعيل من زرع النفاق وإيجاد النزاع بين المسلمين وأمّة سيّد المرسلين. جاء في وثيقة النجف أنّ الشاه إسماعيل (أوجد بغضاً عظيماً بين أبناء المسلمين، ونشر راية النفاق والاختلاف، بحيث بات الكفّار آمنين مطمئنين في أرجاء البلاد، فيما فروج المسلمين ودماؤهم عرضة للتهديد والاغتصاب)»[٥].

والحال نفسه نراه الآن واقعاً في دولة الآيات الإيرانية الخمينية الصفوية، ففي طهران العاصمة، تجد الكنائس والمعابد للمسيحيين واليهود، ووفقاً لإحصاءات تقرير الحرية الدينية الصادر عن وزارة الخارجية الأمريكية عام ٢٠٠٤م، فإنّ عدد المسيحيين في إيران يبلغ نحو ٣٠٠ ألف نسمة أي أنهم يُشكلون أقل من ١ في المائة من تعداد السكان. وبالإضافة لكونهم أقلية ضئيلة، فالمسيحيون الإيرانيون غير موحّدين في الانتماء لمذهبٍ واحد، فمنهم من ينتمي إلى: الكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية وهي أكبر الكنائس الإيرانية، كنيسة الشرق الآشورية، الكنيسة الكلدانية الكاثوليكية، بينما تقدر أعداد الإنجيليين في البلاد بنحو ١٥ ألف شخص، كما أنّ لهم ثلاثة ممثلين في البرلمان»[٦].

والحال نفسه كذلك لليهود في إيران، فلهم مطلق الحرية بممارسة شعائرهم وعباداتهم، مع ضمان كافة الحقوق لهم. وهذه حقيقة ذكرها الإيراني تريتا بارزي[٧] قائلاً: «لم يفرّ اليهود الإيرانيون إلى إيران، وإنما رحلوا إليها طوعاً، وكانت لهم إيران منذ ذلك الحين، في الأيّام الحلوة والمرة موطناً. حتى يومنا هذا، تستضيف إيران في ظل الجمهورية الإسلامية أكبر جالية يهودية في الشرق الأوسط خارج إسرائيل، بالرغم من هجرة عشرات الآلاف منهم إلى إسرائيل أو إلى الولايات المتحدة... وعلى غرار الأتباع الآخرين في الإمبراطورية الفارسية، تمتع اليهود بالحرية الدينية، والتزموا بأحكام شريعتهم الخاصة في الأحوال الشخصية مثل الزواج وقانون الأحوال الشخصية. وهذه المعاملة اللطيفة جعلت اليهود أقل ممانعة للتأثيرات الفارسية في الديانة اليهودية»[٨]. كما «أصدر آية الله الخميني فتوى يأمر فيها بحماية اليهود»[٩].

بينما في المقابل لا نجد مسجداً واحداً، ولو صغيراً، لأهل السُنة في عاصمة إيران طهران، رغم أنّ عدد أهل السُنة في طهران يقارب المليون والنصف، وإلى الله المشتكى[١٠].

٨ـ التكريم والتقريب مع الأديان الأخرى: نقل لنا التاريخ الاستقبال الحافل من الشاه الصفوي عباس الكبير لنصارى أوروبا! فيقول المؤرخ الإيراني نصر الله فلسفي: «ففي سنة ١٠٠٧هـ / ١٥٩٩م جاء إلى إيران قسيسان

---

(١) المرجع السابق، ص (١٣٨).

(٢) إيران وعلاقتها الخارجية في العصر الصفوي للإيراني نصر الله فلسفي، ص (٢٧).

(٣) المرجع السابق، ص (٢٠).

(٤) يقصد بالوثائق: الوثائق والمكاتبات التاريخية الإيرانية في عهد الدولة الأفشارية.

(٥) سؤال التقريب بين المذاهب - أوراق جادة - لحيدر حبّ الله، ص (٣١٣).

(٦) موقع الأقباط الأحرار www.karemlash4u.com

(٧) تريتا بارزي الكاتب الإيراني الأصل، الأمريكي الجنسية، رئيس المجلس الوطني الأمريكي الإيراني، والمدرس بجامعة هوبكنز بالولايات الأمريكية المتحدة. وُلد في إيران ونشأ في السويد وحصل على شهادة الماجستير في العلاقات الدولية ثم على شهادة ماجستير ثانية في الاقتصاد من جامعة ستوكهولم لينال فيما بعد شهادة الدكتوراه في العلاقات الدولية من جامعة جون هوبكينز عن رسالة حول العلاقات الإيرانية الإسرائيلية، ويُعد تريتا بارزي الوحيد الذي تمكن من الوصول إلى كبار صناع السياسة والقرار الأمريكيين والإسرائيليين والإيرانيين، كما أنه خبير في السياسة الخارجية الأمريكية.

(٨) حلف المصالح المشتركة، ص (٣٦).

(٩) المرجع السابق، ص (٢٧).

(١٠) لأهل السُنة حضور كبير في إيران، وشهد بذلك المرجع الخميني، حيث يقول في كتاب: (مختارات من أقوال الإمام الخميني)، (١١٩/٢): «أهل السُنة المنتشرون بكثرة في إيران، والقاطنون مع العدد الكبير من علمائهم ومشايخهم في أطراف البلاد وأكنافها».

برتغاليان، أحدهما من جماعة الفرنسيسكان واسمه الفونسو كورديرو، والثاني من جماعة الدومينيكان واسمه نيكولا دي ميلو، وذلك عن طريق جزيرة هرمز وقابلا الشاه عباس في مدينة أصفهان وقدّم نيكولاو دي ميلو نفسه على أنه أسقف هرمز والمندوب الخاص لبابا روما وملك إسبانيا، وقد قابل الشاه عباس هذين القسيسين بكثير من المحبة والعطف ومنح نيكولا دي ميلو صليباً من الذهب مكللاً بالماس والفيروز والياقوت»[1]. «وكانت جميع رسائل الشاه عباس إلى ملوك وحكام أوروبا تشتمل تقريباً على النقط والشروط والموضوعات التالية: ١ ـ يفتح شاه إيران باب الصداقة والاتحاد بسبب اهتمامه بالدول: المسيحية ورعاياها»[2].

بل بلغ الأمر من شدة التزلف وحبّ التقرب للنصارى، أن قطع الشاه عباس الكبير يد ولسان أحد سفرائه إكراماً لعيون نصارى أوروبا! يقول الإيراني نصر اللّه فلسفي: «تشاجر السفير الإيراني وشيرلي في روما حول أهمية مركز كل منهما وأغلظ شيرلي القول للسفير الإيراني وطلب منه أن يُطيع أوامره فحزن السفير الإيراني مما سمعه وانفصل عنه غاضباً وعاد إلى إيران، وحين وصلها وذهب لمقابلة الشاه عباس وشرح له تفصيلات رحلته في حضور روبرت شيرلي أخو انتوني وألصق به كثيراً من التهم، ولكن روبرت دافع عن أخيه وبرهن على أكاذيب السفير، ولهذا أمر الشاه عباس فقطعوا يدي السفير ولسانه أمام روبرت»[3].

ويقول الإيراني علي شريعتي: «من القضايا الواضحة وجود نحو ارتباط بين الصفوية والمسيحية... وقد وجد رجالات التشيّع الصفوي أنه لابد من توفير غطاء (شرعي) لهذا التضامن السياسي، فعملوا على تقريب التشيّع من المسيحية.

وفي هذا الإطار عمد الشاه الصفوي استرضاء المسيحيين من خلال دعوتهم للهجرة إلى إيران، وقد شيّد لمسيحيي (جلفا) مدينة مستقلة قرب العاصمة»[4].

وفي واقعنا المعاصر نجد أن إيران الملالي تعامل اليهود والنصارى بكل ودّ واحترام. وعلى سبيل المثال تذكر لنا صحيفة نشاط الإيرانية مشاركة وزير الإرشاد عطاء اللّه مهاجراني في احتفال كنسي للأرمن في شالدران، وهي المدينة التاريخية التي انتصر فيها الجيش العثماني على الجنود الصفويين الذين حملوا إيران على التشيّع جبراً بمعاونة إخوانهم الصليبيين وذلك بمناسبة مرور ١٧٠٠ عام على بناء هذه الكنيسة، وقال مهاجراني في احتفال الأرمن ذاك في (قره كليسا): اليوم أشعر بنفس الشعور الذي أجده في المسجد، وكما تذكر الصحيفة أنّ المؤسسات الحكومية والاتصالات ووزارة الطرق ومنظمة الهلال الأحمر الإيراني شاركت في هذا الاحتفال وقامت وزارة الطرق بتعبيد الطريق على بعد ٥ كيلومترات من الطريق الفرعي للكنيسة[5].

إن تعاون الصفويين وتقاربهم مع الأوربيين ضد العثمانيين أهل السُنّة، وتعاون إيران الملالي وتقاربها مع أمريكا ضد أهل السُنّة في العراق وأفغانستان، حقيقة يعترف بها شيخهم حيدر حبّ اللّه حيث قال: «ولسنا نعصم أفراد الشيعة ولا جماعاتهم عن خطأ ارتكبوه عبر الزمن، ونفتح الباب لمناقشة أخطاء الشيعة التاريخية، في القضايا كافّة التي قيل فيها الكثير، من الغزو المغولي ونصير الدين وابن طاووس، مروراً بالتحالف (الصفوي - الغربي) ضدّ الدولة العثمانية، وصولاً إلى ما يُقال اليوم عن تحالف بين الشيعة وأمريكا... فهذه الموضوعات جميعها قابلة للنقاش، فلم يزعم شيعي عصمة الشيعة بالمطلق ولا أفرادهم، بمن فيهم كبار علمائهم ومراجعهم وسياسيّيهم، لكن هذا أمرٌ والصورة الإقصائية والتخوينية للشيعة أمرٌ آخر»[6].

ونخلص مما تم استعراضه وذكره: أنّ كل عمل إرهابي دموي قمعي، يحتوي على عقيدة خرافية، مغلفة بالطعن لرموز أهل السُنّة يجوز لنا أن نُطلق عليه لقب عمل صفوي. ولمن أراد الاستزادة فعليه بمراجعة كتابي (خفافيش الظلام - أكذوبة التقريب بين السنة والشيعة - حقائق ووثائق).

(١) إيران وعلاقتها الخارجية في العصر الصفوي، ص (٢١).
(٢) المرجع السابق، ص (٢٦).
(٣) المرجع السابق، ص (٣٣)، هامش (١٤).
(٤) التشيّع العلوي والتشيّع الصفوي، ص (٣٠٦).

(٥) صحيفة نشاط الإيرانية، عدد رقم (١٠٨).
(٦) مقال بعنوان: (أزمة انتماء واعتراف الشّيعة جزء لا يتجزّأ من الأمّة الإسلامية) لحيدر حبّ اللّه، في موقعه الرسمي (نصوص معاصرة)، بتاريخ ٢٠٠٩/١١/١٧م.

حوار مع د. محمد مورو:
المشروع الإيراني سيفشل لأنه عكس اتجاه التاريخ

أسامة الهتيمي[*] – خاص بالراصد

ربما طالت الفترة الزمنية التي تكشفت فيها حقيقة المشروع الإيراني الطائفي والقومي الجديد الذي اتخذ من ثورة الخميني عام ١٩٧٩م وشعاراتها رداء زائفا وخادعا لكنه انطلى على الكثيرين من أبناء الأمة العربية والإسلامية، فحظيت بدعم وتأييد هؤلاء الذين رأوا فيها بدايةَ الطريق للتحرر من قوى الاستعمار والهيمنة وابتعاث نهضة الأمة الإسلامية، غير أن الأحداث والوقائع التي تتالت أكدت - يوما بعد يوم- أن هذه الثورة المزعومة وهذه الشعارات الرنانة لم تكن إلا أداة لتحقيق مشروع حلم توسعي طائفي قومي على حساب هذه الأمة.

في المقابل، وعلى الرغم من حالة الانكشاف التي فضحت المشروع الإيراني بأهدافه ووسائله، خاصة بعد الغزو الأمريكي لكل من أفغانستان والعراق، إلا أنه ما زال هناك من يحاول أن يجمّل من صورة هذا المشروع أو يلتمس له المبررات، وهو ما يؤكد أهمية أن نواصل تسليط الضوء على فضحه وكشف حقيقة أهدافه، وهو ما دفعنا مجددا إلى إجراء هذا الحوار مع الكاتب والمفكّر الإسلامي المصري الدكتور محمد مورو، رئيس تحرير مجلة المختار الإسلامي، ورفيق الراحل الدكتور فتحي الشقاقي مؤسس حركة الجهاد الإسلامي الفلسطينية، والذي كان أحد الذين تحمسوا لثورة الخميني ودعموها قبل أن يتحول عن هذا الدعم ويشارك في عملية كشف الزيف.

كنتم أحد الذين دعموا ثورة الخميني في العام ١٩٧٩م، ما هي منطلقاتك لهذا الدعم في حينه؟

كانت قناعتي، والكثير من شباب الحركة الإسلامية آنذاك، أنه عندما يكون المشروع إسلاميا فنحن معه، وعندما يكون ضد أمريكا و«إسرائيل» حتى ولو كان غير إسلامي فنحن أيضا معه، ولا بد أن ندعمه، لذلك ومن هذا المنطلق أيّدتُ ثورة الخميني التي رفعت شعارات إسلامية وأعلنت تحديها لأمريكا و«إسرائيل»، لكنني أذكر أنني بدأت أتراجع عن تأييد الثورة الإيرانية أيام الغزو الأمريكي لأفغانستان في العام ٢٠٠١ والغزو الأمريكي للعراق في ٢٠٠٣، حيث اكتشفتُ ساعتها إن إيران الثورة تساعد أمريكا على غزو بلدين مسلمين، فكتبتُ حينها في مجلة «المختار الإسلامي» انتقد هذا الموقف وأدين السلوك الإيراني، فردّ عليّ السفير الإيراني وقتها وشتمني فرددتُ عليه بثلاث كلمات وقلتُ له: «عندما تكون أهدافك إسلامية فأنا معك، وعندما تكون أهدافك شيعية فأنا سنّي، وعندما تكون أهدافك إيرانية فأنا مصري».

وكيف نجح الخميني في أن يخدع كل هذه الملايين؟

الخميني كان يقول (الموت لأمريكا الموت لـ «إسرائيل») وكان رفع هذه الشعارات في ذلك الوقت كفيلا بأن يحشد خلفه الكثير من المسلمين، غير أننا اكتشفنا بعد ذلك أن مشروع الخميني كان مشروعا من أجل القومية الإيرانية، ومن أجل مصالح الدولة الإيرانية، واستخدم فيه التشيع والصراع مع التسنّن، وكلّ ما يمكن لخدمته، كما هو الآن وفق تصوري مشروع أردوغان فهو مشروع غير إسلامي، يخدم مشروع القومية التركية، ويستخدم التسنن كأداة في إطار رفع القومية التركية، لهذا فالقوميون الأتراك يؤيّدون أردوغان جدا، مع أنهم علمانيون، بل إنّ منهم ملحدين وذلك لأنهم يعرفون أن الهدف من الكلام عن الإسلام ليس إلا لتحقيق المصالح القومية التركية.

ونفس الكلام بالنسبة لإيران، حيث اتضح أنه ليس فقط مشروع شيعي ولكنه مشروع إيراني، يستخدم كلمة المشروع الشيعي لحشد الشيعة ولحشد الإسلاميين ولحشد أعداء أمريكا في طريق المصالح القومية الإيرانية فحسب.

وما هي بنظرك المصالح القومية الإيرانية؟

إيران تعمل على بناء دولة قوية وأن تتمدد في المنطقة ويصبح لها نفوذ، وأن تشارك أمريكا في اقتسام الكعكة، وبالمناسبة فالصراع بين أمريكا وإيران صراع على المكاسب، فعلي لاريجاني قال لأمريكا وبصراحة شديدة: نحن على استعداد أن نتفاهم مع أمريكا شريطة أن لا تعطينا «مصاصة» فقط – إشارة إلى ضآلة الثمن - إننا لن نقبل الاكتفاء بـ «المصاصة»، فلاريجاني يريد أن يقتسم مع أمريكا ثروات المنطقة والمصالح فيها وأن تصبح إيران - مثلها مثل الكيان الصهيوني- شرطيا يمكن أن تعتمد عليه أمريكا في المنطقة.

في هذا الإطار كيف تقيّم علاقة إيران بالإسلام، هل هو بالنسبة لها مجرد أداة؟

نعم بكل تأكيد، الإسلام بالنسبة لإيران هو مجرد

(*) كاتب مصري.

أداة لخدمة المشروع الإيراني أو القومية الإيرانية أو المشروع القومي للدولة الإيرانية.

إذن يبقى أن التشيع والانحياز له ليس إلا على سبيل التمايز مع الإسلام السني؟

وهذا أيضا صحيح، والهدف من وراء ذلك حشد الشيعة في العراق ولبنان واليمن وسوريا والمنطقة الشرقية في المملكة العربية السعودية، فالتشيع هو الذي يكفل أن يكون كل هؤلاء مع إيران، بشكل تلقائي فضلا عن قطاعات من السنة ممّن يعادون أمريكا و«إسرائيل»، وهي بهذا تحقق أوراقا هامة جدا في التفاوض مع أمريكا، خاصة وأنه كما سبق الإشارة لا تمانع من أن تتفاوض مع أمريكا وتصل معها إلى حل، بدليل أنها توصلت للاتفاق النووي مع مجموعة ٥+١.

كيف تقيّم تجربتك الشخصية في دعم إيران وحزب الله؟

كان هذا الدعم على قاعدة العداء لأمريكا و«إسرائيل»، فأنا كان عندي ثلاثة مبادئ أساسية تحكم علاقتي بأي طرف وهي «العداء لأمريكا، العداء لـ «إسرائيل»، مع الاشتراكية الإسلامية» ولديّ قناعة أن النبي محمد ﷺ لو وُجد بيننا الآن فإنه كان سيحارب أمريكا و«إسرائيل» ويقف مع الفقراء.

ومن هذا المنطلق فإن أي طرف يعادي أمريكا حتى لو كان «هوجو تشافيز» سأدعمه وأؤيّده لأنه يدافع عن قضيتنا بعيدا عن إيمانه وكفره.

إذن لم يكن الخلاف العقدي حاضرا في ذهنك وقتئذ؟

ولم يكن حاضرا في ذهن العالم الإسلامي كله، فهذا التمايز الواضح الآن بين السنة والشيعة لم يتضح بشكل جلي لدى الكثيرين إلا بعد غزو أفغانستان والعراق، حيث بدأت إيران تقف مع أمريكا ضد شعبي أفغانستان والعراق، واكتشفنا وقتها أن هذا يتم على قاعدة التشيع فاكتشفنا أننا سنّة ولم نكن نعرف أننا سنة إلا لما بدأت إيران تظهر أنها شيعية.

لكن أليس هذا التمايز كان معلوما لدى الدارسين والمتابعين؟

إلى حدّ ما ..

فلماذا لم تستمع الجماهير السنية وقتها لما تحدّث به العالمون بهذا التمايز؟

وقتها لم يكن ليستمع أحد لهؤلاء لأنه إذا كنتَ تريد أن تقول: أنا ضد المشروع الشيعي فكان عليك أن تقف ضد «إسرائيل» وتناهضها وتقاومها وأن تقف أيضا ضد أمريكا، ثم لِتقل إن المشروع الشيعي سيئ، لكن أن تأتي لتقول إن المشروع الشيعي سيئ، في الوقت الذي تقيم فيه علاقات مع «إسرائيل» وأمريكا فهذا بكل تأكيد سيبقي المشروع الشيعي لدى الكثيرين هو المشروع الأفضل، لذلك فالجماهير وخلال ما حدث في لبنان عام ٢٠٠٦ صنعوا من حسن نصر الله بطلا بل وأنزلوا خطباء المساجد من على المنابر عندما قالوا إن الشيعة سيئون، لأنهم في هذا الوقت كانوا على قناعة بأن هؤلاء يقاتلون «إسرائيل» فطالما هو يقاتل «إسرائيل» ويقول الموت - ولو زورا - لأمريكا و«إسرائيل» يبقى هو أكثر صدقا منك.

ما الذي منع سنّة لبنان من أن يشكلوا مقاومة ضد «إسرائيل» بدلا من حزب الله؟ إن المشروع الإيراني إذا كان بالتركيب عميلا لأمريكا فأنت في هذه الحالة عميل لأمريكا بالمباشرة، ذلك أن إثبات عمالة إيران يحتاج إلى جهد في ظل رفع الشعارات المضادة والزعم بمقاتلة «إسرائيل».

لكن سنة لبنان يقولون غير هذا؟

أنا لا أقبل ما يتردد حول منعهم من المقاومة، فهذا أمر غير منطقي، فحزب الله لا يستطيع أن يمنعهم. ولو أننا افترضنا جدلا ذلك فإن بإمكان السنة أن يشكلوا مقاومة في الأردن أو في الضفة الغربية أو في أي مكان آخر. والخلاصة أن السنة هم أولى بالمقاومة حتى يُسقطوا مزاعم إيران وحزب الله.

ألا ترى أن موقف إيران من القضية الفلسطينية لا يتجاوز حدود ملامسة مشاعر العرب والمسلمين؟

نعم، ذلك لأنها ذكية والبديل هو أن يدعم السنة حركتي حماس والجهاد بدلا من أن تدعمهما إيران، وأن يقاتل السنةُ «إسرائيل» بدلا من أن تتاح لإيران فرصة ترويج الزعم بأنها هي التي تقاتلها وتقاومها، وأن نقطع علاقتنا بأمريكا بدلا من أن تبدو إيران دائما وأنها هي من تقف ضد أمريكا رافعةً شعار «أمريكا الشيطان الأكبر».

وإذا كانت إيران غير صادقة في كل ادعاءاتها وشعاراتها فلتكن أنت صادقا فيما تقول وتفعل، نعم إنهم كاذبون، لكن عليك أن تقول أنت الصدق، فلو أن شخصا يصوم نهار رمضان أمامي ثم يذهب للبيت فيفطر فيما شخص آخر يفطر أمامي في نهار رمضان فإن الثاني أسوأ من الأول.

وحتى نكون حاسمين نقول إنه طالما كنتَ على علاقة مع أمريكا و«إسرائيل» فسيظل المشروع الإيراني مقبولا لدى البعض وحتى يمكن محاصرته فلا بد أن تتبنى مشروع المقاومة ضد «إسرائيل» وتدعم الجهاد وحماس وكل فصائل المقاومة.

لكن هل ما زالت هذه الخدعة تنطلي على الناس؟

نعم لا زالت، والدليل أن «حماس» حتى هذه اللحظة تتلقى دعما ماليا من إيران، فهي ليس لديها بديل، خاصة أنها في حاجة ماسّة له، ولا تستطيع الاستغناء عنه إلا في حال كان هناك بديل آخر.

لكنني أقصد هنا الجماهير، هل ما زالت مخدوعة في إيران؟

الجماهير إلى حدٍّ ما أصبح لديها حساسية من المشروع الشيعي مقارنة بالماضي لكن يبقى في النهاية أن المشروع «الإسرائيلي» في نظرها هو الأخطر، لأنه خطر استراتيجي، أما المشروع الإيراني فهو خطر تكتيكي.

أليس المشروعان على علاقة ببعضهما البعض؟

أكيد هناك علاقة بين المشروعين من تحت الطاولة، ولكي نفكك هذه المسألة ببساطة شديدة فعلينا أن نعلن عداءنا لأمريكا و«إسرائيل» من غير دخول في متاهات، يوجد تحت الطاولة علاقات بين إيران و«إسرائيل»، وبين إيران وأمريكا، ولكن تفكيكها وإثباتها والتشهير بها لا يكون بأن نوثّق علاقتنا بـ «إسرائيل» و«أمريكا»، فنكون على علاقة بهما أكثر من علاقة إيران بهما.

بعد مرور ٣٨ عاما على ثورة الخميني ما هو تقييمك لها؟

الثورة انتهت لمصلحة الدولة الإيرانية، وتحوّلت لثورة من أجل إيران واقتسام الكعكة مع أمريكا في المنطقة ليس أكثر من هذا، فكل الشعارات كانت من أجل مصالح الدولة الإيرانية، سواء كان الإيرانيون واعين بهذا أم غير واعين.

ماذا تعني بأنهم غير واعين بهذا؟

من الممكن أن الخميني كان على غير وعي بهذا، والله أعلم.

هل تريد أن تقول إن الخميني لم يكن واعيا بما يقوم به، أليس معلوما أنهم يسيرون على نهج الخميني؟

هذا مجرد كلام، وهو نوع من تقسيم الأدوار، بدليل أنه يأتي لسدة الحكم في إيران من يُطلَق عليهم «إصلاحيون» وهم يقولون علنًا إننا على استعداد لإقامة علاقات مع «إسرائيل»، وخاتمي مثلا كان يقول هذا علنًا، هم يأتون بإصلاحيين لفترة وبمتشددين لفترة، وذلك كلّه في إطار مصلحة الدولة الإيرانية وحسب، فالمصلحة هي التي تحكم السلوك والمواقف، فلا سنّة ولا شيعة ولا فلسطين ولا شيء آخر.

كيف تقيّم دور إيران في المنطقة الآن؟

إيران تسعى إلى إمساك عدد كبير جدا من الأوراق حتى تقول لأمريكا إن معي أوراقا فتعالي لنقسّم المصالح والبترول في المنطقة وإنه يجب أن لا تعتمدي على «إسرائيل» وحدها كشرطي في المنطقة فإذا لم تستجيبي لهذا سأعطل مصالحك، وأثير حالة من الفوضى، وأفسد عليك كل شيء.

وهل تدرك أمريكا هذا؟

أمريكا تدرك هذا فهي لا تفكر إلا في مصلحتها، فإدارة أوباما كانت مع إيران، وكانت تريد أن تعتمد على إيران وتستغني عن الخليج، أما إدارة ترامب فلا تريد إيران بمفردها، لكن تريد إيران ومصر والسعودية وتركيا، أي تريد أن يتوزع النفوذ على الجميع.

وإيران لم تعمل شرطيا حتى الآن، لكنها تحاول أن تمتلك الكثير من الأوراق لتقول لدي أوراق وإنني مؤهلة لأكون شرطيا، فهي تسوّق لنفسها حتى تأخذ قطعة جيدة من الكعكة.

هل إيران وهي تتحرك بهذا الإدراك لم يعد يشغلها الصراع الأيدلوجي؟

إيران لا يشغلها أي شيء من كل هذا، فالقصة قصة مصالح، وما سواها مجرد كلام وشعارات يطلق في الهواء لحشد الناس.

هل تعتقد أن شعارات الخميني تجاوزها الواقع؟

نعم بالطبع.

لماذا الإصرار على رفعها للآن؟

حتى يبقى الشيعة خلفها.

لكن ماذا لو اعتمدت إيران كشرطي هل ستظل ترفع نفس الشعارات؟

بالطبع، حتى تستمر في دورها وحتى لا تضعف، فجمهورها ومَن تخاطبهم من الشيعة العرب وغير العرب يعتمد بالأساس على شعاراتها، لهذا تجد الموالين لها متحمّسين جدا ويتحركون بجدية وقد أدركت إيران أهمية ذلك وأن استمرار هذا يحقق نتائج أفضل.

كما نجحت إيران أن تقدم نفسها لأمريكا وللغرب على أنها الوحيدة القادرة على ضرب داعش، وهذا صحيح ولو بشكل جزئي.

ماذا عن بعض الحركات الإسلامية كحماس والجهاد اللتين تصرّان على التواصل مع إيران؟

أولاً هذا خطأ جسيم، وقد انسحبتُ من حركة الجهاد الإسلامي التي أسستُها مع فتحي الشقاقي بسبب ارتهان قرارهم لإيران، ولما واجهتهم بهذا قالوا لي باللفظ الواحد: «ليس لدينا بديل .. هل لديك آخر يعطينا هذه المساعدات فنقطع علاقتنا بإيران.. هل يمكن أن تمنحنا السعودية أو الكويت أو أي دولة سنّية هذه المساعدات؟».

ونفس الكلام بالنسبة لحماس، فهي ليس لديها بديل آخر .. لكن رأيي الخاص أن هذا خطأ، مهما كان حجم الدعم، فالأفضل لدي أن تقاوم هذه الحركات وفق إمكانياتها وأن لا ترهن نفسها لإيران.

هل تعني أن هذه الحركات غير مدركة لحجم الدور الإيراني؟

بالطبع تدرك هذه الحركات دور إيران وأهدافها، لكن للأسف أصبح هناك تشيع سياسي، فالجناح العسكري في حماس كله تابع لإيران سياسيًا، بل إن هناك جزءا من الجهاد الإسلامي تشيّع عقائديا.

هل هذا يعني أنهم تخلوا عن حلم تحرير فلسطين وأصبحوا جزءا من المشروع الإيراني؟

هم يتصورون أن إيران جادّة فعلا في تحرير فلسطين.

وما دلائل ذلك بحسبانهم؟

إنها تعطيهم أموالا وهم يقاتلون.

لكنها تلعب من تحت الطاولة مع «إسرائيل»؟

هم يشكّكون في صحة هذا ويستنكرون ذلك بل ويتّهمون المناوئين لإيران بأنهم هم من يلعبون من تحت الطاولة مع «إسرائيل»، هم يتصوّرون أن إيران تحمي نفسها كدولة، وهذا كلام فارغ لأنه ضد الولاء والبراء، فأي نوع من العلاقات مع أمريكا ضار بك على المستوى الشرعي وعلى المستوى التكتيكي، لكن هم يتصوّرون أن هذا تكتيك لتفادي الضربة الأمريكية، وفي نفس الوقت يساعدون المقاومة الفلسطينية فيبقى وفق التصور الإيراني أن هذا أمر عادي، وهذا أمر مدهش إذ كيف يجيزون التعامل مع أمريكا لكي يضربوا «إسرائيل»؟ هذا غير منطقي، فأمريكا هي التي أنشأت «إسرائيل».

ويجدر بنا هنا أن نشير إلى أن الشعب الإيراني يحبّ أمريكا، والإصلاحيون منهجهم الصلح مع «إسرائيل» وأمريكا.

ومرة أخرى أؤكد أنه وبالنسبة للجهاد وحماس فإنهم يقولون إن إيران تدعمهم وتعطيهم السلاح وتهرّبه لهم داخل الأراضي المحتلة، وبالتالي هم مضطرون إلى التعامل معها فضلا عن أن البعض منهم تشيع سياسيا، ومع ذلك فإنه - ووفق تصوري- فإن الأفضل في هذه الحالة هو حل أي حركة ترهن قرارها لإيران، لأنه أفضل لي أن أقاتل بإمكانياتي حتى ولو كانت ضعيفة، فحتما سيبارك اللّه فيها، وهذا ما قلتُه للشقاقي.

وهنا أوجّه كلامي للحركات المقاوِمة التي لا زالت تتواصل مع إيران وأقول لهم: ربما تتحقق نتائج تكتيكية سريعة بهذه العلاقة، لكن على المستوى الاستراتيجي والتاريخي ستخسرون كثيرا.

هل ترى أن المشروع الإيراني يقترب أم يبتعد عن تحقيق هدفه؟

هذا المشروع على مستوى العالم الإسلامي تم فضحه، أما على مستوى الشيعة فقد أصبح قضيتهم كلّهم، في الماضي كان يوجد خلاف بين الحوثيين والإمامية حول صحة ولاية أبي بكر وعمر- رضي اللّه عنهما - فهم يجيزون ولاية المفضول، أما الآن فلم يعد هناك خلافات بين الحوثيين وإيران، أو بين الإمامية وإيران، أو حتى بين الإسماعيلية وإيران، فإيران نجحت في أن تأخذ الشيعة كلّهم لطريق واحد ويكونوا جميعا يدًا واحدة، مع بعض الاستثناءات.

لكن هل يعني هذا أن إيران في الطريق لنجاح مشروعها؟

لا، لن ينجح، فهم أقلية في النهاية، وكما نقول إن مشروع «إسرائيل» محكوم عليه بالفشل حتى لو حقّق إنجازات سريعة، فإن المشروع الإيراني أيضا محكوم عليه بالفشل، والمشروع الوحيد القادر على النجاح في المنطقة هو المشروع السني بشرط أن يتبنى العداء لـ «إسرائيل» وأمريكا، أما إذا لم يفعل هذا فلن يتقدم وسيظل كسيحا، فبدلا من أن نجلس ونقول: حزب اللّه غير جاد في قتال «إسرائيل»، اصنع أنت مقاومة، وكن جادا في مقاومتها.

وهل يقاتل حزب اللّه «إسرائيل» الآن؟

لا، لكن في يوم من الأيام كان يقاتل، وواجب عليكَ أن تقاتل، وتكون على الأقل قد صنعتَ مثلما صنع حزب اللّه، فهو يزعم أنه محور الممانعة، وليس لديك ما يمنع أنت أيضا لتكون ممانعة، فـ «إسرائيل» ليست بالبعيدة عنك.

في ظل هذه الأجواء هل تتوقع نجاح المشروع الإيراني؟

لا لن ينجح فهذا عكس اتجاه التاريخ، المشروع الوحيد

القابل للنجاح هو المشروع السني، لهذا لو انتهت الحركة الإسلامية الآن فإن العالم الإسلامي سينتصر! أما استمرار بقائها فمعناه بقاء هزيمة العالم الإسلامي، لأن هذه الحركات لا تأخذ الموضوع بجديّة وتهتم بموضوع السلطة والكرسي والانتخابات والمشروع العصري وهو هدف مستحيل، فلو أنها أخذت مشروع مقاومة «إسرائيل» وأمريكا والاشتراكية الإسلامية وقول الحق وأن لا تكذب لانتهت القصة ولنهض العالم الإسلامي من جديد.

بعد هذه التطورات وتكشّف الدور الإيراني بالمنطقة كيف تنظر لمحاولات التقريب بين السنة والشيعة؟

هي فكرة طرحها الأستاذ حسن البنا وآية الله الكاشاني وهي فكرة من مبدئها خطأ لأن الشيعة تاريخيًا وقفوا مع أعداء الأمة، فكيف نقف مع أعداء الأمة ونقول تقريب بين المذاهب. سيظل السني سنيا والشيعي شيعيا، والأفضل أن نتفق جميعا على مواجهة أعداء الإسلام أمريكا و«إسرائيل»، لكن التقارب يعني هو أن تضحك علينا «الشيعة» لأنهم ماكرون، أنا ضد الصراع والقتال بينهما لكن حكاية تذويب الفوارق هذه مستحيلة.

هل كل الشيعة متعاطفون مع المشروع الإيراني؟

نعم معظمهم ...

هل يدركون أبعاد المشروع الإيراني؟

نعم، ويعرفون ما يفعلون.

ألا يتعارض هذا مع الانتماء للعروبة؟

هم يقدّمون تشيعهم على قوميتهم، ففي بلد مثل العراق عندما تترشح الأحزاب الشيعية الإسلامية والأحزاب القومية العربية الشيعية فإن الأحزاب الشيعية الإسلامية هي التي تحقق فوزا أكبر.

السياسيات الطائفية للحوثيين

خاص بالراصد

أولاً - سياسة نشر التشيع في اليمن:

دأبت الحركة الحوثية على نشر الفكر الرافضي الإمامي بين أتباعها من جهة، وبين أوساط أهل السنة من جهة أخرى عبر عدة وسائل، منها:

١ - توزيع كتابات حسين الحوثي وغيره، التي تزخر بالرفض والتشيع وتمجيد الخميني على الطلاب والشباب.

٢ – إقامة ما يسمى بالشعائر الحسينية وطقوس عاشوراء واحتفالات يوم الغدير وغيرها، وبث اللطميات الشيعية، التي تعتبر غريبة عن الوسط اليمني الزيدي والسني.

٣- إقامة دورات تعريفية ودعوية بالتشيع للشباب والشابات.

٤- رفع وتعليق صور الخميني وخامنئي وحسن نصر الله وبشار وشعارات التبجيل والتعظيم للتشيع في شوارع صنعاء وغيرها.

٥- استعمال المال في تشييع البعض، خاصة مع تفشي حالة الفقر والبطالة.

٦- شراء ولاء الوجهاء وشيوخ القبائل والأكاديميين من المنتفعين والمرتزقة، خاصة رموز حزب المؤتمر ليكونوا جسرا لنشر التشيع في المناطق السنية.

٧- التضييق على دعاة أهل السنة ومشايخهم عن طريق الاعتقال والاغتيال أو تقييد حركتهم مقابل فسح المجال لدعاة التشيع.

ثانياً – السياسات الطائفية تجاه المساجد ودور القرآن والعلم الشرعي والمؤسسات الدعوية:

١ - سياسة استهداف المساجد ودور القرآن وتدميرها سياسة وإستراتيجية ثابتة، ومن أوائل المساجد والمراكز التي دُمرت مسجد ومركز دمّاج سنة ٢٠١٤، والذي أسسه الشيخ مقبل الوادعي رحمه الله سنة ١٩٧٩م.

٢- بحسب إحصائيات رابطة علماء اليمن لعام ١٤٣٧هـ قام الحوثيون بتفجير ٢٩ مسجداً، دمّرت بالكامل، فيما تعرض ٢٤ مسجداً لأضرار بليغة جداً، وتهدمت أجزاء كبيرة من مبانيها، نتيجة استهدافها بالتفجير أو القصف بالدبابات والصواريخ، وبذات الأسلوب فجر الحوثيون ١٦ داراً للقرآن الكريم ومركزاً دينياً لعلوم الحديث.

٣- كان من أولويات الانقلاب الحوثي واحتلال العاصمة صنعاء مهاجمة جامعة الإيمان، فتم قصفها بالمدفعية ثم الاستيلاء عليها ونهبها وإغلاقها إلى الآن.

٤- إغلاق مركز الدعوة التابع لجمعية الإحسان.

٥- قصف مسجد كوفل في صلاة الجمعة بمحافظة مأرب وقتل الكثير من المصلين.

٦ - وقام الحوثيون بتحويل أكثر من ٣٠٠ مسجد في اليمن إلى ثكنات عسكرية ومستودعات للأسلحة، كما صرح بذلك وزير الأوقاف اليمني أحمد عطية!!

٧- والمساجد التي سلِمت من القصف والتدمير قامت مليشيات الحوثيين بالاستيلاء عليها بقوة السلاح وطرد أئمتها وخطبائها وتعيين أشخاص تابعين للحوثيين، غالبهم لا يُحسنون قراءة الفاتحة وهمّهم السبّ والشتم والترويج للأفكار الحوثية، فعلى سبيل المثال، قام الحوثيون في العاصمة صنعاء بالاستيلاء على مسجد القبة الخضراء في

شارع هائل ومسجد عمار بن ياسر في جولة المرور في شميلة ومسجد المؤيد والجميلي في الأصبحي وغيرها، وهي مساجد تمتاز بكبر حجمها ومواقعها المهمة.

كما أن الحوثيين قاموا بتعيين خطباء من قبلهم في كثير من مساجد صنعاء، ففي حي بيت بوس في جنوب صنعاء لم يسلم أي من مساجده السنية من تغيير خطيب الجمعة سوى مسجد واحد لأن من شيّده أحد المتنفذين ومنع الحوثيين من تغيير الخطيب!!

والكثير من الأئمة والمؤذنين والمصلين تم اعتقالهم وخطفهم، ففي تقرير رابطة علماء اليمن: هنالك ١٥٠ إماما مختطفا في عام ١٤٣٧هـ في مناطق متفرقة من اليمن.

٨- ومن السياسات الطائفية للحوثيين تعطيل حلقات تحفيظ القران في ما تبقى من مساجد أهل السنة، كما تتم مضايقتهم في صلاة التراويح في رمضان بمنعها أو ترديد الصرخة الحوثية فيها بصورة تشمئز منها النفوس ومستفزة للمصلّين، وتعليق ملصقات وشعارات الحوثيين داخل مساجد أهل السنة وعلى أسوارها في استفزاز واضح لمشاعر أهل السنة.

٩- رفع الأذان بالصيغة الشيعية في التلفزيون الرسمي وبعض المساجد.

ثالثاً – السياسات الطائفية لتغيير التركيبة السكانية والوظيفية:

١ – شراء الأراضي والعقارات في المناطق المهمة التي لا وجود لهم فيها، وساعدهم على تنفيذ ذلك نهبهم لثروات هائلة بمليارات الدولارات والريالات اليمنية من البنك المركزي في صنعاء ومن واردات الدولة من الضرائب والجمارك وغيرها من الإيرادات، بل وصل بهم الحال للاستيلاء على مواد الإعانة للفقراء والمحتاجين المقدمة من المنظمات الدولية.

فأحياء الجراف والروضة أصبحت وقفا على جماعة الحوثي، وأصبحت تحاكي الضاحية الجنوبية، معقل حزب الله في بيروت!! كما يتم الشراء في المناطق التي تعتبر مفاتيح مدينة صنعاء، ففي حي حدّة الراقي والمهم في صنعاء بيعت مباني وفلل لقادة حوثيون بـ ١٠ ملايين دولار، وجرى بيع مبنى ضخم مكون من ١٥ طابقا في حي الرباط إلى قيادي حوثي بمبلغ باهظ علما أن هذا الحوثي لم يكن يملك قبل الحرب بيتا في قريته!!

كما أن هناك كلاما عن تمليك مقر الفرقة الأولى مدرع لعبد الملك الحوثي ليقيم عليها حديقة أطفال ربحية بتمويل إيراني!! ومَن يعرف صنعاء يدرك أهمية موقع الفرقة التي تطل على أحد بوابات مدينة صنعاء. وقام الحوثيون بشراء بناية الجامعة البريطانية في بيت بوس بمبلغ أربعة مليارات وخمسمائة مليون ريال يمني، وهي بناية راقية وذات موقع استراتيجي في شارع الخمسين، وتطل على مفتاح صنعاء الجنوبي.

كما أن الجماعة الحوثية سيطرت على دائرة هيئة الأراضي والمساحة وعقارات الدولة التي تتيح لها وضع اليد بغير وجه حق على أراضي كثيرة ومهمة في صنعاء وغيرها من المدن اليمنية.

٢ – يعتمد الحوثيون سياسة قتل واعتقال وتهجير الخصوم وخاصة القادة لتشجيع حالات الفرار والهجرة من المناطق التي يريدون الاستيلاء عليها، فقبل الانقلاب الأخير هجّر الحوثيون الكثير من أهالي قرى سنية كان آخرها تهجير قرابة ١٥ ألفا من طلاب مدينة دمّاج.

وبعد الانقلاب واجتياح العاصمة تم استهداف منازل الوجهاء وزعماء العشائر والأحزاب التي عارضت الانقلاب، مما دعا الكثير منهم للفرار والنزوح عن منازلهم ومناطقهم وإلا تعرضوا للقتل أو الاعتقال والتعذيب، وبالطبع رافق نزوح القادة نزوح مئات الآلاف عن منازلهم خوفا من ظلم وقتل الحوثيين.

وقد كشف حقوقيون يمنيون مؤخرا أن حالات التعذيب قاربت الألف حالة معظمُها من العاصمة صنعاء، ووثق تحالف «رصد» أكثر من ٥٠٠٠ حالة اعتقال وإخفاء قسري وخلال فترة محدودة.

٣ – منذ اللحظة الأولى للانقلاب الحوثي قاموا بنشر لجانه التي تسمى «ثورية» في جميع مرافق الدولة ومؤسساتها لمراقبة كل صغيرة وكبيرة تصدر من تلكم المؤسسات، و ثم وضعوا أتباعهم في المناصب الحساسة والمحورية التي تسيطر على مصادر القرار، ويلاحِظ كل من يراجع تلك المؤسسات بذلك بدءًا مِن الحراسة الحوثية على البوابات إلى المناصب العليا خلف المكاتب، حتى أصبح شريكهم «حزب المؤتمر» مهمشا في هذه الأماكن الحكومية!! لكن تمت إزاحته وتهميشه لصالح الجهلة والمتخلفين من أتباع الحوثي لعامل الولاء فقط، ولعل وزير التربية والتعليم الحوثي أبرز مثال على ذلك.

رابعاً - السياسات الطائفية في الإعلام:

١- برغم أن الحوثيين كان لهم في السنوات الماضية عدد من الصحف والمطبوعات والهيئات الثقافية، منها: صحيفة الأمة، البلاغ، الشورى، ولعبت هذه الصحف دوراً في الترويج لعقائد الشيعة ومهاجمة أهل السنة على اختلاف تياراتهم، لكن الانقلاب الحوثي لم يتوانَ عن إغلاق كافة

مكاتب الصحف الحزبية والأهلية والمستقلة المخالِفة لهم في الرأي، بل أقدمت المليشيات الحوثية على نهب مكاتبها واعتقال محرريها والعاملين فيها، ومن هذه الصحف: صحيفة الأهالي، أخبار اليوم، صحيفة المصدر، صحيفة الصحوة، صحيفة مأرب برس، صحيفة الميثاق، ولم يبقَ في اليمن اليوم إلا صحف الحوثيين وتلك التابعة لعلي عبد الله صالح مثل اليمن اليوم، والديار، والمسيرة.

٢- كما هاجم الحوثيون مقرات القنوات الفضائية التي لا تتماشى مع الانقلاب الحوثي فأتلفتها وأغلقتها مثل قناة سهيل ويمن شباب والرشد واليسر وآزال.

٣- كما حجب الحوثيون الكثير والكثير جدا من مواقع النت المناوئة لانقلابهم.

٤- كذلك أغلقت المليشيات الانقلابية التي تحتل العاصمة اليمنية صنعاء قناة السعيدة الفضائية المستقلة.

٥- السيطرة على كلّ الصحف الرسمية مثل صحيفة الثورة، وإجبار رئيس تحريرها فيصل مكرم على الاستقالة.

٦- السيطرة على كافة القنوات الفضائية الحكومية مثل قنوات اليمن والإيمان وسبأ وعدن.

٧- كما تم إغلاق مكاتب قنوات فضائية دولية وعربية مثل الجزيرة والعربية وسكاي نيوز.

٨ - أكد مركز الدراسات والإعلام الاقتصادي اليمني تسجيل ٥٣٠ حالة انتهاك للإعلام في اليمن خلال عام ٢٠١٥، تعرض لها إعلاميون وصحافيون توزعت بين حالات قتل واختطاف وإصابة وتهديد ومحاولة قتل واقتحام ونهب منازل ومؤسسات إعلامية واعتداء بالضرب وإيقاف ومصادرة الصحف، إلى جانب حجب مواقع إلكترونية واختراق أخرى، وأكد التقرير فقدان ٦٣٠ من الصحافيين والعاملين في وسائل الإعلام عملهم جراء وقف ومصادرة واجتياح عدد من المواقع والصحف والقنوات والإذاعات في المحافظات اليمنية التي تسيطر عليها جماعة الحوثي والسلطات التي تخضع لسيطرتها، ونشر قوائم بأسماء الصحافيين تمهيدا لاعتقالهم.

٩- تسخير الصحف ووسائل الإعلام عبر تجنيد طواقم إعلامية للمساهمة في نشر الفكر الشيعي وتلميع صورة إيران ومحور ممانعتها.

خامساً - طائفية الحوثيين في التعليم:

١ – يتم تبديل وتغيير المناهج بهدوء دون إثارة الغالبية من الناس من قبل الحوثيين الذين نصبّوا جاهلاً وزيرا للتعليم وتجييرها لمصلحة توجهاتهم الرافضية والحزبية.

ومن أمثلة التغيرات مثلا: إبدال اسم عمر باسم محمود حتى لو كان في دروس اللغة العربية، كما تم حذف اسم صلاح الدين الأيوبي، كذلك تم إلغاء أحاديث لأن راويتها هي السيدة عائشة، رضي الله عنها، وتم إضافة صورة لزعيم الحوثيين حسين الحوثي في كتب مدرسية.

٢ – طباعة آلاف الكتيبات والنشرات التي تروج لطائفية الحوثيين وتوزيعها على طلبة المدارس.

٣- شكّل الحوثيون لجانا طائفية لتفتيش مكتبات المدارس ومصادرة كتب العقيدة الإسلامية التي تتعارض مع عقيدتهم وتشيّعهم.

٤ – إرسال مندوبين من الحوثيين للمدارس لنشر الفكر الحوثي الشيعي في طابور الصباح وفي الصفوف المدرسية.

٥- محاولة إجبار الطلاب في المدارس على ترديد الصرخة الحوثية رغم امتناع غالبية الطلاب عن هذا، ومعاقبة الطلاب الرافضين كما حدث في مدرسة النصر في بني أسعد التابعة لمحافظة المحويت، حيث أغلق المسلحون الحوثيون - بتوجيه من مدير التربية والمشرف الأمني بالمديرية- المدرسة ومنعوا خروج الطلاب لرفضهم ترديد الصرخة الحوثية.

٦ – العمل على تجنيد الطلاب للقتال في الجبهات، وهنالك يتم غسل أدمغتهم وزرع الأفكار الحوثية الشيعية فيها، عبر استغلال ظروفهم المادية السيئة لقاء راتب شهري يقدمه الحوثيون مع بعض الامتيازات لأهليهم.

٧ – تنفيذ مَعارض في المدارس لما يسمى شهداء الحركة الحوثية.

٨- تقديم منح دراسية للطلاب في إيران والعراق من أجل تشييعهم، وتشجيع البعثات العلمية والزيارات الأكاديمية إلى إيران والعراق وتسهيل كل ما يتعلق بذلك .

المرأة الغربية وتحديات البيت والعمل

فاطمة عبد الرؤوف(*)– خاص بالراصد

لم يكن دخول النساء في الغرب لسوق العمل المأجور نتيجة أفكار مثالية تُعلي من شئون النساء وحقوقهن الاقتصادية في العمل بل كان جزءًا من الفلسفة البراجماتية التي هي الدين الغربي الحقيقي بعد سقوط هيمنة الكنيسة، فمع تفجّر الثورتين الصناعيتين الأولى والثانية وما صاحب ذلك من الحاجة للأيدي العاملة الكثيفة

(*) كاتبة مصرية.

تم الزجّ بالنساء في أتون العمل في المصانع في ظل ظروف عمل بالغة القسوة، فقد عملت النساء لنحو ١٢ ساعة يوميا بأجور أقل بكثير مما يحصل عليه الرجال.

ولم يكن للنساء الضعيفات خيارات أخرى في ظل توحّش رأس المال وتغوّله وسيطرته على مناحي الحياة في الغرب، حيث تم استغلال النساء الغربيات بطريقة بشعة أثناء الحربين العالميتين الأولى والثانية، وذلك على أكثر من مستوى، فمن جهة شكّلت النساء الاحتياطي العمالي الذي تم ضخّه في المصانع كبديل للرجال الذين شاركوا في جبهات القتال، ومن جهة أخرى تم استعمال النساء في صناعات عسكرية خطيرة في مصانع الذخيرة حيث الأبخرة السامة والمتفجرات.

ومن الملاحَظ أنه تم استغلال النساء بالتلاعب العاطفي بمشاعرهن لإغرائهن للانضمام لمصانع السلاح في الحرب العالمية الأولى، من خلال خلق نداء مُرضٍ للنساء اللاتي انضممن إلى القوى العاملة، لكنها كانت دعاية خادعة ومضللة.

أحد الملصقات الدعائية كان عبارة عن منظر رومانسي لامرأة تنظر عبر نافذة مفتوحة إلى الجنود يسيرون إلى الحرب، والملصق يحوي نداء عاطفيا ورومانسيا، بينما في واقع الحال أن العديد من النساء تحمّلن مصاعب جمّة عندما جنّد أزواجهن.

ملصق دعائي آخر للحرب كان بعنوان «هؤلاء النساء يقمن بواجبهن»، صُورت فيه المرأة كما لو كانت تضحي من خلال الانضمام إلى صناعة الذخائر في حين أن الرجال يقاتلون في الجبهة، وصُورت المرأة في هذا الملصق بطريقة مُقنعة كأنثى جميلة ومبتهجة لترويج فكرة أن قيامها بواجب وطني لن يقلل من أنوثتها.

هذه الملصقات لا تصوّر عمل النساء الشاق والمضرّ في مصانع الذخيرة على الحقيقة، كما لا يوجد فيها أي إشارة إلى المواد الكيميائية شديدة الانفجار أو الأمراض الناجمة عن بيئات العمل القاسية، وقد استخدمت في هذه الملصقات صور شخصيات نسائية مثالية... ونتيجة لذلك ترك العديد من النساء حياتهن المحلية للانضمام إلى مصنع الذخيرة فقد اعتقدن إنهن سينلن ظروفا معيشية أفضل ورواتب مرتفعة، وأنهن يقمن بواجب وطني[1].

(١) http://cutt.us/zvrak بتصرف

هذا الخطاب العاطفي للنساء، والذي حقق نجاحا بالفعل يؤكد ما تريد الحركة النسوية نفيه عن طريق إصرارها على التساوي الكامل في طريقة التفكير بين الرجال والنساء، على أي حال نجحت البراجماتية الرأسمالية في استغلال عواطف النساء، فليس المهم ما يقال ولكن المهم حقا هو الواقع الذي يؤكد أن العاطفة مكوّن أساسي في منهجية المرأة للتفكير.

وبعد انتهاء الحرب العالمية وعودة كثير من الجنود للعمل في المصانع تم الاستغناء عن الكثير من النساء العاملات تحت شعارات عاطفية أخرى تطالب المرأة بالعودة للعائلة!

لكن الأمر لم يكن بهذه السهولة فالتغيرات الاقتصادية وسنوات العمل الشاقة للنساء أحدثت تغيرات حقيقية في الواقع الاجتماعي، حيث ثارت النساء في الغرب على هذا الاستغلال المنظم الذي وقع عليهن، في البداية كانت حركات تحرر النساء تطالب بمطالب عادلة كالمساواة في الأجور عندما تتساوى الأعمال، لكنها سرعان ما اندفعت في اتجاهات أكثر راديكالية وأصبح عمل المرأة المأجور مقدمة لازمة وحتمية لتحررها من الظلم التاريخي الذي تعرضت له، وتمت الدعوة لتهميش الأسرة واعتبار جهود المرأة غير المأجورة داخل نطاق العائلة صورة من صور الظلم والاضطهاد التاريخي الذي تعرضت له النساء، لكنهن مرة أخرى تعرضن للاستغلال في الوقت الذي كنّ يجاهدن فيه للهروب منه، ومن ذلك:

فجوة الأجور: على الرغم من مضي هذه السنوات الطويلة إلا النساء لا يزلن يعملن بأجور أقل بكثير من الرجال، يكفي في هذا الصدد الدراسة التي نشرها المعهد الوطني الفرنسي للإحصائيات حيث تبين أن الرجال يتقاضون أجرا أعلى من النساء، فمن بين ١٠ ملايين من الأزواج الذين كانوا يعيشون ويعملون في فرنسا تبين أن أغلبية الرجال – ثلاثة أرباعهم- تقاضوا أجورا مرتفعة مقارنة برواتب النساء. وأوضحت نفس الدراسة أن الدخل السنوي للنساء اللواتي يعشن في حالة مساكنة كان أقل من الرجال بفارق يقدر بـ ٤٢ بالمائة.

وهو ما أكدته الناطقة باسم الحكومة الفرنسية ووزيرة حقوق المرأة نجاة فالو بلقاسم التي دعت أرباب العمل وأصحاب الشركات إلى بذل جهود أكثر من أجل تقليص الفوارق في الأجور بين النساء والرجال واحترام القوانين التي تحافظ على مبدأ العدالة بين الجنسين وتوفير نفس فرص

العمل للنساء والرجال دون تمييز.

وعلى الرغم من ذلك اعترفت أن النضال من أجل تحقيق المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة سيستمر لسنوات طويلة طالما هناك نوع من «التخلف» السياسي لدى بعض المسؤولين والأحزاب السياسية وحتى داخل المجتمع.

وعلى الرغم من كل القوانين والوثائق التي تجرّم ذلك، فـ (عند دراسة الفجوة في الأجور بين الجنسين على مرّ الوقت، نجد أن اللجنة الاقتصادية المشتركة للكونجرس الأمريكي قد أظهرت أنه على الرغم من تراجع حالات عدم المساواة الموضحة، إلا أن الفجوة غير المبررة في الأجور تظل دون تغير.

وبالمثل، فوفقًا لخبيري الاقتصاد فرانسين بلاو ولورنس كان والأبحاث التي قاما بها عن الفجوة في الأجور بين الجنسين في الولايات المتحدة، فإن التقارب المطّرد في الأجور بين النساء والرجال لا يحدث تلقائيًا. ويقول الخبيران إنه بعد الزيادة الكبيرة في أجور النساء خلال ثمانينيات القرن العشرين، انخفضت الأجور في التسعينيات من القرن ذاته. ويتميز القرن الحادي والعشرين بوجود صورة متباينة من الارتفاع والانخفاض. وبالتالي يفترض بلاو وكان أنه: «مع وجود الأدلة التي تشير إلى تباطؤ التقارب في السنوات الأخيرة، تظهر احتمالية عدم استمرار تقلص الفجوة في الأجور بين الجنسين في المستقبل. علاوة على ذلك، هناك أدلة على أنه على الرغم من انخفاض التمييز ضد المرأة في سوق العمل، إلا أن بعض التمييز لا يزال موجودًا»)[1].

نساء وحيدات: لم يكن العمل المأجور للمرأة الغربية مجرد نشاط اقتصادي، بل كان ثورة على النظام الاجتماعي ومؤسسة الأسرة التي وصلت لأضعف حلقاتها مع الثورة الجنسية في ستينيات القرن المنصرم، تلك الثورة التي كانت تجليات لأفكار إنجلز عن مفهوم العائلة والمجتمع البطريركي ونتيجة جهود التيار الفرويدو ماركسي، بالإضافة طبعا للثمار النكدة للتوحش الرأسمالي في سوق العمل والتي تم التعامل بمقتضياتها مع الإنسان كالآلة المادية وتم فيها تسليع المشاعر وحسابها وفقا للفلسفة البراجامتية فكان أن رأت المرأة في الأسرة قيدا وظلما، لكن بعد مرور سنوات تذوقت النساء ثمار هذه التجربة المرة والمؤلمة والتي تحدث ربما للمرة الأولى في التاريخ البشري.

فبينما تفتقد الفتاة الغربية الشابة الاستقرار مع تعدد الشركاء حيث تخضع علاقتها بالشريك وفقا لنظرية السوق أو نظرية العرض والطلب فليس ثمة حقوق لها كأنثى ولا واجبات عليها، ولكن أيضا لا حقوق لها، هي قائمة بذاتها، وعملها المأجور هو الضمان الأكبر لها، فتستمر العلاقة طالما تتحقق المتعة والمصلحة لطرفيها، وتنتهي بمجرد الشعور بالملل أو ظهور شريك آخر أكثر جاذبية، لكن المرأة هي الخاسر الأكبر، فهي وحدها تعيش تجربة الأم العازبة التي تخضع للاستغلال الشديد من قبل الشركاء، وكثيرا ما يهجرها الشريك بدون سبب واضح، وكثيرا ما تعاني من تجربة الوحدة خاصة في المراحل العمرية الأكبر سنا عندما تتخطى مرحلة الشباب، فلم تعد تلك الأنثى الجذابة، وليس لها في الوقت ذاته حقوق على الشريك لئلا يهجرها، ومن ثم تقع الكثيرات منهن في فخ الوحدة، ومهما كانت قيمة الثروة التي حققتها من عملها المأجور ومهما كانت مشاركتها في المجتمع أو تجوّلها وتمتعها بالسياحة تبقى مشاعر الوحدة مهددة لسلامتها النفسية.

وفي هذا السياق لا يمكن تجاهل أن الوحدة مع الثروة شكلت ظاهرة السياحة الجنسية للنساء الغربيات الوحيدات المتقدمات في السن، وهي ظاهرة ملموسة قدّمها مخرج نمساوي في أحد أفلامه، حيث ألقى الضوء على العالَم المجهول للمرأة الأوروبية المسنّة التي تسافر إلى دول العالم الثالث بغرض السياحة الجنسية، لأن المرأة الغربية المسنّة لا يمكنها العيش على النحو الذي تراه في الإعلانات والأفلام، مما يدفعها للذهاب لدول كثيرة، فقط للتغلب على الوحدة وإشباع جزء من دوافعها الغريزية التي دفنت في بلادها الأصلية وفقا لسياسة العرض والطلب وآلية السوق المجتمعية هناك.

وبعض النساء الغربيات يشترين أزواجا بأموالهن حتى يضمنّ الاستقرار في هذا العمر، ذلك الاستقرار الذي افتقدته المرأة الغربية عندما قررت أن العمل المأجور هو ضمانة الاستقرار وليس مؤسسة الزواج التي تمردت عليها فاستغلّها الرجال أسوأ استغلال، وانتهى بها الأمر لمثل هذه الحال.

هذه الحال المزرية كانت الدافع للمخرج النمساوي للبحث عن الأسباب التي تجعل المرأة التي تصل إلى سن محددة تشعر بالتهميش والوحدة في المجتمعات الغربية، وبحسب قوله: «هدفي كان رسم الأمور بأقصى درجة ممكنة من الصدق و(أن أبحث في التكوينات الاجتماعية ... الأمر يتعلق بمجتمعنا. نواجه أسئلة مثل: ما الذي يجعل سيدة مثل تيريزا تفعل هذا؟ لماذا لا تجد الحبّ ولماذا تسعى وراءه في مكان آخر»؟.

---

(١) http://cutt.us/o6fr.

التحرش الجنسي: تُكثر النسويات في بلادنا من القول إن البلاد الغربية لا يقع فيها التحرش الجنسي، وإن وقع فهو بنسبة ضئيلة للغاية، إنهن يكذبن ويكررن تلك الكلمات حتى تتحول الادعاءات إلى حقائق، بينما الواقع الذي سنوضحه هو أن مشكلة التحرش الجنسي مشكلة بالغة الصعوبة في البلاد الغربية وهي أحد التجليات المنطقية للاختلاط في العمل الذي تعيشه النساء الغربيات والذي أصبح جزءا من المنظومة المجتمعية هناك، ففي دراسة قام بها مكتب مكافحة التمييز في ألمانيا فإن امرأة من بين كل خمس نساء تتعرض للتحرش الجنسي الجسدي هناك، بينما تعرضت ٥٠ ٪ منهن للتحرش اللفظي، وتقف مجالس العمال هناك عاجزة عن حماية المرأة من التحرش أثناء العمل.

العمل في المؤسسة العسكرية هو تطبيق لنظرية المساواة الكاملة في العمل، فالنسويات يصرّحن دائما بأن المرأة لا بد أن تشارك في جميع أوجه العمل، بما في ذلك حمل السلاح ويتجاهلن النتائج البشعة التي تتعرض لها المرأة في العمل، خاصة في بعض القطاعات، ومن ذلك ما كشفه أحد أكبر استطلاعات الرأي الشاملة للجيش الأمريكي، خرج للنور في مارس (آذار) ٢٠١١ وكشف عن تعرض ١٩٪ من المجندات في الجيش الأمريكي لاعتداءات جنسية ولكن نادرًا ما يبلّغ الضحايا رسميًا عن تلك الوقائع. ففي سلاح الجو، على سبيل المثال: هناك أقل من امرأة واحدة تُبلّغ رسميًا من بين كل خمس ضحايا.

وقالت أكثر من نصف الإناث اللاتي تعرّضن للاغتصاب في سلاح الجو الأمريكي: إنهن ملِن لعدم الإبلاغ رسميًا «خوفًا من أن يعاملن بشكل سيئ» أو «لأنهن لا يُردن أن يتسبب في مشكلة بوحداتهن»، فيما أفاد الثلث بأنهن لا يثقن في عملية الإبلاغ الرسمي.

وكشف تقرير يعود لمارس (آذار) لعام ٢٠١٣، بأن ما لا يقل عن ربع إناث الجيش الأمريكي تعرضن لاعتداءات جنسية، وأن ٨٠٪ من إناث الجيش الأمريكي تعرضن للتحرش الجنسي.

تعد الاعتداءات الجنسية في الجيش الأمريكي، على حساسيتها في هذا القطاع الشائك، جزءا صغيرًا من صورة كليّة لمجتمع أمريكي يعجّ بالاعتداءات الجنسية لدرجة كبيرة، تصل لوقوع اعتداء جنسي كل ٩٨ ثانية، بالرغم من الحرية الجنسية التي تتمتع بها أمريكا بالسماح للعلاقات الجنسية خارج نطاق الزواج.

فبحسب أرقام الشبكة الوطنية لمكافحة الاغتصاب في أمريكا، فإن ٣٢١,٥٠٠ شخص في أمريكا، تتراوح أعمارهم من ١٢ سنة فأكثر، يقعون ضحايا للاغتصاب أو الاعتداء الجنسي في المتوسط سنويًا، وبذلك تقع - بحسب الشبكة- حالة اعتداء جنسي كل ٩٨ ثانية في المتوسط في الولايات المتحدة الأمريكية.

وتتعرض نساء أمريكا وفتياتها لمعدلات عالية من الاعتداءات الجنسية، فسيدة من كل ست نساء في أمريكا قد تعرضت لمحاولة اغتصاب، أو واقعة اغتصاب كاملة في حياتها، واعتبارًا من عام ١٩٩٨، فقد وقعت ١٧,٧ مليون امرأة ضحية لمحاولة اغتصاب، أو واقعة اغتصاب كاملة، وحول الآثار النفسية للاغتصاب على ضحاياه الإناث، فقد عانى ٩٤٪ من النساء اللاتي تعرضن للاغتصاب من اضطرابات ما بعد الصدمة لمدة أسبوعين، فيما فكّرت ٣٣٪ من النساء اللاتي تعرضن للاغتصاب في الانتحار، فيما حاول ١٣٪ بالفعل الانتحار[1].

مستقبل العمل المأجور

تذوقت المرأة الغربية إذًا كثيرا من الويلات منذ أن اضطرتها الظروف أن تخوض غمار العمل المأجور بحيث يكون ذلك منهج حياة لها، وساهمت الأفكار النسوية الجديدة في الغرب عن مفهوم الأسرة ووظيفتها ودور الرجل والمرأة فيها ومكانة العمل المأجور بالنسبة لأولويات الأسرة في المشكلة المعقدة التي تعيشها النساء هناك.

لكن أصبح من الملاحظ أن أعدادا متزايدة من النساء الغربيات أصبحن يتّجهن للتفرغ لشئون الأسرة فـ (بعد عقود من التراجع، تم تسجيل صعود نسبة الأمهات اللواتي اخترن المكوث في البيت، إذ ارتفعت نسبة مكوث الأمّهات اللواتي لا يعملن خارج البيوت إلى ٢٩ في المائة سنة ٢٠١٢ بعد أن كانت هذه النسبة لا تتجاوز ٢٣ في المائة سنة ١٩٩٩ حسب استطلاع جديد صدر عن مركز «بيو» الأمريكي الحكومي.

هذا الارتفاع الذي لم يسجل في عشرات السنين الماضية، يمثل التحول المعاكس لمدى طويل من التراجع في مكوث الأمهات في البيوت صمد لثلاثة عقود في القرن الماضي.

لا تشمل الشريحة الواسعة من النساء الماكثات في البيوت فقط الأمهات اللواتي يصرحن بأنهم اخترن المكوث في البيوت من أجل رعاية أسرهن، ولكن تشمل أيضا

---

(١) http://cutt.us/2vhs.

الأمهات اللواتي اخترن المكوث في البيوت لأنهن غير قادرات على العثور على عمل، أو لأنهن عاطلات، وتحمل ٤٩ في المائة من الأمهات الماكثات في البيوت شهادات من الدراسة العليا أو أقل مقارنة مع ٣٠ في المائة من الأمهات العاملات.

ففي استطلاع حديث أجراه مركز بيو للأبحاث، فإن حوالي ٦٠ في المائة من المستجوبين صرحوا بأن الأطفال يكونون أفضل حين تمكث الأم في البيت، وتركّز اهتمامها على الأسرة وذلك بالمقارنة مع ٣٥ في المائة ممن يرون بأن الأطفال يكونون أيضا بخير مع الأم العاملة[1].

وعلى الرغم من ارتفاع الوعي المجتمعي بأهمية تواجد المرأة داخل الأسرة بشكل أكبر من أجل صالح الأسرة وصالح الأطفال تحديدا، إلا أن التيار العام لا يسير في هذا الاتجاه، لكن يبدو كما أن الفكر البراجماتي المصاحب للثورة الصناعية الأولى والثانية الذي أخرج النساء لسوق العمل المأجور، هو ذاته الذي سيعيدها للبيت مع الثورة الصناعية الرابعة (الثورة الالكترونية) وهو (ما حذر منه تقرير حديث صادر عن المنتدى الاقتصادي العالمي الذي يعقد اجتماعه السنوي في المنتجع السويسري «دافوس» والذي خلص عبر البحث فيما يُسمى بـ «الثورة الصناعية الرابعة» إلى أن السيدات هن أكبر الخاسرات في سوق العمل، بالنظر إلى أنهن لن يعملن على الأرجح في المجالات التي ستسهم فيها التكنولوجيا المتطورة في خلق وظائف.

وذكر التقرير الذي نشرت نتائجه صحيفة «جارديان» البريطانية على موقعها الإلكتروني أن أكثر الوظائف المختفية ستكون في الأعمال المكتبية والإدارية، بالرغم من أن المسح الذي أجراه المنتدى الاقتصادي العالمي يَتوقع أن يتم تعويض تلك الوظائف عبر إيجاد أدوار وظيفية في مجالات مثل الحوسبة والرياضيات والعمارة والهندسة، مع فقدان النساء خمس وظائف مقابل كل وظيفة يتم توفيرها، مقارنةً بثلاث وظائف أمام كل وظيفة يتم توفيرها بالنسبة للرجال».

وأضاف التقرير: «بالنظر إلى مشاركة السيدات الضعيفة في مهن العلوم والتكنولوجيا والهندسة والرياضيات- واحدة من المجالات التي تنمو بسرعة في خلق الوظائف- تكسب المرأة وظيفة واحدة جديدة فقط في تلك المهن مقابل كل ٢٠ وظيفة تفقدها في المجالات الأخرى، في حين يكسب الرجال وظيفة واحدة جديدة مقابل كل أربع وظائف مفقودة في المجالات الأخرى»[2].

(١) http://cutt.us/tek0b بتصرف يسير.

التجربة السياسية الشيعية الحديثة... من المعارضة إلى السلطة
٢- التجربة الشيعية العراقية

بوزيدي يحيى[*]– خاص بالراصد

ارتبط تاريخ الشيعة بالعراق منذ ظهور هذه الطائفة في المجتمع الإسلامي؛ وأهم تحولاتها وقعت في الجغرافيا العراقية، ومن حينها لم يمر على هذا البلد تحول سياسي مهم إلا وكان لهم دور فيه، سواء خلال فترة الحكم العباسي، الذي جعل من بغداد عاصمة للخلافة، وغيرها من التطورات السياسية، لعلّ أهمها الحروب العثمانية الصفوية التي كانت بلادُ الرافدين مسرحا للكثير من معاركها، وصولا إلى استقلال العراق ومسارات بناء الدولة الوطنية، التي كان ولا يزال للشيعة دور فيها، خاصة بعد استحواذهم على السلطة منذ عام ٢٠٠٣.

وتتسم الحالة العراقية ببعض الخصوصيات التي تميزها عن بقية التجارب الشيعية؛ يتوجب أخذها بعين الاعتبار عند محاولة تقييمها. أول هذه الخصوصيات يتمثل في وجود حوزة النجف التي تعتبر مركزا علميا للشيعة منذ ظهورها سنة ٤٤٩هـ، والتي كان لها دور في كل المحطات المصيرية، ليس لشيعة العراق فحسب، بل وأيضا لشيعة إيران بعد تحولها إلى التشيع، وهذا يقود للخصوصية الثانية المتمثلة في الموقع الجغرافي المجاور لإيران، التي أصبحت مركزا للشيعة من خلال حوزة قُم، ونموذجا للسلطة ما قبل الدولة المهدوية عند الشيعة؛ التي يتفق الشيعة عليها كهدف نهائي وإن اختلفوا في كيفية التعاطي مع الواقع ريثما يعود الإمام الثاني عشر من غيبته الكبرى.

وفي محاولة رصد التجربة السياسية الشيعية العراقية الحديثة تبرز ثلاث محطات أساسية:

١. تمتد أولها من الحرب العالمية الأولى حتى سقوط الحكم الملكي بانقلاب ١٩٥٨، وتتميز هذه الفترة بالاحتلال البريطاني وصعود التيارات القومية والشيوعية.

٢. والمحطة الثانية تبدأ من نهاية الملكية وتشمل الحكم البعثي حتى الاحتلال الأمريكي للعراق في ٢٠٠٣.

(٢) http://cutt.us/2cf0z.

(*) باحث وكاتب جزائري.

وتتميز هذه المرحلة بصعود التيارات الإسلامية في المنطقة والتي توجت في سياقها الشيعي بوصول الملالي إلى السلطة في إيران سنة ١٩٧٩، وقبلها تأسيس حزب الدعوة في العراق.

٣. والمرحلة الأخيرة التي نعايشها حاليا منذ ٢٠٠٣ والتي تتميز بوصول الشيعة إلى السلطة عقب الاحتلال الأمريكي.

مرحلة الاستقلال وبناء الدولة: المواطنة على المقاس الطائفي

خرج العراق من عباءة الحكم العثماني ليدخل مباشرة تحت الاحتلال البريطاني، والاستقلال عنه في ١٩٣٢ لم يضع نهاية للنفوذ البريطاني. واستمر الوضع على هذا الحال حتى الإطاحة بالحكم الملكي بانقلاب ١٩٥٨.

وخلال هذه الفترة التي دامت قرابة أربعة عقود عَرفت البلاد سجالات كبيرة بين مختلف الأطياف السياسية دارت جلّها حول الموقف من الاحتلال البريطاني، ثم من نفوذه غير المباشر، والموقف من السلطة السياسية، وقد تنوع الفاعلون في كل هذه الأحداث بين النخب الدينية والحزبية والزعامات العشائرية، ولم يخلُ كل ذلك من تأثيرات خارجية.

لم يغب الشيعة عن تفاصيل هذا المشهد، وقد توزعوا على مختلف ألوان الطيف السياسي، وإن كان جلهم في خط المعارضة، فقد توزع رموز النخبة الشيعة على كل التيارات السياسية التي سادت العمل السياسي، سواء التيار القومي العروبي، أو الإسلامي الوطني، أو الشيوعي، أو الديمقراطي، أو الليبرالي، السرية منها والعلنية، الوطنية منها أو السلطوية[١].

ففي ١٩١٧ تأسس حزب النهضة الإسلامي بمدينة النجف، والجمعية الوطنية الإسلامية في ١٩١٩ بمدينة كربلاء، وفي ١٩٢٢ تأسس الحزب الوطني العراقي ذو الوجود الشيعي الواضح برئاسة محمد جعفر أبو التمّن، وحزب النهضة الوطني ذو الغالبية الشيعية أيضا برئاسة أمين الجرجفجي. والميزة الأهم تمثلت في تزعّم الشيعة للاتجاه الشيوعي الذي كان أغلب قادته ينتمون لهذه الطائفة، فقد كانت القيادات الشيعية، وخصوصا الكوادر المثقفة في الأربعينيات والخمسينيات، هي من نشطت في تأسيس الأحزاب اليسارية وتقويتها[٢]. والكثير من شباب الشيعة المتعلمين كانوا من مؤازري الحزب الشيوعي العراقي نتيجة توسع التعليم الرسمي في المناطق الشيعية إبان الثلاثينيات[٣].

وشارك الشيعة في الحزب الشيوعي العراقي السري بداية، وفي حزب البعث العربي الاشتراكي لاحقا، مشاركة واضحة، وهو ما مكّنهم من تبوؤ مناصب قيادية مركزية في الحزبين[٤]. فقد كان الأمين العام للحزب الشيوعي العراقي «عادل سلام» من أهالي النجف، وينتمي إلى أسرة من السادة، واسمه الحقيقي سيد حسين الرضوي[٥].

وترأس صالح جبر، وهو من نخبة الشيعة المعروفين، حزب الأمة الاشتراكي، الذي تأسس في ١٩٥١، ويكاد هذا الحزب أن يكون محصورا في الشيعة بالدرجة الأولى، رغم أن رئيسه لم يكن معروفا بالطائفية[٦].

وكانت قيادة البعث بيد فؤاد الركابي (الشيعي) حتى ١٩٥٩؛ حيث كان نسيج الحزب متألفا من مزيج من الشيعة والسنة، وكان التوجّه العام للحزب هو التوجه القومي العربي المطعّم بميول اشتراكية[٧].

ويزعم الشيعة أن ما حصل في هذه الحقبة كان إقصاءً ممنهجا لهم، وحتى مشاركتهم بين الفينة والأخرى لا ترتقي إلى مستوى حجمهم في المجتمع العراقي، وأن السنة احتكروا العمل السياسي، ويتداول في الأوساط الشيعية أن المبدأ الذي هيمن على معادلة الحكم في العراق أيام العهد الملكي وما بعدها هو «أن الضرائب على الشيعة والمناصب للسنة»[٨].

وفي دراسة للوزارات خلال هذه المرحلة اتضح أن هناك أربعة من نخبة (الأقلية الشيعية) تقمّصوا رئاسة سبع وعشرين وزارة من أصل أربع وخمسين وزارة، أي أن نصف الوزارات تقمصتها نخبة الأقلية! في حين تقلد أربعة من نخبة الأكثرية رئاسة خمس وزارات فقط، من المجموع العام

(١) عدنان عليان، الشيعة والدولة العراقية الحديثة: الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي (١٩١٤- ١٩٥٨)، بيروت: مؤسسة العارف للمطبوعات، ط١، ٢٠٠٥، ص ٤٨٨.

(٢) كمال ديب، موجز تاريخ العراق: من ثورة العشرين إلى الحروب الأمريكية والمقاومة والتحرير وقيام الجمهورية الثانية، بيروت: دار الفارابي، ط١، ٢٠١٣، ص ٩٢.

(٣) إسحاق نقاش، (ترجمة عبد الإله النعيمي)، شيعة العراق، دمشق: دار المدى للثقافة والنشر، ط١، ١٩٩٦، ص ٢٣٧.

(٤) عدنان عليان، مرجع سابق، ص ٤٨٤.

(٥) رسول جعفريان، التشيع في العراق وصلاته بالمرجعية وإيران: نظرة عابرة، قم: دار الحبيب، ط١، ١٤٢٩هـ، ص ١٢٠.

(٦) عدنان عليان، مرجع سابق، ص ٤٨٨.

(٧) رسول جعفريان، مرجع سابق، ص ١٢٢.

(٨) المرجع نفسه، ص ١٠١.

للوزارات الملكية البالغ تسع وخمسون وزارة، علما أن جلّ الذين تقلدوا رئاسات الوزارات من الفئتين كانوا ضمن حلقات المتعاونين مع الإنكليز أو محسوبين على البلاط، سواء عند استوزارهم، أو خلال مسؤولياتهم اللاحقة[١].

ومن حيث طبيعة توزيع الحقائب الوزارية لغالبية الوزارات التي تشكلت في العهد الملكي؛ فغالبية الوزارات الحساسة والمهمة، ورئاسة الأركان والقوة الجوية والكلية العسكرية وكلية الشرطة وكلية الأركان والاستخبارات العامة، كانت محصورة في رجالات بقايا ذلك الجيل من نخبة الأقلية وامتداداته[٢].

وعند رصد تشكيلات الوزارات التسع والخمسين التي استوعبتها فترة الحكم من ١٩٢٠ – ١٩٥٨، والتي ضمت ١٧٥ وزيرا، نجد أن حصة الشيعة فيها بحدود ٤٥ وزيرا، وهي نسبة تعادل ٢٥ بالمائة، وإذا تم حساب المشاركات الفعلية، يظهر أن عدد المشاركات لنخبة السنة سواء - كرؤساء وزراء، أو وزراء- ، كانت بحدود ٣٦٤ مشاركة متكررة، اضطلع فيها بحدود ١٣٠ شخصية من بين رئيس للوزراء ووزير في حقيبة وزارية، وبدون حقيبة في حين أن حساب المشاركات الفعلية لنخبة الشيعة سواء كرؤساء وزراء، أو وزراء كانت بحدود ١٣٦ مشاركة متكررة، اضطلع فيها بحدود ٤٥ شخصية بين رئيس للوزراء ووزير بحقيبة وزارية، وبدون حقيبة، وهي نسبة تقل عن ٤٠ بالمائة من حجم المشاركات العمومية. أما الوزارات التي تبوأها الشيعة فهي متنوعة شملت كل الوزارات العراقية التي قامت خلال تلك الفترة[٣].

لا يمكن نفي ضعف المشاركة السياسية للشيعة في السلطة خلال هذه المرحلة، والتي تمثل - بشكل أو آخر- امتدادا لأسلوب الحكم العثماني الذي تميز إلى حد ما بالتعصب ضد الشيعة[٤]. غير أن ما يمكن الوقوف عنده في هذه المرحلة أن النخب السياسية جلها تنتمي للتيار القومي، فكما سبق الإشارة تتميز الحقبة الملكية من التاريخ العراقي بالحضور القوي للاحتلال البريطاني، وما يدفع به ذلك من تراجع الانتماءات الهوياتية تحت الوطنية وصعود الهوية الوطنية في مواجهة الاحتلال الذي يحرك تلك المشاعر.

(١) عدنان عليان، مرجع سابق، ص ٣٦٣- ٣٦٤.
(٢) المرجع نفسه، ص ٣٦٤.
(٣) المرجع نفسه، ص ٤٤١.
(٤) عبد الله النفيسي، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، بيروت: دار النهار للنشر، ط١، ١٩٧٣، ص ٨١.

ومن المعلوم أيضا أن غالب تلك التيارات كانت علمانية أو على الأقل لا تتحرك من خلفيات دينية، وبذلك فإن نعت السلطة في تلك المرحلة بـ «السنية» لا يستند إلى مبررات موضوعية، والقراءة المعاكسة تستلزم منطقيا وصف النخب الشيعية التي كانت تنشط أيضا تحت عناوين قومية ويسارية بالطائفية. ومن هذا المنطلق فإن مشاركة الشيعة تبقى في إطار المعقول عند الأخذ بعين الاعتبار عدم وجود قانون ينص على تقسيم السلطة على أساس طائفي، ناهيك عن الجدل الذي ما زال مطروحا حول حقيقة نسبة الشيعة في المجتمع العراقي.

من جانب آخر فإن من التناقض البيّن أن القيادات الشيعية التي تبوأت مناصب سياسية في هذه المرحلة، والتي اتخذت إجراءات مسايرة للحكم البريطاني والملكي ضد القوى الوطنية المعارضة؛ تبرّر مواقفها - في أسوأ الأحوال- بالمصالح الخاصة أو الضغوط من بلاط الملك أو الإنجليز، بينما نفس المواقف والسياسات حين تصدر عن القوى السياسية السنية في تلك المرحلة تصنّف على أنها طائفية ولا يؤخذ بعين الاعتبار البعد الأيديولوجي أو المصلحي كما في حالة النخب الشيعية!

ومن زاوية ثالثة يُنظر للقوى الشيعية المشاركة في السلطة حينها كقوى وطنية، ويستند على سلوكها كترجمة عملية للانصهار في المجتمع، ونبذ الطائفية. وهذا فضلا عن أنه يستلزم أن القوى السنية في الطرف الآخر لم تكن تحركها الخلفيات الطائفية؛ فإنه بعيدا عن هذا التفصيل يفرض السياق طرح سؤال التدين عند النخب السياسية في تلك المرحلة، والذي نجده بعيدا عن مركز صياغة الرؤى السياسية، والسياق الأمثل لاستحضار هذا البعد في تحليل المواقف السياسية مع بروز الأحزاب الدينية التي رفعت شعارات تعبر عن أيدلوجيتها بشكل مباشر وصريح وعلني.

مرحلة الصحوة: التموضع داخل الطائفة

تزامن التحول من الاتجاه اليساري والقومي إلى الاتجاه الديني مع نهاية الحكم الملكي وصعود البعث لاحقا، وتذهب بعض القراءات إلى أن انتقال شيعة العراق من الشيوعية إلى العمل السياسي الطائفي جاء كردّة فعل على سياسات التهميش والإقصاء التي تعرضوا لها سابقا[٥].

غير أن هذا التحليل يغفل السياق العام للظاهرة التي لم

(٥) ينظر على سبيل المثال: إسحاق نقاش، مرجع سابق، ص ٢٣٦. وينظر أيضا: كمال ديب، مرجع سابق، ص ٩٢.

تكن حكرا على المجتمع العراقي بشكل خاص، أو الشيعة بشكل أخص، فصعود ثم تراجع التيارات القومية واليسارية ظهر في المنطقة العربية والإسلامية بشكل عام كانعكاس لما كان يحصل في أوروبا، ومع إخفاق هذه التيارات في تحقيق وعودها وفشلها داخليا وخارجيا كانت التيارات الإسلامية تعرف صعودا تدريجيا نضج في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي.

وأهم ما يؤكد ذلك أن مناهضة الشيوعية جاءت من داخل الحوزة الدينية؛ فمحمد باقر الصدر ألّف كتابه الشهير «فلسفتنا» على أساس توصية من المرجع الحكيم، وذلك لمواجهة المدّ الشيوعي الذي اكتسح الوسط الشيعي أكثر من اكتساحه للوسط السني[١]. كما أسهم في صعود الشيعة لجوء المرجع الخميني إلى العراق هربا من ظلم الشاه، مقيما وسط الشيعة في النجف في أوائل الستينيات، مما أدى إلى انحياز الشيعة أكثر فأكثر لمزج الدين بالعمل السياسي[٢].

ويمثل حزب الدعوة أول مؤسسة حزبية شيعية تهدف للوصول إلى السلطة لتطبيق نموذج حكم يتوافق مع عقائد الشيعة، وقد انبثق من صميم رحم المؤسسة الدينية الشيعية، بمشاركة ثقل ديني وعلمائي وطبقة من المثقفين الإسلاميين، وعلى رأسهم محمد باقر الصدر ومهدي ابن محسن الحكيم، ونجله الثاني محمد باقر الحكيم، ومحمد بحر العلوم، إضافة إلى نخبة من رموز الشيعة[٣].

وقد قويت شوكته بعد إصدار علماء الشيعة فتاوى ضد العضوية في الحزب الشيوعي في ١٩٦٠ فاتسعت قاعدة الحزب في أواخر عقد الستينيات في ظل قائده محمد باقر الصدر. ومع أن مبادئ الحزب المعلنة تجاه القضية العراقية كانت عادية ومعتدلة إلا أن دعوته لقيام جمهورية إسلامية في العراق أعطته صبغة ضيقة لم يتحرر منها[٤].

ولم تكن فكرة الوطنية والانتماء للعراق مطروحة عند حزب الدعوة، ذلك أن التوجه السائد للأحزاب الدينية السنية والشيعية هو التوجه الأممي المنادي بوحدة الأمة الإسلامية، ولهذا فكّر قادة الحزب في فتح فروع له في أفغانستان ودول أخرى[٥]. وقد تعزز هذا الطرح بعد عام ١٩٧٩، ففي بداية الثورة الإيرانية تحول نداء المعارضة الشيعية العراقية من المطالبة بالمشاركة في الحكم إلى هتاف للخميني وإلى قيام الجمهورية الإسلامية في العراق، وإلى فتوى علمائية بتحريم العضوية في حزب البعث[٦]. وأصبح باقر الصدر يتكلم وكأنه متحدث باسم الخميني في العراق ويجاهر بالولاء للثورة الإيرانية، ويذكر الخميني على أنه ولي أمر المسلمين في كل مكان[٧].

وما يؤكد هذا الاستنتاج موقف قيادات الأحزاب الشيعية حينها من التيارات الإسلامية السنية، فقد كانت مشاركة الشيعة محدودة في حزبي الإخوان المسلمين والتحرير ذوي الأكثرية سنية التي تكاد تكون مطلقة[٨].

وفي تاريخ الحركة الإسلامية الشيعية العراقية فإنّ جلّ التنظيمات الشيعية كانت منغلقة على نفسها، والمبادرات القليلة في هذا المجال التي حاولت تجاوز الإطار الطائفي لم تستطع ذلك، فطالب الرّفاعي الذي كانت له صلة بحزب التحرير والإخوان المسلمين؛ وهما من التنظيمات السنية مع إقراره باتصالاته الوثيقة بهما إلا أنه نفى أن يكون عضوا فاعلا بحزب يقوم على غير الفكر الذي يعتقده ويتبناه (الفكر السياسي الإمامي)[٩].

ويبدو أن انضمام شيعة -يضيف رشيد الخيون- إلى أحزاب سنية دينية كان فيه نوع من المكابرة، أو تجاوز على الواقع إلى الأخذ بالدعاية الحزبية، وإلا فالاختلاف الديني والسياسي بين الشيعة والسنة أكبر بكثير من تلك المحاولات الفردية، ألا وهو اختلاف الإمامة، وبالتالي الاختلاف في العقيدة السياسية، فالإمامة والعدل هما الأصلان السياسيان اللذان يميزان الشيعة عن السنة، وتُبنى عليهما فكرة الدولة، ويرتبط لدى المرجعية التقليدية تطبيقهما بصاحبهما وهو الإمام المهدي المنتظر، صاحب الأمر[١٠].

الشيعة والاحتلال الأمريكي: مغالطات ومفارقات

يجعل الشيعة من سياسات نظام صدام حسين مبررا لأنشطتهم المعارضة التي انتهت بالإطاحة به من فوق الدبابة الأمريكية، وهذه القراءة فيها الكثير من المغالطات

(١) رسول جعفريان، مرجع سابق، ص ١٣٩.
(٢) كمال ديب، مرجع سابق، ص ٩٣.
(٣) عدنان عليان، مرجع سابق، ص ٤٨٤.
(٤) كمال ديب، مرجع سابق، ص ٩٣.
(٥) رسول جعفريان، مرجع سابق ، ص ١٤٠.

(٦) كمال ديب، مرجع سابق ، ص ١٧٥.
(٧) المرجع نفسه، ص ١٧٤.
(٨) عدنان عليان، مرجع سابق، ص ٤٨٤.
(٩) رشيد الخيون، ١٠٠ عام من الإسلام السياسي بالعراق الجزء الأول الشيعة، دبي: مركز المسبار للدراسات والبحوث، ط١، ماي ٢٠١١، ص ١٨٠- ١٨١.
(١٠) المرجع نفسه، ص ٢١١.

والمفارقات التي يجب الوقوف عندها. وبالنسبة للأولى فتتمثل أهمّها في:

المغالطة الأولى: لم يكن الشيعة المتضرر الوحيد من ديكتاتورية صدام حسين، فكل معارض لنظامه - بغضّ النظر عن خلفيته الدينية والإثنية- تضرر من تلك السياسات، حتى شاع عنه أنه كان عادلا في توزيع ظلمه. فهو كما أعدم أفرادا من عائلة المرجع الديني الحكيم، ومحمد باقر الصدر، أعدم علماء من السنة أيضا كجماعة المهندس فائز الزيدي سنة ١٩٩٠، والشيخ محمود سعيدة، والشيخ تلعة كاظم الجنابي، وغيرهم من أتباع التيار السلفي[١]، وأصدر حكما بالإعدام على كل من ينتمي للوهابية سنة ٢٠٠١، هذا فضلا عن آلاف المعتقلين من السنة، كما أنه لم يستحضر الخلفية الدينية للأكراد «السنة» في حروبه معهم، وبذلك فإن الحديث عن مظلومية شيعية مغالطة تنفي المظلومية العراقية بل حتى العربية أو الكويتية على الأقل.

المغالطة الثانية: لم تكن منطلقات الشيعة وطنية تهدف إلى تعميم الحقوق السياسية، وإنما انحصرت في ما يعتبرونه حقوقهم، وقد سبق الإشارة إلى تموضع الشيعة داخل طائفتهم وتحديد الولاء بناء على الانتماء الشيعي، كما كانت مطالب قادة الشيعة من حكومة البعث تركز على القرارات ذات البعد الشيعي الطائفي على غرار إلغاء قانون الأحوال الشخصية، ومنح الشيعة تمثيلا حقيقيا وكاملا في السلطة[٢].

أما بالنسبة للمفارقات فقد تجلّت عقب الاحتلال الأمريكي ويتمثل أهمها فيما يلي:

المفارقة الأولى: يعيب الشيعة على الحكم الملكي، والجمهوري خاصة في نسخته البعثية، إقصاءهم وتهميشهم، وإضعاف البلد، وغيرها من العناوين التي تداولوها في عقود المعارضة، غير أنهم لما أتيحت لهم الفرصة مارسوا كل ذلك حتى قبل استحواذهم على السلطة، فقد انصبّ اهتمام القوى الشيعية على إسقاط نظام صدام حسين وما يحصلونه لطائفتهم دون الاكتراث للوطن وبقية مكوناته، وتعاملوا مع الاحتلال الأمريكي بمنطق المكاسب لصالح الحزب أولا، والشيعة ثانيا، أما العراق فلم يكن واردا في حساباتهم، وقد تجلى ذلك في دعم الغزو الأمريكي، واستحواذهم على السلطة بدايةً بمجلس الحكم، فمِن بين

(١) يحيى الكبيسي، السلفية في العراق: تقلبات الداخل وتجاذبات الخارج، الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، ٢٠١٣/٠٥/٠٦، ص ٦.

(٢) كمال ديب، مرجع سابق، ص ١١٤.

الـ ٢٥ عضوية المكونة للمجلس ذهبت حصة الأسد للشيعة ممثلة في ١٤ عضوية[٣].

وبدل السعي إلى التوافق مع القوى المعارضة قبل إجراء الانتخابات انشغل الشيعة بالطريقة المناسبة لضمان سيطرتهم على السلطة بترك خلافاتهم الداخلية والتوحد في مواجهة القوى الأخرى وذلك بتوجيه من مرجعية السيستاني -بحكم موقعه الديني يعتبر توجيهه أمرا- ففي أول انتخابات في ظل الاحتلال أيضا والتي فاز فيها التحالف العراقي الموحد الذي يدعمه المرجع علي السيستاني بنسبة ٤٨ ٪ من الأصوات، مع أنها واجهت مقاطعة حادة من السنّة العرب ما أفقد نتائجها الشرعية الشعبية، حيث كانت نسبة المشاركة ٢ ٪ من الناخبين في محافظة الأنبار ذات الأغلبية السنية العربية[٤].

وفي الاستفتاء الشعبي على الدستور الجديد الذي جرى يوم ١٥ أكتوبر ٢٠٠٥ والذي وافق عليه ٨٢ ٪ من المشاركين إلا أنه في التفصيل بينما كانت الموافقة طاغية على الشيعة والأكراد، كان الرفض طاغيا في صفوف العرب السنة[٥]. كما أن العنف والترهيب اللذين سادا المناطق السنية جاءا بنتائج مشوهة وغير ممثلة للمجتمع، وقد مهد هذا المسرح إلى استبعاد السنة العرب بصورة مؤسساتية عن السلطة، ولغيابهم عن الجهاز التشريعي فإنه لم يتسنّ لهم المشاركة في صياغة دستور دائم للبلاد[٦].

والخلفيات الطائفية هي المحدد الأساسي لسياسات الحكومات الشيعية المتعاقبة منذ الاحتلال الأمريكي، ومن أسباب الاحتجاجات التي عرفتها البلاد في صيف ٢٠١٦ دأب الحكومات المتعاقبة على اتباع سياسة توظيف مكثفة؛ اعتمدتها كأداة من أدوات السيطرة على المجتمع، ما جعل الدولة المشغّل الأول في البلاد. ولكن انهيار أسعار النفط جعلها عاجزة عن الاستمرار في دفع رواتب ما يزيد على ٦ ملايين موظف، يمثلون ٤٥ ٪ من القوة العاملة في البلاد، ما أدى إلى اندلاع الحركة الاحتجاجية[٧].

المفارقة الثانية: رفع الشيعة شعارات الوطنية لتأكيد

(٣) كمال ديب، مرجع سابق، ص ٥٠٥.

(٤) المرجع نفسه، ص ٥٠٨.

(٥) المرجع نفسه، ص ٥٠٩.

(٦) مجموعة الأزمات الدولية، العراق بعد الحشد العسكري ٢: الحاجة لاستراتيجية سياسية جديدة، مجموعة الأزمات الدولية، تقرير الشرق الأوسط رقم ٧٥، ٢٠٠٨/٠٤/٣٠، ص ١٤.

(٧) وحدة تحليل السياسات، العراق: احتجاجات مطلبية تحولت صراعا داخل بيت السلطة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، أغسطس ٢٠١٦، ص ٢.

انتمائهم العابر للطائفة، غير أن الممارسة العملية تفند كل ذلك، فالتعايش لقرون طويلة في المجتمع العراقي لم يكفِ لقيام تنظيمات دينية خارج الأطر الطائفية - وهو ما شهدته مرحلة ما بعد الاحتلال الأمريكي للعراق حيث وجهت مرجعية السيستاني بتشكيل الائتلاف الشيعي، ولا زالت الاعتبارات الطائفية هي المحرك الأساسي للأحزاب الشيعية، كما سبق الإشارة.

المفارقة الثالثة: تحجج الشيعة بممارسات النظام ضدهم لانتهاج العمل المسلح، والذي كان يصفه نظام صدام بالإرهابي على غرار محاولة أعضاء من حزب الدعوة في أبريل ١٩٨٠ اغتيال طارق عزيز، نائب رئيس مجلس الوزراء، ووزير الإعلام لطيف نصيف في أبريل ١٩٨٢، ومحاولة اغتيال عدي ابن صدام حسين في يناير ١٩٩٦، وغيرها من الأعمال الإرهابية التي قام بها الحزب، وبعد استحواذهم على السلطة مارسوا نفس الأساليب مع القوى المعارضة، والتي ليس آخرها ما قام به نوري المالكي بحق المعتصمين بمحافظة الأنبار في صيف ٢٠١٤، واتهامهم بالإرهاب، وسياسات التهجير التي مارستها قبل ذلك الميليشيات الشيعية، وعلى رأسها فيلق بدر التابع للمجلس الأعلى، وجيش المهدى التابع لمقتدى الصدر.

المفارقة الرابعة: استهجن الكثيرون تلك الازدواجية في الطرح الأمريكي والغربي، التي تقسم المجتمع العراقي إلى سنة وشيعة وأكراد، حيث تقتضي الموضوعية تقسيمه إلى أكراد وعرب، ولكن في المقابل فإن السلوك السياسي للشيعة لم يشذ عن هذا التقسيم، وهذا ما جسده دستور المحاصصة الطائفية، الذي يعتبر الشيعة أنفسهم صانعيه بقرارهم على عكس رغبة المحتل الأمريكي؛ حيث انطلقوا من الإحصائيات التي يعتبرون أنفسهم فيها أغلبية مقابل السنة دون احتساب الأكراد بصفتهم سنة أيضا، ذلك لأنه عند الجمع بين النسبتين يصبح الفرق بسيطا جدا لا يصلح معه الحديث عن أغلبية وأقلية، خاصة في ظل وجود قراءات أخرى تؤكد هشاشة أطروحة الأغلبية الشيعية من الأساس؛ وذلك بالاستناد على معطيات جديدة تتعلق بالانتخابات البرلمانية التي جرت في ٢٠١٢ ونسبة المهجّرين من المحافظات السنية، والتي تؤكد أن العرب السنة لوحدهم يشكلون بين ٣٢ إلى ٣٥ ٪ من المجتمع العراقي دون احتساب الأكراد[١].

المفارقة الخامسة: وضع الحكومة العراقية الحالية شبيه إلى حد كبير بوضع الحكومات الملكية إبان الاحتلال البريطاني للعراق في عشرينيات القرن الماضي ونفوذها فيه الذي استمر إلى غاية الخمسينيات، وبينما يفاخر الشيعة بثوراتهم في تلك المرحلة ويدينون السنة الذين احتكروا السلطة حينها؛ فإنهم يقومون بالسلوكيات نفسها بل أسوأ من ذلك بكثير باعتمادهم على مليشيات مسلحة من فيلق بدر وجيش المهدي إلى الحشد الشعبي (الشيعي).

والأسوأ في الحالة الشيعية الحضور الإيراني، فقد استطاعت الأحزاب العراقية العائدة من إيران إعادة ترتيب أوضاع العراق الجديد بدعم معنوي من المرجعية في النجف وإسناد لوجستي من قبل إيران[٢]. والمفارقة في هذا السياق أنه بينما يدلل على وطنية الشيعة في العراق بقتالهم في صفوف جيش صدام ضد إيران، هذه الأخيرة التي كان يقاتل إلى جانبها المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق والذي تحول بعد الاحتلال الأمريكي إلى أحد أبرز الفاعلين في العملية السياسية، وقام في ٢٠٠٧ بحذف كلمة «ثورة» من اسمه فصار «المجلس الأعلى الإسلامي العراقي»، ونقل ولائه من المرشد الأعلى للثورة الإيرانية في طهران علي خامنئي إلى علي السيستاني في النجف، وإن كان الواقع والمنطق ينفيان فك الحزب ارتباطه السياسي بإيران وأن ما جرى لا يعدو أن يكون إجراء شكليا لتجنب الإحراج[٣].

المفارقة السادسة: بينما كانت السلطة السياسية في المرحلتين الملكية والجمهورية المحسوبة على السنة في غالبها علمانية، واعتبرت سياساتها مع ذلك طائفية، فإنه في حالة السلطة الشيعية لا جدال بأن الأحزاب الحاكمة كلها دينية، سواء حزب الدعوة أو المجلس الأعلى أو التيار الصدري، ومدعومة من مرجعية النجف، ما يقطع بتمثيلها للشيعة جملة وتفصيلا.

---

(١) لتفاصيل أكثر ينظر: سمير الصالحي، حقائق جديدة عن نسبة السنة في العراق (الشمس لا تغطى بالغربال)، مجلة الراصد، العدد ١٥٨، ٢٠١٦/٠٨/٠١، على الرابط:
http://alrased.net/main/articles.aspx?selected_article_no7483

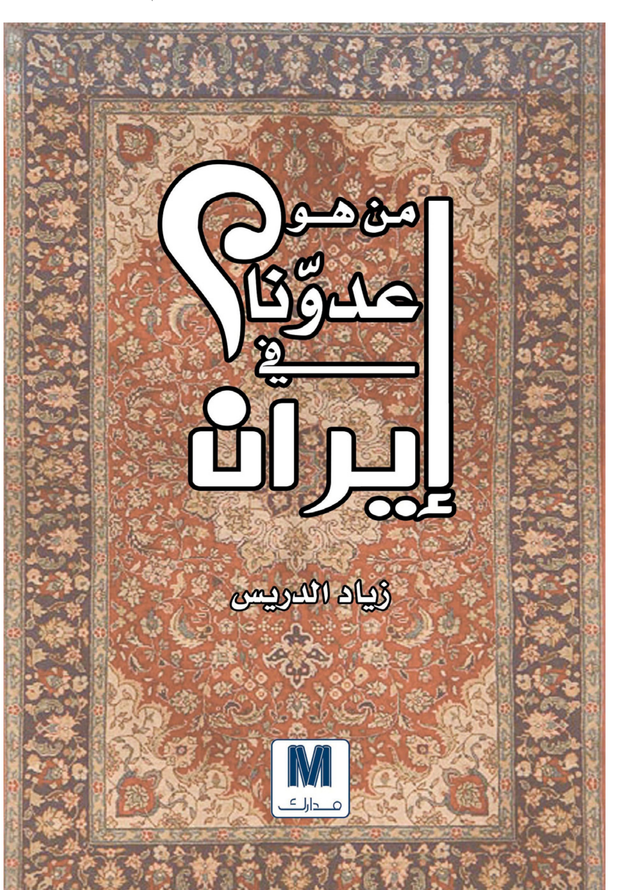
(٢) رسول جعفريان، مرجع سابق، ص ١٦٧.

(٣) مجموعة الأزمات الدولية، سياسات الشيعة في العراق: دور المجلس الأعلى، مجموعة الأزمات الدولية، تقرير الشرق الأوسط رقم ٧٠، بتاريخ ٢٠٠٧/١١/١٥، ص ١.

من هو عدوّنا في إيران؟

عرض أسامة شحادة[*]– خاص بالراصد

«من هو عدونا في إيران؟» هذا عنوان كتاب جديد للدكتور زياد الدريس، المندوب السعودي السابق بمنظمة اليونسكو العالمية، وصدر عن دار مدارك سنة ٢٠١٦، وقد جمع فيه عدةَ مقالات قصيرة له حول إيران، ولخلفيته الثقافية والدبلوماسية حوت هذه الصفحات التي لم تتجاوز فعليا ٧٥ صفحة نظرات ثاقبة وتحليلات ذكية، ولذلك جعل د. الدريس للكتاب عنوانا فرعيا «سؤال ثقافي مسيّس»، حيث دارت مقالاته على ثلاثة محاور هي:



الهويات المتناقضة لإيران، والتوظيف الذكي / الخبيث للإعلام لصالح ثورتها، وحقيقة تلاعبها مع الشيطان الأكبر.

عنوان الكتاب «من هو عدونا في إيران؟» هو سؤال مطروح في أوساط الرافضين للمشروع الإيراني، فهل إيران دولة فارسية أم دولة إسلامية؟ فبينما يقطع العرب غالبا بين مرحلة ما قبل الإسلام وهي مرحلة الجاهلية، فإن النظام الإيراني يعمل على استحضار التاريخ الفارسي المضاد للإسلام! بخلاف دولة مثل مصر كان لها حضارة مخالفة للإسلام لكنها تركتها ولم تحفل بها على طريقة إيران والملالي!

يرى المؤلف أن إيران تلعب بورقة الفارسية وحضارتها وبطشها مع العرب، وتلعب بورقة الإسلام مع الغرب، وأن هذا يحيّر العرب فهم لا يعرفون هل هم يواجهون

(*) كاتب أردني.

مدّ التشيع أم زحف الفارسية؟ ويترك المؤلف السؤال مفتوحا، ويضيف أن شيعة العرب حائرون: هل يقفون مع إيران بوصفها حامية للمذهب الشيعي أم يقفون معها بوصفها «فارس» المهددة للسيادة العربية؟ ولو تساءلنا عن حقيقة المحرك لحزب الله اللبناني والمليشيات الشيعية العراقية والحوثيين ضد مواطنيهم هل هو النزعة الفارسية أم الطائفية الشيعية، فماذا سيكون الجواب؟

من هنا يصف الإسلاميون المشروعَ الإيراني بالمشروع الطائفي الذي يعمل على تصدير الثورة وولاية الفقيه، وأحيانا يلجؤون لوصفه بالمشروع الصفوي لدرء حساسية الأقلية الشيعية العربية بينما يفضّل الليبراليون وصفه بالمشروع الفارسي، وعلمنة الصراع معها، رغم أنهم يستخدمون مصطلحات من مثل عمائم قم وحكم الملالي. ولذلك يرى المؤلف أنه من المرفوض ما يقوم به متطرفو الشيعة العرب الذين يفضلون «الكونفيدرانية» على الكونفيدرالية الخليجية.

من مظاهر تناقض الهويات يرصد الدريس تداخل الطقوس المسيحية في مراسم التشيع، فالثالوث المسيحي (الرب والعذراء والمسيح)، يقابله - شيعيًا- علي وفاطمة والحسين، والدم الرمزي الذي هو النبيذ الذي يشربه المسيحيون يريقه الشيعة في عاشوراء، بل إن طقوس عاشوراء هي تعديل صفوي على مراسم مسيحيي القفقاس وأوربا الشرقية، وأضاف شيعةُ الهند عليها طقس المشي على الجمر تأثرا بالهندوس!

أما في محور الإعلام وتثويره فيشير المؤلف بدايةً إلى انتهازية مؤسسات حقوق الإنسان ووسائل الإعلام الغربية التي تغافلت عن كل جرائم وإرهاب إيران وتثير دوما الشبهات والغبار حول المملكة العربية السعودية لصالح أجندات غربية، وحديثًا نتيجة اختراقات إيرانية.

وحول كيف تم هذا الاختراق الإيراني الإعلامي، يقول د. الدريس إنه تم بتجنيد كوادر إعلامية محترفة إيرانية متعربة أولا ثم تجنيد كوادر إعلامية عربية «متأيرنة» ثانيا.

أما العلاقة مع الشيطان الأكبر فقد انتقلت من العداء إلى حالة من العلاقة المحرمة السرية، بينما العرب غافلون، ويلخّص الدريس خطوات هذا الانتقال باستخدام ورقة الثورة مع فصائل التيار اليساري العالمي، وورقة الجمهورية مع تيار اليمين الغربي، وورقة الدولة المحافظة مع المتدينين والمحافظين في العالم العربي ومناطق آسيا، وورقة الحضارة الفارسية مع الكثير من المثقفين والأكاديميين، وورقة التشيع، حيث وُظّفت هذه الأوراق على يد كوادر وكفاءات إيرانية وغير إيرانية قادرة على التغلغل في مراكز صنع القرار والتأثير على الرأي العام.

واستطاعت إيران عبر الأوراق الخمس السابقة ثلم سكاكين الإعلام الغربي ضدها، ثم استبدلتها بملاعق استثمارية مغرية للغرب بدلا من شركائه العرب المضطربين!

وينبه الدريس إلى أن تعرية سمعة إيران وبيان حقيقتها البشعة مهمة وملحّة ومطلوبة، ولكنها لا تكفي لتحسين سمعتنا، وكأن المؤلف يشير لضرورة تطوير الواقع العربي، سياسيا واقتصاديا، وانتهاج مسلك الإصلاح الحقيقي حتى يحترمنا العالم لذاتنا.

ويختــــم المؤلــــف كتابــــه بإعــــادة تــــدوير الســــؤال المركــــزي: كيــف نــستطيع مقاومــة عــدو لم نحــدد مــن هــو؟ وما هــو؟ ويقــترح للحل انتهــاج مــنهج خفــي ومعلــن، أمــا الخفــي فهــو ســحب البــساط مــن زعامتهــا الدينيــة المزعومــة برفــع رايــة الإســلام الــشامل وليــست الرايــة الــسنية مقابــل الــشيعية، ولا يــشرح الكاتــب مقــصوده بطــرح الإســلام الــشامل، وهــل الطــرح الإســلامي الــذي كــان ســائداً في العقــود الماضيــة مــن جهــات كــالأزهر وجماعــة الإخــوان الــتي كانــت توافــق طــرح إيــران الــديني بالوحــدة الإســـلامية والتقـــارب الـــسني الـــشيعي هـــو المقــصود؟ وهــل كــان هــذا الطــرح ناجحــا؟ أم أن الحــساسية أو ضــغط الثقافــة العلمانيــة الــتي عايــشها في روســيا لأخــذ الــدكتوراه وفي جنيــف للعمــل في اليونــسكو هــي الــتي جعلتــه يلجــأ لمثــل هــذا الطــرح الفــضفاض الــذي لا تتبــدى معالمــه، بخــلاف توصــيفه الواضــح والــدقيق والمفــصل لآليات إيران في العمل والاختراق!

أمــا الحــل المعلــن عنــده فهــو مجابهــة إيــران علانيــةً وبوضــوح، مــن دون اســتدعاء الــصراع التــاريخي العربــي / الفارســي، أو الــسني / الــشيعي، بــل الــصراع المباشــر مــع إيــران، الدولــة الــتي لم تتوقــف طــوال أربعــين ســنة عــن اســتغلال كــل الــشعارات والوســائل للتغلغــل والاخــتراق في الــدول المجــاورة، ولعــل هــذا التوصــيف هــو مــا يمارســه الآن، وبــشكل ذكــي ومحــترف، وزيــر الخارجية السعودي عادل الجبير.

ختامــا؛ أعتقــد أن هــذا الكتــاب خطــوة صــحيحة نحــو تعامــل ذكــي وبنّــاء مــع إيــران، وخروجــا مــن دائــرة الانخــداع بــشعارات إيــران أو دائــرة شــتم وســبّ إيــران، دون خطــة عمليــة واقعيــة سياســيا وإعلاميــا، وتوجــد في الكتــاب تفاصــيل وهــوامش نختلــف معهــا أو نرفــضها، لكــن الفكــرة العامــة ســليمة وصــحيحة وتحتــاج إلى تطــوير وبنــاء، وهــذه هــي مهمــة البــاحثين الجــادّين، فقــد اســتنزفتنا كــثيرا الجهــود المكــررة والمجــزوءة لمقاومــة إيــران والتــشيع، والباب مفتوح، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.







هوية المجدّدين الحقيقية

قـالوا: فمِن غير المقبول عقلا ونقلا أن يرفع رايةَ التجديد في الفكر الإسلامي من لا يلتزم أحكام الدين من صلاة وصيام وزكاة، ويحرّم ما أحل الله ورسوله، ويحلّ ما حرمه الله ورسوله، ولا يقدّس المقدس، ولا يقدر السلف الصالح من العلماء، وإن كانوا ليسوا معصومين، بل يؤخذ منهم ويردّ عليهم، وهذا ما نقوله مرارا وتكرارا، لكن التطاول عليهم جريمة غير مقبولة عند أهل العلم.

وكيل الأزهر

عباس شومان – ٢٠١٧/٣/١٥

حقيقة خطاب الجولاني

قـالوا: إنهم يخاطبون المجتمع الدولي بلغة لبيب النحاس، ويخاطبون الفصائل بلغة العدناني!

متعب اليامي،

تغريدة على تويتر

باختصار

قـالوا: القصة وما فيها أن النظام عرَض على مجاهدي الغوطة والقابون إخراجهم بالباصات الخضر فالشباب راحوا على الكراجات مشي!

مروان القاضي،

تغريدة على تويتر

خلل الخطاب النسوي

قـالوا: نسونة مواقف عائشة كنسبة أبي ذر للاشتراكية، وعائشة التي يؤخذ اعتراضها على قطع المرأة للصلاة، لا يؤخذ نهيها عن مدافعة الرجال في الطواف! انتقائية.

ملاك الجهني،

تغريدة على تويتر

مفارقة عجيبة!

قـالوا: لو تأخر ردّ النظام السوري على أهل سوريا كما تأخر عن الرد على غارات إسرائيل لكان الشعب السوري بألف خير اليوم ويسابق تل أبيب بالتطور.

جيري ماهر،

تغريدة على تويتر

فزاعة داعش

قـالوا: النظام الإيراني يعمل على الترويج لمصطلح «الإسلام الداعشي» في الغرب وربطه بالدول العربيّة.

د. سلطان النعيمي،

حساب فرسان الإمارات،

تغريدة على تويتر

إرهاب مدلل

قـالوا: المقرّرة الخاصة لحقوق الإنسان للأمم المتحدة يانغهي لي قالت إنها تتلقى تهديدات بالقتل.

والتي تعد تقارير للأمم المتحدة عن ذبح المسلمين، وإطلاق النيران على المدنيين من قبل العسكريين دون تمييز، وإضرام النيران في المنازل بعد ربط الناس فيها، وإلقاء الأطفال الصغار في النيران، والاغتصابات والعنف الجنسي، إلى الرأي

العـام، وقالـت إن حكومـة ميانمـار خصـصت لهـا حارسا خاصا.

تجـدر الإشـارة إلى أن المقـررة اعتـبرت مـا تعـرض لها مـسلمو أركـان مـن قبـل الجـيش والـشرطة «جريمـة ضـد الإنـسانية»، ودعـت إلى تـشكيل تحقيـق دولـي سريع ومفصل وحيادي.

وكالة الأناضول،
٢٠١٧/٣/١٥

الحقيقة

قـالوا: أكـبر الـرابحين مـن دعـوات الحـوار هـي إيـران، إن تم فستـستغله للاسـتمرار في سياسـتها التوسـعية، وإن لم يـتم فيكفيهـا تـسويق نفـسها بأنهـا دولة مسالمة ووديعة.

سلمان الدوسري،
تغريدة على تويتر

طائفية حتى في الإغاثة!

قـالوا: الحكومـة العراقيّـة قايـضت مـساعدة النـازحين بـدعم مقابـل لميـشيا الحـشد الـشعبي الشيعي.

د. يحيى الكبيسي،
حساب مركز أخبار العراق،
تغريدة على تويتر

موازين مائلة

قـالوا: الأمـم المتحـدة الـتي طالبـت بوقـف معركـة دمـشق خوفـا علـى المـدنيين لم تطالـب بـذلك طيلـة الـسنوات الماضـية الـتي لم يتوقـف فيهـا الطـيران عـن إلقاء البراميل.

بسام جعارة،
تغريدة على تويتر

ستارة دخان!

قـالوا: كلمـا نـشط الثـوار في العاصـمة وحولهـا تحركـت إسـرائيل فقـصفت أهـدافا للنظـام لتكـسب نظـام ممانعـة الـزور شـرعية ولتحُـول دون وقـوع أي سلاح نوعي بيد الثوار.

د. حذيفة عبد الله عزام،
تغريدة على تويتر

للأسف هم يقودون بعض الجماعات أيضا

قـالوا: طبيعـي أن يتواجـد غوغـاء بـين جماعـات إسـلامية لكـن المـصيبة لّمـا يقـود هـذه الجماعـات غوغـائيون يمتلكـون القـوة، وبهـا يفرضـون غوغائيتهم على أنها هي الإسلام.

أنور مالك،
تغريدة على تويتر

يافا تموت

قـالوا: قبـل النكبـة، كـان عـدد سـكّان يافـا العـرب يقـارب مائـة وعـشرين ألـف نـسمة، ويـشمل ذلـك سـكّان القـرى الخمـس والعـشرين المحيطـة بالمدينـة الرئيـسيّة. أمّـا بعـدها، فلـم يتبـقَّ إلا نحـو أربعـة آلاف تركّـزوا في حـيّ العجمـي المـشهور. واليـوم، هـم نحـو عـشرين ألفـاً يتوزّعـون في أحيائهـا، وأبرزهـا العجمـي والجبليّة والنزهة.

رامي صايغ –
العربي الجديد ٢٠١٧/٣/١٠

خبث أصيل!

قـالوا: إيـران تفـرض عقوبـات علـى ١٥ شـركة أمريكيـة، طبعـا الخـبر مـضحك جـداً، لكـن تخيّلـوا أنّ واحـدة مـن الـشركات المدرجـة علـى اللائحـة كانـت قـد أغلقـت في منتـصف الـسبعينيات مـن القـرن الماضي بعد أن اعلنت إفلاسها!!

علي باكير،
صفحته الفيس بوك

وزارة الشؤون الدينية أصبحت ملحقة بوزارة التربية

نسرين مومن - موقع الحوار ٢٠١٧/٣/١٥

أكـدت الـدكتورة الأخـصائية في علـم الـنفس المدرسـي واللغـوي مليكـة قريفـو بوداليـة في حـديث جمعها بـ «الحوار» أن الكتاتيب لا يمكن أن تؤدي في يوم مـن الأيـام دور المـدارس التحـضيرية، معتبـرة تـدخل وزيـرة التربية الوطنية نورية بن غبريط فيها حاليا جرأة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الكتاتيب الذي يعود إلى ١٤٠٠ سنة، محملة إياها ونظيرها وزير الشؤون الدينية محمد عيسى مسؤولية ما قد ينجر عن هذا القرار الخطير على الأطفال وعلى الموروث الثقافي والديني للجزائر، ورفعت النقاب في معرض حديثها عن «مخطط» قديم يستهدف اللغة العربية انطلقت بوادره بالمدرسة العمومية وسينتهي بالكتاتيب.

- أثار موضوع تأميم المدارس القرآنية من قبل وزارة التربية الوطنية الكثير من الجدل مؤخرا، وهذا بعد حديث الوزيرة عن دفتر شروط خاص ودليل للأساتذة هم بصدد تحضيره.. ما تعليقكم على ذلك؟

جذور هذه الفكرة بعيدة وليست وليدة اليوم، وإنما وصلت اليوم للخاتمة، حيث أن فكرة تحويل الكتّاب انطلقت في حدود ١٩٨٠، ويظهر ذلك جليا عندما نرى أن الوزراء المتعاقبين على حقيبة الشؤون الدينية كانوا مفتشين بقطاع التربية، وأدخلوا معهم نمط التربية إلى القطاع والذي انعكس على واقع الكتاتيب، فمنذ ١٤٠٠ سنة ولا مرة جاء أي مسؤول وتحدث عن تحويل الكتّاب، ما عدا نورية بن غبريط وزيرة التربية التي تجرأت على ذلك.

وجرأة وزيرة التربية الحالية ليست جديدة لأنها نابعة من مخطط عمره ٣٠ سنة، والذي يهدف إلى تحويل اللغة العربية البسيطة إلى الكتاتيب بعد أن فشلوا في تحطيم الشعب الجزائري وضربه في لغته العربية من خلال إقرار لغة بسيطة جدا بالمؤسسات التربوية، وكان من يستهدف التعليم في الجزائر يظن أن ٥٠ سنة تكون كافية لذلك، إلا أنهم وجدوا نخبة تتقن العربية، وعندما حققوا في الموضوع تفطنوا إلى الدور الذي تلعبه الكتاتيب في الحفاظ على اللسان العربي، فوجّهوا أهدافهم هذه المرّة صوبه من أجل إدخال لغة عربية بسيطة عبر مشروع التربية الوطنية، علما أن من يحفظ القرآن الكريم له رصيد قوي ومفردات ثرية ويعتمد على التفكير المركب.

- تحصلت «الحوار» على نسخة من مراسلة رسمية من الوزير محمد عيسى لإحصاء المدارس أو الأقسام المرخصة لمباشرة التعليم التحضيري، بمعنى أن القرار نابع من وزيرة الشؤون الدينية.. فما تعليقك على ذلك؟

هناك اتفاق بين وزارة التربية الوطنية ووزارة الشؤون الدينية، فلطالما كانت هذه الأخيرة ملحقة لوزارة التربية، وكما أشرت سابقا كل الوزراء المتعاقبين على وزارة الشؤون الدينية كانوا مفتشين بقطاع التربية، ما عدا اثنين أو ثلاثة، وهؤلاء الثلاثة لم يعمروا كثيرا بحكم الاختلاف في التوجهات مع الأهداف المرجوة من المخطط القديم، وبالتالي فالوزارتان وجهان لعملة واحدة ويتحملان نفس المسؤولية.

ولكن يمكنني القول إن الوزير الحالي محمد عيسى بريء مما يحدث، لا لشيء إلا لكونه عندما جاء وجد المخطط قائما ووضع في الأمر الواقع الذي يرتبط ببرامج كثيرة وكبيرة لمن كان قبله من الوزراء.

- وزير الشؤون الدينية أكد في تصريح اليوم (أمس) أنه يرفض أي إصلاح للمدرسة القرآنية لا ينبع من أسرة التعليم القرآني ذاتها، فهل هذا ما نشهده في أرض الواقع وعلى الميدان؟

الوزير محمد عيسى هنا في تناقض تام إذا ما رأينا كل تصريحاته وتوجهاته الحالية، واستذكري في هذا السؤال عندما استدعيت مرة إلى أحد الزوايا ولم يتركني مفتش التعليم أتحدث بالمرة، وهذا ما يدل على حجم التطويق الذي كانت تمارسه وزارة التربية الوطنية بمعية وزارة الشؤون الدينية.

وهناك تجاوز في الصلاحيات اليوم من وزارة التربية

وحتى من وزارة الشؤون الدينية، إذن لا يمكن أن تعتبر الكتاتيب مدرسة قرآنية لأن القرآن لا يدرس وإنما يحفظ.

– هل تستطيع أن تكون المدارس القرآنية «تحضيرية» من حيث المحتوى طبعا؟

إذا قلنا مدارس قرآنية فقد اقتنعنا بمخطط وزارة التربية، وتسمية «المدارس القرآنية» ظهرت في ١٨٠٠ عندما لم تكن مدارس عمومية بالجزائر، أما في أوروبا فقد أنشئت مثلها أقطاب لاستمرار الثقافة بعيدا عن الكراريس والسيالات والسبورات.

و«الكتّاب» هي التسمية الصحيحة وليس «المدارس القرآنية» مثلما تريد لها وزارة التربية أن تكون، وإذا أدخلت التربية التحضيرية إليها فستفقد قيمتها ودورها المنوط بها، وبالتالي «لا يمكن أن تلعب الكتاتيب دور المدارس التحضيرية لأنها ستكرس القطيعة».

– تحدثتم في وقت سابق عن «مخطط» يستهدف المدارس القرآنية من أجل تطبيق خطة تخل بذكاء الأطفال، ما هي الغاية من ذلك؟

إذا تكلمنا عن الذكاء، فإن إدخال العربية البسيطة إلى الكتّاب سينعكس على الأطفال في عدد المفردات التي يستطيع استيعابها وتعلمها للتعبير عن ذكائه واستعمال التفكير المركب، لأن القرآن ليس لغة بسيطة، والطفل في الكتاب يتعلم اللغة المركبة ولغة البرهنة.

وكان الطفل قديما يبقى زمنا قصيرا لا يتجاوز ٣٠ دقيقة لحفظ القرآن، وهو ما يسمح له بعيش طفولته بالموازاة مع التعلم، ويتمكن من فهم الواقع من خلال التجربة، ويفهم الزمان والفضاء بنفسه، وليس بالتمارين مثلما نجده في مدرسة بن غبريط حاليا.

– كيف ترون دور المدرسة القرآنية في الحفاظ على الهوية الوطنية والمرجعية الدينية بالجزائر؟

الكتاتيب يجب أن تبقى كالسابق، ثم من قرر تغيير الكتاب اليوم؟، وأؤكد لكم أن هذا القرار غير جزائري، وهو مفروض علينا من الخارج، وهناك من يطبقه ممن ليسوا في مستوى المسؤولية، وعليهم رفع أيديهم عن الكتّاب، وليس عليهم احتكار الماضي الذي يمثله الكتاتيب، لكنه ليس من مركبات الحاضر وهو يخص أجدادنا.

والمسؤلون اليوم لا يحبون النقاش العلمي، وعليهم صون الإرث الذي تركه أجدادنا، لأنهم ليسوا في مستوى فهم الحضارة العظيمة التي مر بها أجدادنا.

إيران و"القاعدة"...
الشراكة الفاسدة

حمد الكعبي – صحيفة الاتحاد ٢٠١٧/٣/١٥

ظل النظام الإيراني طيلة العقود الماضية يؤوي بعض قادة الإرهاب ورموز التطرف العالمي في أراضيه وعلى معسكراته لادخارهم واستخدامهم، وفقاً لمصلحة مليشياته وتحركاتهم وخططهم السوداء تجاه المنطقة ودول العالم جمعاء،

غير مبالين ولا مراعين لعهود ولا مواثيق، تجمع بينهم لغة سفك الدماء وانتهاك الحرمات وضرب استقرار وأمن الدول، سعياً لتحقيق الحلم المنشود والأمل المفقود في إعادة أمجاد الإمبراطورية الفارسية، التي حدّث عنها من لا ينطق عن الهوى، ﷺ، فقال: «إذا سقط كسرى فلا كسرى بعده»، إلا أن العنصرية والحقد الدفين والسباحة في سراب الوهم تدفعهم لزعزعة الأمن والسلم الدوليين. فمنذ فرار مسؤولي «القاعدة» وأعوانهم من أفغانستان بعد الهجوم الأميركي عليها هناك أصبحت إيران هي الحاضنة الآمنة لهم، والملاذ الذي ضمن لهم الاستمرار والانتشار، ووجدوا نبعاً دافقاً للتمويلات والسيولة التي تستخدم كرواتب للمرتزقة والإرهابيين، وثمناً لتنفيذ عمليات المجرمين.

وقد مرت «القاعدة» بعدة مراحل في علاقتها مع إيران من ضمنها مرحلة ما قبل ١١ سبتمبر، التي بدأت منذ ١٩٩٢، وكان المُنسّق حينها عماد مغنية وابن لادن، وذلك في بدايات تكوين هويّة وخريطة تنظيم «القاعدة» وعلاقاته مع التنظيمات الأخرى، واتسمت هذه المرحلة بعلاقة تبادل مصالح تكفل لتنظيم «القاعدة» استخدام الأراضي الإيرانية والأراضي التابعة للجماعات التي تنضوي تحت الإشراف الإيراني لتمرير الدعم المادي وعبور الأفراد. وبعد ذلك كانت مرحلة ما بعد أحداث سبتمبر التي ركزت على عملية الاحتواء والحماية والتوظيف من قبل إيران لتنظيم «القاعدة» ورموزه، فقد تعدّت مسألة العبور إلى الحماية وتوفير معسكرات وانطلاق بعض العمليات التي تستهدف دولاً من الأراضي الإيرانية بتنفيذ «قاعدي»، بالإضافة إلى إدماج أعضاء «القاعدة» في معسكرات تدريب، مثل معسكر «ساحل الروح» وهو الأشهر في نظامه العسكري.

والذي يتولى تدريب قيادات ميدانية لـ«حزب اللات».

كما شكل مقتل ابن لادن أيضاً مرحلة جديدة في العلاقات الإيرانية بـ«القاعدة» ورموزها، حيث تم تسريب قيادات من «القاعدة» إلى الدول المجاورة وغيرها، حاملين أجندة في بعض تفاصيلها مصالح لإيران، وذلك وفقاً لطبيعة الأعمال

التي نفذوها في تلك الأراضي. كما تستخدم إيران كذلك رموز «القاعدة» كورقة في بازار المقايضات والمساومات، وأحياناً للابتزاز والاستفزاز. وقد أثبتت وثائق منسوبة لزعيم «القاعدة» وجود تعاون لوجستي بين التنظيم وإيران. ووفقاً للوثائق التي أفرجت عنها أميركا بعد العثور عليها في منزل ابن لادن في مدينة «أبوت آباد» خلال عملية اغتياله، فإن تنظيم «القاعدة» قام بحماية المراقد الشيعية في العراق وسوريا مقابل منح طهران إياه ممراً آمناً لمراسلاته وأمواله، وملجأ يؤوي قادة التنظيم وعائلاتهم. وهكذا بعد نحو خمسة أعوام من مقتل زعيم «القاعدة» كشفت تلك الوثائق جانباً من علاقة التنظيم وإيران.

كما كشفت أيضاً أن النظام الإيراني يمتلك أوراق ضغط يمارسها على تنظيم «القاعدة» في سبيل تسخيره لخدمة أهدافه السياسية، كاستغلال نشاطه لإزعاج الأميركيين في العراق، كما تظهر هذه الوثائق، في المقابل، امتلاك التنظيم أيضاً أوراق ضغط فاوض بها الإيرانيين. ووفقاً للإدارة الأميركية، فإن هذه الوثائق عثر عليها في مايو ٢٠١١، أي في خضم جولات مفاوضات الملف النووي بين إيران والغرب. وإلى جانب تأكيدها نوعاً من ارتباط المصالح بين إيران و«القاعدة» فقد أثارت الوثائق تساؤلات عن حقيقة وجود تقاطع مصالح آخر بين إيران و«داعش»، وخصوصاً في العراق وسوريا، إذ تبرز أحاديث ميادين القتال في سوريا إحجاماً لحلفاء إيران عن مقاتلة التنظيم مقابل خوضهم قتالاً شرساً ضد فصائل المعارضة الأخرى.

إن علاقة إيران بتنظيم «القاعدة» هي علاقة أشبه أن تكون بـ«زواج متعة» أو «زواج مصلحة»، فالنظام الإيراني فتح أبوابه لقيادات التنظيم، على رغم الهوة العقائدية والفكرية الشاسعة بين الطرفين، وقدر عدد من تؤويهم إيران من قيادات التنظيم بنحو ٥٠٠ شخص، وعلى رغم جميع الأدلة والبراهين والاعترافات بالعلاقة الحميمة التي تجمع بين طهران و«القاعدة»، فإن النظام الإيراني وميليشياته لم يعترفوا بذلك، وظلوا يسعون للتمويه عليها، ومحاولة إلصاق التهم المنسوبة إليهم وجرائم «القاعدة» بأطراف أخرى كالمملكة العربية السعودية، تلك «الكذبة» والادعاءات التي تروج لها طهران للنيل من سمعة جيرانها وتشويه الصورة الحضارية والإنسانية التي تتمتع بها السعودية، فشتان بين من ينشر الخير في أرجاء العالم ومن يضطهد شعبه ويؤذي جاره ويؤوي الإرهابيين. وفي النهاية، وكما قال عز وجل «ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله»..فالحفر التي يحفرها النظام الإيراني، والعثرات التي يراكمها على طرق وسبل السلام في المنطقة، سيكون الوقوع فيها مآل الماكرين والمتآمرين، وستكون سبيلهم إلى الهاوية، بإذن الله.

رؤية نقدية حول مسودة الاستنتاجات لجنة مركز المرأة في الأمم المتحدة "التمكين الاقتصادي للمرأة في عالم الأعمال المتغير"

إعداد اللجنة الإسلامية الدولية للمرأة والطفل

يعقد حاليا في الأمم المتحدة الاجتماع الحادي والستين للجنة مركز المرأة، لمتابعة تطبيق وثيقة بكين (١٩٩٥)، بشكل أساس، وغيرها من الاتفاقيات والوثائق السابقة واللاحقة، مثل اتفاقية سيداو (القضاء على كافة اشكال التمييز ضد المرأة) (١٩٧٩م)، وأجندة ٢٠٣٠ للتنمية المستدامة (٢٠١٥)، وغيرها.

وتمثل الورقة التي نعرضها هنا رؤية نقدية للمسودة الصفرية؛ مسودة «الاستنتاجات المتفق عليها» المطروحة للنقاش في هذا الاجتماع، علمًا بأن الوفود الحكومية الإسلامية الممثلة في الاجتماع، تواجه ضغوطاً تمارسها الأمم المتحدة عليها لتمرير الوثيقة بالتوافق.

الاجتماع ينعقد في مبنى الأمم المتحدة في نيويورك بعنوان «التمكين الاقتصادي للمرأة في عالم الأعمال المتغير» Women's Economic Empowerment in the Changing World of Work ما بين ١٣ — ٢٤ مارس ٢٠١٧.

نص الورقة:

أولى الإسلام عناية خاصة بحقوق المرأة، في إطار التكامل والتوازن، وتوزيع الأدوار، لتحقيق الخير والسعادة والانسجام داخل الأسرة التي هي النواة للمجتمع السعيد. ومنح الحقوق الطبيعية للمرأة هو إضافة حقيقية للمجتمع الذي يتكون من عنصرين أساسيين هما (الذكر والأنثى). ومن ثم يؤكد على التكامل والتمايز بين الرجل والمرأة في المهام داخل الأسرة والمجتمع، والذي من شأنه تحقيق النهوض والتقدم للأمة بكافة شرائحها.

وقد ضمن الإسلام للمرأة حقوقاً طبيعية، داخل الأسرة والمجتمع، مثل حق الزوجة - ولو كانت ذات مال- في الإنفاق عليها بما يكفيها للطعام والشراب والمسكن والملبس والعلاج من الأمراض بقدر استطاعته يُسْرًا وعُسْرًا في غير إسراف ولا تقتير، على النحو الوارد تفصيلاً في الأحكام الشرعية[1]. حيث يعد الإنفاق واجبا على الزوج

(١) ميثاق الأسرة في الإسلام، المادة (٧٠) «حق النفقة»، المذكرة التفسيرية، ص ٢١٥.

ضمن مسؤوليات القوامة التي فرضها الله تعالى عليه في قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤]. وفي الحديث الشريف «..وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ»[حديث صحيح، رواه أحمد ومسلم وأبو داود وابن ماجة].

وهذه الحقوق مكفولة للمرأة في جميع أطوارها، فهي مكفولة من أبيها وأخيها إن كانت دون زوج، ومن زوجها إن تزوجت، وإن عُدموا جميعا فعلى العصبة من أهلها، وعلى الدولة كفالتها بما يسد حاجتها. فحقها فيما يسمى الآن «ضمانا إجتماعيا» هو واجب على الدولة دون النظر لوضعها في سوق العمل.

كما أن عمل المرأة خارج بيتها في نظر الإسلام أمر مباح أصلاً، وهو ليس غاية في ذاته، ولكنه وسيلة لتحقيق مصلحة ما تحتاجها الأسرة أو يحتاجها المجتمع، بما يتناسب مع طبيعتها وفطرتها. وليس من الفطرة المطالبة بالتساوي المطلق في فرص العمل بين الرجل والمرأة؛ نظرا للاختلاف الخِلْقي والنفسي فيما بينهما. بل إن ذلك التساوي المطلق غير المحدد هو ظلمٌ لأحدهما أو كليهما.

وإذ تطرح لجنة مركز المرأة في جلستها الواحد والستين (١٣ مارس ٢٠١٧) للنقاش مسودة الاستنتاجات المتفق عليها بعنوان: **«التمكين الاقتصادي للمرأة في عالم الأعمال المتغير Women's Economic Empowerment in the Changing World of Work»**، فإنه برغم اشتمال المسودة على بعض الأمور الإيجابية مثل، المساواة في الأجر لنفس العمل، وتأمين شروط العمل العادلة لعاملات المنازل، وتأمين الضمان الاجتماعي والحد الأدنى للأجور لعاملات المنازل وغيرهن من العاملات بشكل غير رسمي وصاحبات المشاريع الإنتاجية الصغيرة والمتوسطة، وتأمين حق المرأة العاملة في إجازة الأمومة، وتأمين مرافق للعناية بالأطفال، وتأمين الظروف الملائمة للعمل للأشخاص ذوي المسؤوليات العائلية، وصاحبات الاحتياجات الخاصة، واللاجئات، ومنع الإساءة للمرأة في بيئة العمل.

إلا أن الخطورة تكمن في إصرار هذه المسودة – كسابقاتها- وبدعوى الحفاظ على حقوق المرأة، على تقديم تلك الحقوق ضمن منظومة متفردة من المفاهيم لا تراعي الاختلافات الثقافية والأيدولوجية لمختلف البلدان والمناطق، وهو ما يؤدي إلى استحالة تطبيقها بسبب رفض الكثير من الشعوب والحكومات لها.

وفي هذا المجال نورد أهم الملاحظات على الوثيقة والتي تتكرر في أغلب الوثائق الصادرة عن هيئات الأمم المتحدة المختلفة:

❖ **المطالبة بالتطبيق الكامل للاتفاقيات والمواثيق السابقة مع التأكيد على رفع التحفظات**[١]، خاصة اتفاقية القضاء على جميع أشكال التمييز ضد المرأة والبروتوكول الملحق بها، ومنهاج عمل بيجين، ومخرجات الجلسات السابقة للجنة مركز المرأة، وجدول أعمال التنمية المستدامة بحلول العام ٢٠٣٠، وإعلان نيويورك لشؤون المهاجرين واللاجئين، والإصرار على اعتبارها إطاراً قانونياً دولياً[٢]، برغم تضمنها جميعا لكثير من البنود التي تخالف تشريعات الدول ومعتقدات وثقافات شعوبها، والعديد من التحفظات التي سجلتها الحكومات عند التوقيع عليها. وهو ما يشكل استهانة بإرادة الشعوب ورفضاً للتنوع الثقافي الطبيعي وسعياً لإرساء ثقافة بعينها عوضاً عن السعي لتأمين الحقوق في مختلف المجتمعات.

❖ **تمحور الوثيقة حول منظومة «الجندر (النوع) Gender»**: حيث تكرر ذكر المصطلح في الوثيقة (المكونة من ٦ صفحات) ١٦ مرة! رغم أن العنوان الأساس للوثيقة هو «التمكين الاقتصادي للمرأة Women's empowerment»، وهذا المصطلح يتضمن الاعتراف بالشذوذ الجنسي، ومساواة الشواذ جنسيا بالأسوياء. ويتعدى ما يُشاع بأنه محاولة لتحديد الأدوار والمسؤوليات والمعوقات لكل من المرأة والرجل.

وهذا الأمر واضح في مختلف وثائق الأمم المتحدة، حيث يعرِّف «دليل تنسيق تداخلات العنف القائم على النوع الاجتماعي في الأوضاع الإنسانية» الصادر عن «اللجنة الدائمة المشتركة بين الوكالات Inter-Agency Standing Committee (IASC)» التابعة للأمم المتحدة؛ مصطلح «الهوية الجندرية Gender Identity» بأنه: «يشير إلى تجربة الشعور الداخلي العميق والفردي لكل شخص حول النوع، والتي قد تتوافق أو لا تتوافق مع الجنس الذي نسب إليه عند الولادة. وهي تتضمن إحساس الشخص بالجسد (الذي قد يتضمن، إذا أُختير بحرية، تعديل المظهر الجسدي أو الوظيفي بوسائل طبية أو جراحية أو وسائل أخرى) وغيرها من التعبيرات عن النوع، بما في ذلك اللباس والكلام والسلوك»[٣].

وبالتالي فإن نوع الإنسان – وفقا لذلك التعريف- أمر متغير ومتوقف على شعوره واختياره! وفي حين يشمل «الجنس» الذكر والأنثى، فإن «الجندر» يشمل كل الأنواع (الرجل، والمرأة، والشواذ بأنواعهم). وبالتالي فإن مساواة

---

(١) مسودة الاستنتاجات المتفق عليها، البند (١٣- a).

(٢) البنود (١- ٢- ٣- ٤- ٥- ٦- ١١- والفقرات «١٣- a» و«١٣- t»)

(٣) Guidelines for Integrating Gender-Based Violence Interventions in Humanitarian Action ANNEX2, PAGE 319 ((موقع IASC: https://interagencystandingcommittee.org/ &

الجندر (النوع)، تشمل مساواة كل الانواع!

❖ الإصرار على إقحام مصطلح «الحقوق الجنسية والإنجابية» sexual and reproductive rights في المسودة رغم اختلاف السياق[1]:

من المعلوم أن «الحقوق الجنسية والإنجابية» تتضمن إباحة الإجهاض وإعطاء المراهقات الحق في ممارسة النشاط الجنسي خارج إطار الزواج سواء كانت ممارسة طبيعية أو شاذة، وتأمين المعلومات الكافية لهن وأيضا وسائل منع الحمل[2]. في حين يتم التشديد على منع الزواج الشرعي قبل عمر ١٨ سنة، ومساواته بالزواج القسري[3] الذي يتم فيه إجبار المرأة على الزواج بغير إرادتها وهو أمر مرفوض شرعا وبه يبطل الزواج.

كما أن التحديد الأممي لسن الطفولة حتى الـ ١٨ عاماً مخالفاً للشريعة الإسلامية، فالطفولة تنتهي بالبلوغ. واللافت للانتباه، تجريم الزواج تحت سن الـ ١٨، وفي نفس الوقت إباحة الزنا في نفس تلك السن! ولم يقف تجريم الزواج حتى سن الـ ١٨، بل تجري محاولة تعدي تلك السن عن طريق النص على منع: «الزواج المبكر و زواج الأطفال»، أي أن المطلوب هو رفع سن المنع ليتجاوز الـ ١٨! فأي مصلحة تتحقق للمجتمع بتجريم الحلال، و تحليل الحرام؟

❖ الترحيب بتقرير يطالب بالاعتراف بالدعارة كعمل رسمي وتقنينها وحمايتها والاعتراف بالداعرات الشاذات والمتحولات جنسيا:

ترحب المسودة بتقرير الأمين العام حول «التمكين الاقتصادي للمرأة في عالم الأعمال المتغير- الجلسة ٦١ للجنة مركز المرأة»، والذي استند إلى تقرير لجنة الخبراء حول «التمكين الاقتصادي للمرأة في عالم الأعمال المتغير»[4]، والذي تضمن فقرتين متعلقتين بالداعرات، حيث أطلق عليهن تعبير ((عاملات الجنس sex workers)) و ((العاملات المتحولات جنسياً transgender workers)) حيث تمت المطالبة بالاعتراف بالدعارة كعمل رسمي وتقنينها وتأمين الحماية الاجتماعية والصحية للعاملات فيها والسماح بإنشاء روابط ونقابات خاصة بها كمهنة! والمطالبة بالاعتراف بهوية الشاذات جنسيا، والمتحولات من جنس إلى جنس آخر، بشكل رسمي وتأمين الحماية الاجتماعية لهن وتمثيلهن ضمن روابط العمل![5].

ونظرا لفجاجة ذلك المطلب ووقاحته الشديدة، لم ترد المطالبة به بشكل مباشر في المسودة، وإنما من خلال تأكيد تقرير الأمين العام بكون تقرير لجنة الخبراء المشار إليه أساس في إعداد المسودة، وتلك هي الطريقة التي طالما اتبعتها الأمم المتحدة في تمرير القضايا الشائكة التي يُتوقع لها الرفض من قبل الدول المحافظة.

لذا ندعو لجنة مركز المرأة بالأمم المتحدة، إلى أن تبرهن على حياديتها واحترامها للتعددية الثقافية لشعوب العالم، ولسيادات الحكومات، وذلك بتنقية الوثيقة من المصطلحات والمفاهيم الشائكة والمختلف عليها، التي تم ذكرها آنفا، والسعي لتأمين الحقوق المشروعة في مختلف المجتمعات والمناطق بما يحفظ خصوصيات الشعوب ومعتقداتهم وكراماتهم.

مَن وراء تنامي ظاهرة الإلحاد بمصر "بلد الأزهر"؟

بوابة الخليج العربي ٢٠١٧/٣/١٥

بين من يعتبرها ظاهرة بدأت تتفشى في المجتمع المصري، وبين آخرين قلّلوا من انتشارها، باعتبار أنها لا ترقى إلى حد الظاهرة، وإنما تنحصر في كونها «آفة» يعاني منها الشباب، أظهرت إحصائية لمحكمة الأسرة المصرية، نشرت الأسبوع الحالي، أن عدد دعاوى الطلاق التي تلقتها خلال عام ٢٠١٥، بسبب إلحاد الزوج أو تغيير عقيدته، بلغت أكثر من ٦٥٠٠ قضية.

وفي السياق ذاته، أكد محامون متخصصون في قضايا الأحوال الشخصية أن قضايا الطلاق أو الخلع بسبب إلحاد الزوج شهدت ارتفاعا بنسبة ٣٠ ٪ بنهاية عام ٢٠١٦.

تشويه الإسلاميين

وكانت دراسة صادرة عن مؤسسة «بورسن مارستلير» الأميركية المتخصصة في شؤون الأديان، في نوفمبر (تشرين الثاني) ٢٠١٣، كشفت أن عدد الملحدين في مصر وصل إلى أكثر من مليوني شخص، مشيرة إلى أن غياب المشاركة السياسية أمام جميع المواطنين، خاصة الشباب، بالإضافة إلى تشويه صورة الإسلاميين المتدينين في الإعلام المصري

(١) مسودة الاستنتاجات المتفق عليها، البند (٦).

(٢) نهى القاطرجي، معجم المصطلحات الدولية حول المرأة والأسرة، مركز باحثات لدراسات المرأة ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م، ص١٤٧، بتصرف.

(٣) مسودة الاستنتاجات المتفق عليها، البند (٦).

(٤) عقدته وحدة مساواة الجندر وتمكين المرأة UN Women بالتعاون مع منظمة العدل الدولية في الفترة ٢٦- ٢٨ أيلول ٢٠١٦ – جنيف.

(٥) تقرير الخبراء حول موضوع بحث الجلسة الواحدة والستين للجنة وضع المرأة في المجلس الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتحدة :التمكين الاقتصادي للمرأة في عالم الأعمال المتغير وحدة مساواة الجندر وتمكين المرأة بالتعاون مع منظمة العدل الدولية –جنيف، ٢٦- ٢٨ أيلول ٢٠١٦، ص١٦.

عقب الثورة، زاد من تلك الظاهرة.

وفي أكثر من خطاب له، حمّل قائد الانقلاب عبد الفتاح السيسي رجال الدين المسؤولية عن ازدياد الإلحاد في المجتمع، متهما إياهم بتنفير الناس من الدين، على حد قوله.

وكثيرا ما حذر الأزهر الشريف من انتشار ثقافة الإلحاد بين الشباب، ونظم عدة ندوات ومؤتمرات لمواجهة الظاهرة بين طلاب الجامعات، كان آخرها ندوة بجامعة الأزهر بكفر الشيخ، السبت الماضي، تحت عنوان «الإلحاد والطريق إلى المواجهة».

تقصير الأزهر

وطالبت دار الإفتاء المصرية مجلس النواب بسن قانون ينظم الخطاب الديني، وقالت، على لسان أمين عام الفتوى بالدار، أحمد ممدوح، يوم الاثنين الماضي، إن «الفوضى الدينية في الفترة الأخيرة أدت إلى انتشار التطرف والإلحاد»، على حد قوله.

وكان مفتي الديار المصرية السابق، علي جمعة، قد قال إن الأزهر أجرى دراسة على ٦ آلاف شاب، ووجد أن نسبة الملحدين بينهم بلغت ١٢,٣٪، مؤكدًا أن تقصير الأزهر من أسباب إلحادهم، وأن هناك ٥٦ سببا لإلحاد الشباب المصري.

أزهريون أكدوا أن مواجهة الإلحاد لا يجب أن تقتصر على الأزهر والمسلمين فقط، وإنما لا بد أن يجابهها المنتمون للأديان السماوية جميعًا، والمؤسسات التثقيفية المختلفة، في حين ألقى آخرون اللوم على الخطاب الديني الذي يُبغض الشباب في الإسلام، وإلى تنازع المذاهب، فضلا عن غياب القدوة.

تمرد على العادات الخاطئة

ويرى خبراء نفسيون أن ظاهرة الإلحاد هي في الأساس مرض نفسي يتعرض له الإنسان نتيجة عادات وتقاليد اجتماعية يحاول الفرد أن يتخطاها، بسبب ممارسة رقابة شديدة عليه، ويشعر معها بأنه أصبح سجين هذه العادات والتقاليد، لافتين إلى أن هذا الأمر يحدث كثيرا مع الفتيات بعد مرحلة المراهقة، خاصة من تربين في ظروف أسرية محافظة ومغلقة، مثل كثير من محافظات الصعيد، وعندما تغير الفتاة مكان إقامتها، وتسكن في مدينة جديدة، وتختلط بعادات مختلفة عن عادات الريف، تبدأ في التمرد على ما تربت عليه.

وأضافوا أن الأمر يبدأ بخلع الحجاب، والبحث عن مبررات دينية تتيح لها خلعه، كالأقوال بأنه ليس فرضا، وبعدها تبدأ في التمرد على أشياء وتعاليم دينية مقدسة وواضحة، خاصة إذا كانت تنتمي لمجموعات سياسية أو اجتماعية متحررة تعتنق أفكارا علمانية أو ليبرالية.

تردي الأوضاع الاقتصادية

لا شك أن تردي الأوضاع الاقتصادية والفقر قد يؤدي بضعاف الإيمان والجهلة إلى الإلحاد! قال العيني في عمدة القاري: «وذلك لأن الفقر ربما يحمل صاحبه على مباشرة ما لا يليق بأهل الدين والمروءة، ويهجم على أي حرام كان ولا يبالي، وربما يحمله على التلفظ بكلمات تؤديه إلى الكفر». ولذلك جاءت أحاديث بالاقتران بينهما في الاستعاذة، كدعاء النبي ﷺ: (اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر) رواه أبو داود. وقال المناوي: «وقرن الفقر بالكفر لأنه قد يجر إليه».

ثورات وانقلابات

ذكر بعض الباحثين أن هذه الموجات تجتاح المجتمعات في الفترة التي تعقب الثورات والانقلابات، ودلل على ذلك ببعض الحوادث التي حدثت بعد الثورة الفرنسية والثورة البلشفية، لافتين إلى أن الأحداث السياسية التي مرت بها مصر في السنوات الأخيرة ساعدت على ازدياد الإلحاد، خصوصا الانقسامات والصراع مع الإخوان «وغياب دور الأزهر؛ بسبب انشغاله بصراعات دينية وسياسية أخرى، كما أن الإحباط بسبب الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية قد يؤدي بالشخص إلى الإلحاد أو حتى الانتحار؛ هربا من الأعباء النفسية التي يعاني منها»، وفق قوله.

من يقف وراء الإلحاد؟

هناك مؤسسات عالمية ترعى الإلحاد وترعى الملحدين، منها مثلا «التحالف الدولي للملاحدة» ATHEIST ALLIANCE INTERNATIONAL، ورابطة الملاحدة، ومؤسسة ريتشارد دوكنز لدعم العقل والعلم، والاتحاد الدولي للاتجاه الإنساني والأخلاقي، والرابطة الدولية لغير المتدينين والملحدين، وغيرها من المنظمات.

الخطر الإيراني أعظم من أي وقت مضى

علي حسين باكير – العرب القطرية ٢٠١٧/٣/١٢

الخطر الإيراني اليوم على ما تبقى من الدول العربية هو أكبر من أي وقت مضى على الإطلاق، منذ اندلاع الثورة الإيرانية في العام ١٩٧٩، وهناك من يرى أنّ نفوذ نظام الملالي في المنطقة العربية وصل الآن إلى مدى لم يكن قد وصله أي نظام إيراني من قبل منذ قرون.

قبل عقدين ونيّف من الزمان فقط، كانت إيران تصارع من أجل إبقاء موطئ قدم لها في لبنان، وعلى الرغم من استخدامها كل الوسائل والذرائع بما فيها «محاربة إسرائيل»، و«نصرة المستضعفين»، و«الوحدة الإسلامية»، و«محاربة عملاء أمريكا»، لم تستطع أن توسّع من نفوذها.

لكن ومنذ احتلال العراق في العام ٢٠٠٣، استطاعت إيران أن تمد نفوذها ليشمل كلا من فلسطين ولبنان وسوريا والعراق واليمن وبشكل أقل في دول عربية أخرى. لا تسيطر إيران اليوم على هذه الدول فقط، بل

تستخدمها في الدفع بأجندتها القوميّة إلى الأمام بشكل سريع، ولكي تفرض نفسها على دول العالم كزعيمة للمنطقة.

هناك من لا يزال يلجأ إلى الأرقام المتعلقة بالإنفاق الدفاعي للمقارنة بين قدرات إيران العسكرية وقدرات جيرانها، ليصل إلى استنتاج مفاده أن الخطر الإيراني ينطوي على تضخيم، لكنّ أسلوب المقارنات الكمّية هذا هو أسلوب قديم يعود إلى القرن الماضي ولم يعد يقدّم دليلا قاطعاً على تفوّق دولة ما على أخرى، أو على قدرتها على تحقيق أهدافها أو على زيادة الخطر القادم من دولة ما مقارنة بأخرى، فمعنى القوة وشكلها وطريقة استخدامها تغيّر كثيرا.

كلّما مر الوقت كلما أصبح من الصعب إيقاف إيران. طهران أصبحت تسيطر اليوم على القرار في هذه الدول العربية، وتوظّف موارد هذه البلدان (البشرية والمادية والعسكرية) لصالحها، وتستخدمها كخطوط دفاع وساحات قتال لإشغال الآخرين إلى حين تحصين نفسها ذاتيا.

إيران تمتلك الآن جيوشاً من الميليشيات غير النظامية في المنطقة من أبناء البلدان الأصليين، وقد نجحت أيضاً في استقطاب من هم خارج الدائرة العربية، أي من أفغانستان وباكستان وبعدد أقل من دول أخرى في إفريقيا وآسيا الوسطى. بعد الاتفاق النووي الذي تم التوصل إليه مع إدارة أوباما، أصبح من المسموح لها أن تشتري أسلحة تقليدية لتطوير قدراتها العسكرية التقليدية، وأن تقوم بمواصلة تطوير برنامجها الصاروخي، وخلال ١٠ سنوات سيكون برنامجها النووي شرعيا تماما وستكون قادرة عمليا على إنتاج أسلحة نووية في فترة محدود جدا.

دول مجلس التعاون الخليجي لا تمتلك رؤية واضحة لتحديد الأولويات والمخاطر التي تفرضها إيران، ولا تمتلك آلية ذاتية لإيقاف طهران أو عرقلة تقدّمها على الأقل، وغالباً يقتصر عملها على ردود الأفعال. وحتى في هذا السياق، فان نَفَسَها ضعيف وتعمل على مستوى تكتيكي، ولا يوجد توجيه للجهود التي تؤدي إلى استنزاف إيران عسكريا واقتصاديا، وهو أمر يعود إلى عدم وجد استراتيجية لدى هذه الدول للتعامل مع طهران بشكل فردي أو جماعي.

إذا لم تعالج دول المجلس هذه المشاكل المتعلقة بها، فإن مهمّتها ستصبح أصعب لا سيما مع ازدياد حجم التحديات التي تفرضها إيران عليها، التي تتراكم يوما بعد يوم، كما سيصبح من الصعب جداً إقناع أي قوى خارجية بالالتزام بجهود مشتركة لاحتواء أو مواجهة إيران، وهو ربما سبب من الأسباب التي دفعت إدارة أوباما سابقا باتجاه نظام الملالي.

حقيقة مؤسسة المواطن الرسالي الشيعية بالمغرب

إبراهيم الصغير – هوية بريس ٢٠١٧/٣/١٥

الحالة الشيعية بالمغرب تتكون من تيارين كبيرين هما التيار الرسالي والتيار الشيرازي، وسبق وأن انشطرت من كل تيار تنظيمات مستقلة، كحال مؤسسة المواطن الرسالي للدراسات والأبحاث الإسلامية، التي تفرعت عن التيار الشيرازي المتطرف.

فما حقيقة وحجم هذه المؤسسة، وما مرجعيتها، وما عقائدها؟

تعتبر «مؤسسة المواطن الرسالي للدراسات والأبحاث الإسلامية» تنظيما جديدا بالمغرب، فبعد نشاطها على مستوى وسائل التواصل الاجتماعي، حيث أصدرت سلسلة بيانات تبين فيها أدبياتها ومنطلقاتها الفكرية والمرجعية المتبعة، وكذا التعريف ببعض أعضائها ونشاطاتها.

اختارت مؤخرا الظهور بشكل علني؛ مما جعلها تستأثر باهتمام بعض المنابر الإعلامية التي حاولت فك بعض شفراتها، ومن ذلكم هذه المحاولة التي نحن بصددها.

تتبع مؤسسة المواطن الرسالي للدراسات والأبحاث الإسلامية، لمتشيع مغربي (مستبصر) يدعى أبا الفضل المغربي من مدينة الرباط، واسمه الحقيقي عبد الرحمان بنشرقي يشغل منصب رئيس قسم التوجيه والإرشاد العقائدي، والأمين العام للمؤسسة.

وحسب بيان المؤسسة الأخير فإنها تتحفظ عن باقي أعضائها خوفا على سلامتهم كما يقول البيان، والذين لا يعرف منهم لحد الآن إلا شخص اسمه الشريف الصديقي من مدينة تطوان، وشاب أيضا من نفس المدينة اسمه أنس ينشط على مستوى تنسيقية المؤسسة بلبنان.

يشار إلى أن هذه المؤسسة قد أعلنت في وقت سابق على صفحتها الرسمية على فيسبوك بتاريخ: ٠٥- ٠٣- ٢٠١٦، عن قرب أجل افتتاح مكتبها التنسيقي بتطوان التي أسمتها (العاصمة المهدوية).

كما أعلنت عن نيتها تعميم فروع للمؤسسة في باقي المدن المغربية، وجعلت المكتب تحت إشراف شخص اسمه السيد الشريف الصديقي، وحملت الحكومة المغربية عواقب أي اعتداء تعسفي ضد فروع المؤسسة التي اعتبرتها غير حكومية، حسب نص البلاغ الصادر بالتاريخ أعلاه، والموقع من طرف المكتب الإعلامي للمؤسسة، تنسيقية المغرب، والمحرر في مراكش.

بعد ظهور صفحات لتنسيقيات هذه المؤسسة بكل من

تطوان، الرباط، الدار البيضاء، مراكش، عُلم أن لهذه المؤسسة نشاطا في لبنان حيث درس مؤسسها، والعراق وغيرهما.

واغلب بيانات المؤسسة تصدر من لبنان، كإعلان الحملة الأخيرة التي أطلقتها لجمع التبرعات تحت مسمى «حملة أم البنين للإمداد». وكإعلان خبر اعتقال زعيمها بداية هذا الشهر، في مدينة الدار البيضاء وإطلاق سراحه. ولا يعرف عدد أعضائها ولا أتباعها بالتحديد.

مرجعية مؤسسة المواطن الرسالي:

أعلنت المؤسسة على صفحتها الرسمية على الفايسبوك في ٢٠١٧/٠٣/٢، عن مرجعيتها الدينية المتبعة من خلال البيان التالي: «عاجل .. في أول قرار للأمانة العامة للمؤسسة بعد استلام المنصب سماحة السيد أبو الفضل المغربي كأول أمين عام للمؤسسة أصدر سماحته قرارا باتخاذ المؤسسة سماحة المرجع الديني آية الله الشيخ محمد جميل حمود العاملي حفظه الله كمرجعية معتمدة للمؤسسة.

وبناء على هذا القرار الذي وافق عليه السادة المؤسسون بالمجلس التأسيسي للمؤسسة، يكون أول مرجع معتمد لنهج المؤسسة.

وللاستفسار من سماحته المرجو زيارة موقعه مركز العترة الطاهرة على الانترنت ومراسلة مكتبه الكائن ببيروت. والسلام».

مرجعية يعرف الجميع طائفيتها وتطرفها، فالشيخ محمد جميل حمود العاملي، مرجع شيعي اثنا عشري لبناني معاصر، مشهور بسلاطة لسانه في الصحابة سبا ولعنا وتكفيرا، وهو الذي لا يمل من تكفير المخالفين ورفض التقريب معهم.

وهو صاحب كتاب «خيانة عائشة بين الاستحالة والواقع»، الذي يتهم فيه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بالزنا عياذا بالله.

فقد قال في الصفحة ١١٥، بعدما أخضع ما سرد من نصوص لهواه: «فتحصل مما تقدم أن عائشة خائنة للرسول الأعظم ﷺ في عقيدته، وخائنة له في فراشه». فهو شيرازي لا يحتاج كثيرا من البرهنة على غلوه وتطرفه.

عقائدها:

تتفق مؤسسة المواطن الرسالي للدراسات والأبحاث الإسلامية مع التيار الشيرازي في جميع العقائد، حيث تعتقد بكفر جميع الصحابة ماعدا ثلاثة أو سبعة، ولا يعترفون بإمارة المؤمنين، بل يعتقدون بتكفير جميع حكام المسلمين، معتبرين أن أي راية ترفع قبل ظهور المهدي صاحبها طاغوت، وينعتون كل من تسمى بأمير المؤمنين بأقبح الصفات، ولا يهمهم المذهب المالكي، لأن صاحبه من المنحرفين عندهم، ويكفرون حتى الصوفية وجميع المخالفين لهم، حتى من بعض فرق الشيعة.

مجلس أعلى لشيعة مصر... انفتاح مع إيران يتستر وراء "العمل الخدمي"

الخليج الجديد ٢٠١٧/٣/١٢

«أسعى لتأسيس كيان إنساني أخدم فيه المستضعفين بغض النظر عن هوية أو دين أو طائفة».. هكذا تحدثت «رانيا العسال» الملقبة بـ«أميرة الشيعة في مصر»، والمشهورة باسم «ابنة زينب»، تزامنا مع تصاعد الحديث حول تأسيس مجلس أعلى للشيعة بمصر.

التقارب المصري مع المحور الإيراني مؤخرا، خاصة في العراق وسوريا، دفع «شيعة مصر» إلى التفكير نحو تأسيس «المجلس الأعلى للشيعة»، ليكون بمثابة هيكل تنظيمي لجموع شيعة مصر، وبمثابة مركز له مراجع فكرية، كما هو الحال في مدينة قم الإيرانية.

المصادر التي نقلت عنها صحف مصرية، قالت إن شيعة مصر يروجون إلى أن هذا الكيان كمنظمة اجتماعية خيرية لخدمة المواطنين الفقراء ودعم الإنسانية عامة، لكنه في الحقيقة سيكون غطاء لهيكل تنظيمي يستهدف نشر الفكر الشيعي، من خلال إصدار صحف أو نشر كتب أو منشورات، والتحرك بين المواطنين.

وأشارت المصادر إلى أن هدف الشيعة من الترويج إلى أن المنظمة التي يسعون لتأسيسها هي منظمة خيرية، هو رفض الدولة المصرية السماح لتأسيس كيان أو مؤسسة طائفية.

وثمة مخاوف من أن يكون هذا الكيان غطاءً لهيكل تنظيمي يهدف لنشر الفكر الشيعي بين المصريين، على خلفية تحركات عديدة للتيار الشيعي تمثلت في تأسيس مدرسة للفكر الشيعي في أحد أحياء القاهرة فضلا عن محاولات سابقة لنشر التشيع بين المصريين.

يتزعم الكيان الجديد، القيادات الشيعية في مصر «طارق الهاشمي» و«عماد أديب» و«سالم مصطفى الصباغ»، بالإضافة إلى «محمد الدريني» مؤسس حركة «آل البيت» في مصر.

وبينما لم ينفِ «الهاشمي» التحركات لإنشاء مجلس أعلى للشيعة في مصر، فإنه اكتفى بالقول إن «مصر هي الانتماء الأول والأخير». وحمّل «الهاشمي»، وسائل الإعلام مسؤولية إطلاق ما وصفها بالشائعات بهدف الاستهلاك الإعلامي، وقال: «الكيان الوحيد الذي نتشرف بالانضمام تحت علمه هو مصر، وأي اسم آخر يمكن أن يكون

مطروحًا سيكون وفقاً للدستور المصري».

الامر نفسه، أكدته «رانيا العسال»، حين قالت: «بالنيابة عن شيعة مصر لا مزايدة على ديننا، أو وطننا ولا نرفع علم سوى علمنا». وأضافت: «أسعى لتأسيس كيان إنساني أخدم فيه المستضعفين بغض النظر عن هوية أو دين أو طائفة»، مشيرة إلى أنها لا تنشر التشيع في مصر، ولن تقوم بذلك في المستقبل.

ولفت القيادي الشيعي «محمود جابر» إلى سعي بعض الشيعة المصريين تأسيس كيانات اجتماعية تعبر عنهم، خاصة بعد فشلهم في تأسيس حزب سياسي شيعي يحمل اسم «التحرير» عقب ثورة يناير/ كانون الثاني ٢٠١١، بسبب ما أسماه «تصريحات مستفزة من بعض الشيعة خارج مصر، بأن هذا الحزب سيكون الكيان المثل لشيعة مصر، وهو ما أثار حالة من الغضب لدى غالبية المصريين».

وفي تصريح مقابل، أنكر القيادي الشيعي البارز «أحمد راسم النفيس»، علمه بهذا الكيان الجديد، وقال إنه «لا يعلم أي معلومات عن الأمر، وهناك البعض الذي يحاول حشر أسماء قيادات الشيعة في أي شيء لإثارة الفتة وتأليب الرأي العام».

وأضاف «علاء السعيد» مؤسس «ائتلاف الصحب والآل»، في تصريحات صحفية، إن «هناك أهدافاً للشيعة من مسألة تأسيس حزب سياسي أو كيان لهم، وهو الحصول على مكاسب داخلية والتمويلات الخارجية، بعد أن باءت جميع محاولتهم بالفشل». وأضاف «السعيد»، أن «البعض منهم لجأ لتأسيس جمعيات خيرية للحصول على تمويلات من العراق وإيران»، موضحًا: «بعدما أسس الطاهر الهاشمي جمعية حملت اسم (الثقلين) تم سحب التراخيص منها وذلك بعدما تأكد أنها تحصل على تمويلات من إيران». الكيان الجديد النابع عن التقارب المصري الإيراني، يجد جدلا واسعا ومخاوف كبيرة في الشارع المصري، سياسيا ودينيا وإعلاميا، وحتى قضائيا.

انفتاح مع إيران

ووسط الاصطفافات المتحركة في المنطقة، يتكاثر الهمس عن انفتاح ايراني مصري، يرده البعض إلى تقارب بين طهران والقاهرة في الأزمة السورية، ويعتبره آخرون محاولة للحجر على علاقات مصر والتحكم بها، بينما لا يراها فريق ثالث بعيدة من اتصالات خليجية- إيرانية ناشطة بحذر.

وظهرت إشارات من الجانبين المصري والإيراني إلى رغبة في تقارب كهذا، ولعل آخرها حديث الناطق باسم وزارة الخارجية الايرانية «بهرام قاسمي» الإثنين الماضي عن اتصالات بين الطرفين في محاولة «لرفع مستوى التمثيل الدبلوماسي»، وإن يكن لفت إلى أن لا تطور حقيقي في مسار العلاقات في الوقت الراهن.

وكان رئيس مكتب رعاية المصالح المصرية في طهران «ياسر عثمان»، أبدى رغبة بلاده في توطيد العلاقات مع إيران، باعتبارها «دولة مؤثرة ورئيسية في الشرق الأوسط»، وذلك عقب لقاءات أجراها مع رئيس لجنة الامن القومي والسياسة الخارجية في مجلس الشورى «علاء الدين بروجردي»، ووزير الخارجية الإيراني «محمد جواد ظريف»، ومساعد رئيس مجلس الشورى الاسلامي «حسين أمير عبداللهيان». اقتصاديا، زار وزير البترول المصري «طارق الملا» إيران، قبل شهور، للتعاقد على صفقة من الغاز والسولار.

التقارب لم يقف عند الحد السياسي والاقتصادي فحسب، بل وصل إلى الساحة الفنية، عندما أطلق الفنان الشعبي «شعبان عبد الرحيم»، أغنية قبل شهور، دعما لـ«الحشد الشعبي» في العراق (مليشيا طائفية شيعية مدعومة وممولة إيرانيا، صنفتها عدد من الدول العربية على أنها منظمة إرهابية)، وذلك بعد أن سبقه فنانين ومطربين مصريين من بينهم الفنان «محمود الجندي» والفنانة «حنان شوقي»، لزيارة العراق أكثر من مرة، وارتداء ملابس «الحشد الشعبي»، وإعلان دعمهم له.

وفي نوفمبر/ تشرين الثاني الماضي، حصلت هيئة إعلام الحشد الشعبي في العراق، على جائزة الإبداع التقديرية بمشاركتها بفيلم وثائقي يحمل اسمها في مونديال القاهرة للفن والإعلام.

كما سارع شيعة مصريون بتدشين العديد من القنوات الفضائية، وشركات للإنتاج الفنى والإعلامى في سبيل نشر أفكارهم ومعتقداتهم في مصر، وكانت الباكورة بشركة «قمر بنى هاشم» المملوكة للقيادى الشيعي «محمد الدريني»، قبل أن تنضم لها شركات جديدة منها «الطليعة» و«العترة» و«كايروسات».

تخوف سلفي

هذا التقارب، فتح الباب أمام تخوفات كبيرة داخل مصر، ففي مقال تحليلي للكاتب «جينيفي عبدو»، بصحيفة «ناشيونال إنترست» الأمريكية، الشهر الماضي، أكّد أن التخوّف من امتداد التشيّع الإيراني إلى مصر «حقيقي وليس مجرّد مخاوف لدى البعض».

ووصف زيارته الأخيرة إلى مصر بأنها كشفت له كثيراً من جوانب هذه المخاوف، «خاصة لدى السلفيين المصريين»، الذين قال إنهم «يعتقدون أن إيران تسعى إلى استعادة إمبراطوريتها الفارسية عبر نشر التشيّع».

ويصف الكاتب التغوّل الإيراني الشيعي في مصر بأنه «يشكّل تهديداً حقيقياً لهذا البلد، الذي لا يشكّل الشيعة

فيه سوى ١٪»، بحسب إحصائيات وزارة الخارجية الأمريكية. وينقل «عبدو» مشاهداته ولقاءاته مع سلفيين مصريين، وما لمسه من تخوّفهم من التوغّل الشيعي الإيراني في بلادهم، وفق قوله.

وفي شقّة بالإسكندرية (شمالي البلاد)، التقى موفد الصحيفة بـ«عبد المنعم الشحات»، أحد زعماء الحركة السلفية في مصر والمتحدث باسمها، التي ترى في الشيعة أنهم فرقة إسلامية خرجت عن الإجماع الإسلامي. ونقل عن «الشحّات»، قوله: «الشيعة في مصر هم الفرقة أو الجماعة الوحيدة التي ليس لديها معتقلون داخل سجون النظام».

وأشار إلى أن «عبد المنعم وغيره من السلفيين المصريين ينظرون إلى الشيعة على أنهم فرقة مدعومة من إيران؛ لغرض تحقيق طموحات طهران في الهيمنة والتوسّع في العالم العربي»، ويعتقد أنه «يجب طرد الشيعة خارج مصر، وعدم السماح لهم بتخريب أفكار الشباب المصري». ويضيف «الشحّات»: «بالنسبة إلى إيران فإن السياسي يتداخل مع الديني، إنهم يحلمون ببعث أمجاد إمبراطورية فارس، وهو أمر يستدعي نشر التشيّع».

وفي تصريحات سابقة لـ«الشحات»، يقول: «مصر ليس بها شيعة إطلاقا، ولا ١٪ و١ في الألف، وإنما يوجد بها متشيعون، فإذا جاءت اليوم أمريكا لكي تقول أن نسبة الشيعة في مصر - ولو قالت ١ في المليون - فهي تريد أن تثبت أن هناك مصريين شيعة، وبالتالي طالما مصريين شيعة فلابد أن يشملهم الدستور، ولابد من حق العبادة أن يشملهم إلى آخر هذه القائمة الطويلة جدًا من الضغط بإقرار وجود الشيعة في مصر».

نظرة أخرى

أما الدكتور «يوسف زيدان» المفكر والكاتب المصري، فكان له رأي آخر، عندما رفض ما اعتبره تضخيمًا لقدرة الشيعة في مصر، بعدما ذهب إلى أن «الشيعة لا يمثلون في الأساس خطرًا على مصر»، على حد قوله. ومتجاهلاً التعليق على إمكانية اتخاذ خطوة بإنشاء كيان للشيعة في مصر، قال «زيدان» إنه «لا خلاف كبيرا بين السنة والشيعة، وإن القضايا الخلافية يمكن أن تحل بسهولة»، قبل أن يعود ليقول إن «الشيعة ودعوا مصر قبل أكثر من ٢٥٠ عامًا بلا رجعة».

واتفقت معه نسبيا في الرأي، «آمنة نصير» عضو مجلس النواب وأستاذ العقيدة في جامعة الأزهر، حين قالت إن «ما يُشاع عن إنشاء المجلس الأعلى للشيعة في مصر لا يؤخذ بالصدق والدقة، لأن مصر لا تحتمل مثل هذه المهاترات، التي ربما يكون المقصود بها تحقيق أهداف سياسية أو إعلامية»، لكنّها لم تستبعد تفكير الشيعة في تلك الخطوة باعتبار أن «مصر رأس الحربة».

وقالت «نصير» في تصريحات صحفية، إن مصر عصيّة على التمذهب الذي دمّر سوريا والعراق لوجود المؤسسة الأزهرية الوسطية التي تواجه الأفكار الدينية والمذاهب بنشر ثقافة الإسلام الوسطي، وهو ما اعتبرته يقطع الطريق أمام أي طموح ديني لأيٍ من المذاهب الحالية.

بينما ذهب «مصطفى زايد» منسق «الائتلاف العام للطرق الصوفية»، إلى أن «خلافات حالية بين الأطياف الشيعية في مصر، مرتبطة بالرغبة في السيطرة على التمويل القادم من الخارج». ووصف ما يقوم به الشيعة في مصر بأنه «تشيع مادي وليس عقائدي أو مذهبي، والمقصود به الشو الإعلامي».

محاكم وقضايا

يأتي ذلك، في ظل تأجيلات متتالية بين قاعات المحاكم، من دون حكم نهائيّ حتّى الآن، في قضيّة إغلاق القنوات والمواقع الإلكترونيّة الشيعيّة، التي بدأت منذ أكتوبر/ تشرين الأول ٢٠١٦، بدعوى قضائيّة أقامها المحامي «سمير صبري» في محكمة القضاء الإداريّ، طالب فيها بوقف بثّ القنوات والمواقع الإلكترونيّة الشيعيّة في مصر.

وفي بيان مشترك لعدد من الائتلافات السلفيّة في يناير/ كانون الثاني الماضي، طالب قياديّون سلفيّون بحذف القنوات الفضائية الشيعيّة من قائمة قنوات القمر الصناعيّ النايل سات في حجة أنّ تلك القنوات تتضمّن سباً وقذفاً لصحابة الرسول محمّد، وتروّج للمذهب الشيعيّ بين عموم المسلمين في مصر.

ولا يوجد في القانون المصري، ما يجرّم اعتناق المذهب الشيعيّ أو الترويج له، ويعد مقاضاة أيّ مروّج للفكر الشيعيّ هو توسّع في تطبيق قانون ازدراء الأديان. كما أن الأزهر نقلا عن لسان وكيله «عبّاس شومان»، يرفض تكفير الشيعة، ويعتبرهم «مسلمون مثل السنّة»، كما أنه «يحرّم إهدار أرواحهم أو أموالهم».

بيد أن الدستور والقانون يمنعان تأسيس مصر أي كيانات على أساس ديني أو مذهبي، حيث تقول نص المادة مادة (٧٤) من الدستور: «للمواطنين حق تكوين الأحزاب السياسية، بإخطار ينظمه القانون. ولا يجوز مباشرة أى نشاط سياسي، أو قيام أحزاب سياسية على أساس ديني، أو بناء على التفرقة بسبب الجنس أو الأصل أو على أساس طائفي أو جغرافي، أو ممارسة نشاط معاد لمبادئ الديمقراطية، أو سري، أو ذى طابع عسكري أو شبه عسكري، ولا يجوز حل الأحزاب إلا بحكم قضائي».

وفي رسالة من زعيم التيّار الصدريّ الشيعيّ في العراق «مقتدى الصدر» في ديسمبر/ كانون الأوّل ٢٠١٦، دعا «الأزهر» إلى عقد حوار عقائديّ مفتوح بين علماء المسلمين من كلّ المذاهب لتوحيد العالم الإسلاميّ ونبذ العنف في كلّ المذاهب بما فيها السنيّة والشيعيّة، ممّا يعبّر عن ثقة جانب من الشيعة في الأزهر.

مخاطر المشروع الإيراني الشيعي على الأمة الإسلامية

استمرار نظام الملالي بتنفيذ سياسات الشاه العدوانية تجاه الأقليات والعرقيات والمعارضين في الداخل واحتلال أراضٍ عربية كالأحواز والجزر الإماراتية.



القيام بتصدير الثورة والإرهاب للعديد من دول الجوار، ودعم انقلابات على أنظمة عربية (البحرين 1981م، واليمن 2014م)، ومحاولة اغتيال أمير الكويت، وخطف طائرتين كويتيتين، وعدد من الهجمات الإرهابية في السعودية والكويت والبحرين ولبنان والعراق، والاعتداء على الحجاج في مكة المكرمة عدة مرات.

تأليب المواطنين الشيعة ضد دولهم وربطهم بالولي الفقيه في طهران.



زرع أسلحة ومتفجرات وخلايا نائمة إيرانية في عدد من الدول العربية والإسلامية.



تكوين وتسليح عصابات ومليشيات مسلحة إرهابية من الشيعة والمتشيعين ضد مواطنيهم الآخرين في عدد من الدول العربية والإسلامية.



دعم الأمريكان في احتلالهم لأفغانستان والعراق.



شنّ حرب إبادة على شعوب العراق وسوريا واليمن.



دعم وإيواء قادة تنظيم القاعدة في إيران، ودعم ومساعدة تنظيم داعش في العراق وسوريا.



خلخلة الأمن القومي للدول الأخرى من خلال نشر التشيع بين الشعوب السنية ودعم أتباعها للوصول للحكم أو السيطرة على بعض القطاعات.



رعاية عشرات القنوات الفضائية الطائفية التي تهاجم المقدسات الإسلامية كالقرآن الكريم والصحابة وأمهات المؤمنين.

